العبارات السادسة

بسم الله مُمدّ الطالبين، الحمد لله نور الكاتبين.

.....—-.....

طالما أنّك تكسب معيشتك بالعمل كأجير، فمهما تفعل وأينما وصلت لن تتغيّر، وستظلّ مثل العبد الحقير.

...

السيئة حجاب الحسنة. اقبلها وستجد الحسنة. كل سيئة حسنة وباب للمعرفة. حتى الظلام نور، فما ظنّك بنور النور.

...

لا يمكن حصر بواعث الإنسان باللذة والألم بالمعنى البدني بل ولا النفسي. توجد درجات من البواعث، وفي ظروف مختلفة تعمل عوامل مختلفة. الاختزال من أعظم العقبات أمام إدراك الرجال.

...

كلّمات كبرت ودخلت في أتون تجارب العيش مع البشر، بدأت أتفهم سبب ظلم من ظلم وكفر من كفر.

...

فضّلت الشعوب ذات النفوس القوية، الحرب والقتل على العمل كأجراء، لأنّم فضّلوا آلام البدن على آلام النفس. لولا عظمة نفوسهم، لما رضوا ذلك لأنفسهم. الشعوب التي تفضّل آلام النفس على آلام البدن، هي الشعوب القابلة والمستحقة للاستعباد. من كان نفسه أكرم عليه من بدنه، صار عنيفاً سيّداً، ومن كان بدنه أكرم عليه من نفسه صار خنيثاً مستعبداً. لم يستعبد الإنسان إلا نفسه، ولم يحرر الإنسان إلا نفسه، والله يمدّ النفوس بما تريد حقائقها.

...

إذا كانت أبدان السادة مثقلة بالجراح، فنفوس العبيد مثقلة بالقراح وقلوبهم محشوة بالكفر بالبواح.

...

لو عملنا قيل "ألا تتوكّلون"، ولو توكّلنا قيل "ألا تعملون". حقّاً إنّهم هؤلاء قوم لا يعقلون.

...

بعض الكُتّاب يشتهر أوّلاً، بسبب مواقفه أو شخصيته، أو كلامه، ثم تشتهر كتبه بناء على ذلك.

وَ بعض الكُتّاب إنما اشتهر بسبب ما نشر، فكان الكتاب هو الباب إلى حقيقته.

الكاتب الخاص هو الثاني، لكن قد يكون الأوّل أوسع انتشاراً، فإن كانت كتابته فعلاً جيّدة استمرّت شهرته بحق، وإن كانت كتابة عادية أو حتى سيئة (وهي العادة في هذه الفئة) انطمس أثره بعد حين، بل لعل سوء كتابته يؤذي السبب الأوّل لشهرته.

...

البلاد العربية تحتاج إلى تجارة الكتب، وأقصد بها وجود عمّال يتخصصون في التسويق للكتب، وبرامج حوارية لهذا الشأن، ومناظرات دائمة تُقام حول الكتب، إلى آخره، حتى يُركّز الكتّاب على الكلمات، ويستفيد غيرهم من ما سوى ذلك من عمليات.

...

الخاطئ: من ينتقد غيره بشئ هو في المُنْتَقِد ذاته.

المخطئ: من ينتقد غيره بشئ ليس في المُنتَقَد.

الخاطئ ليس بالضرورة مُخطئ. قد يصيب الخاطئ من حيث صدق انتقاده، لكن يخطئ من حيث عدم نظره في نفسه وتطبيقه رسالته على ذاته (إلا لو اعترف بأنّ فيه عين ما في من انتقده، فحينها يُخفف خطؤه، فإن تاب منه وظهر عليه كان مصيباً مطلقاً بشرط تفهّم سبب حدوث المنكر وتأمله وعلاجه.)

...
المشكلة-من وجه-تسلية. فاحذر إثارة المشاكل للتسلية مع عدم وعيك بأنّك إنّما أثرتها للتسلية.

...
لا يترك الله وليّه في صغير ولا كبير. "هو مولانا".

...
الإلحاد ضرورة للمؤمنين المعاصرين. لأنّهم لم ينالوا قوّة الإيمان ولا استقلالية الإلحاد. لابد من تثوير القلوب بموجات إلحادية وتشكيكية حتى ينبعث النظر والسعي والتأمل في النفوس. إلحاد شائع خير من إيمان قامع. واليوم إيمان الناس يقمعهم من كل وجه تقريباً، وصار عقبة بدلاً أن يكون طاقة دافعة وباعثة على شريف الأمور. بل لو تأملت في كثير من المساوئ والمظالم الشائعة ستجد أنها ترجع إلى عقيدة أو آثار ولوازم عقيدة. "الله ولي الذين ءآمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور" والناس اليوم يتوهمون أنهم في النور-ولذلك لا يستعون إلى السفر إلى النور، ولذلك لابد من توعيتهم وإدخالهم في الظلمات-التي هم فيها في نفس الأمر-ثم بعد ذلك "الله ولي الذين ءامنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور". لو استجابوا له، لما كانوا حيث هم. البلاد بحاجة إلى ثورة مزلزلة لا تُبقي ولا تذر على قاعدة من قواعد الجهل والظلم، بل تكشف كل شئ وتمنع إيجاد وسائل إعادة تلك القواعد مرّة أخرى. يجب السعي في تشكيك الناس في ما يظنون أنّهم يؤمنون به، حتى يعرفوا أنهم لم يؤمنوا ولكن أسلموا بغير تفقه وتعقل قلوبهم لحقائق الإيمان. ملحد أشترك معه في الإنطلاق من خير الإنسانية أحبّ إليّ من معتقد يجادل عن الظلم والظلمات باسم الحضرة الإلهية. "خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام".

...
الله أهلك فرعون بالغرق لأن فرعون أغرق مَن استعبدهم بالعَرَق

...
{ألم نشرح لك صدرك} الصدر هو ما يصدر عنه الإنسان، "تعمى القلوب التي في الصدور". وسُمّي صدراً لأن الإنسان يصدر عنه في أعماله الظاهرة والباطنة. فالمعنى: ألم نشرح لك نفسك. معرفة النفس.

فإذا عرفت نفسك، ستكتشف عيوبك. وهنا تأتي {ووضعنا عنك وزرك. الذي أنقض ظهرك.}

فإذا عرفت عيوبك، وأصلحتها، ستتحرر نفسك وتحلّق في الأعالي، وهنا تأتي {ورفعنا لك ذكرك.}

إذن، أوّلا اعرف نفسك، ثانيّاً واجه عيوبك، ثالثاً انطلق في سماء سعادتك.

...
الأمم ثلاث :

أمّة تحتكر الطبقة الحاكمة فيها السيف والقلم. وهذه في قعر الجحيم.

وأمّة تحتكر الطبقة الحاكمة السيف وتتشارك مع الطبقة المحكومة القلم، فهذه في أعلى دركات جهنّم وعند الباب.

وأمّة السيف والقلم بيد المحكومين والحكام، فهذه في الجنّة.

...
لو أخطأت، فهذا يعني أن الله ليس معي. أي أنا ملحد. إذن، المؤمن معصوم. حتى لو أخطأ في الظاهر في أوّل الأمر، فالعاقبة لا تكون إلا ظهور الصواب بل حتى ذلك الخطأ يظهر كمرحلة إعدادية للصواب النهائى. {ومَن يؤمن بالله يهدِ قلبه}

...
لابد من إعداد دراسة استقرائية شاملة في القرءآن على معنى هذه الأحرف الثلاثة {إذا-إن-لو}. وفهم طبيعة معنى كل حرف منها. وقسّموا الآيات إلى قسمين، قسم المعنى فيه ظاهر فهذا يكون حاكماً على

القسم الآخر الذي فيه خلاف أو لا يتّضح معناه بنفسه ويحتمل الاحتمالات المتناقضة. بعد الفراغ من تحرير القسم الأوّل المُحكَم، يتم تحكيمه في معنى القسم الآخر المتشابه.

من فوائد هذا البحث بالإضافة إلى العلم وتحرير المعنى القرءآني : ظهور دقّة القرءآن في آلاف الموارد بنحو يكشف عن عظمة العقل المتعالي الذي أنتجه، ويكشف أيضاً عن عدم احتمالية كونه صدر ن تدبير بشري، لأن البشر لا يلتزمون بمثل هذه الدقائق عادة خصوصاً لو كانوا من الكذّابين، وبالأخصّ أن مثل هذا البحث لم يقم به أحد فيما أعلم من يوم نزل القرءآن إلى يومنا هذا، أقصد بالاستقراء التام لكل الموارد القرءآنية وبالتفصيل.

...

لا تثق بمن تواجهه بالوقائع فينكرها. فإن الذي ينكر الوقائع الظاهرة كيف تثق برأيه وصدقه في الأمور المتشابهة والمحتملة.

...

حين تواجه خصومك، إن كانوا من الخاصّة فواجههم بالهدوء ومباشرة الحقائق والوقائع والحجج بأقصى قدر من التجرّد وتجريد الأفكار، وإن كانوا من العامّة فعليك بالسخرية الذكية، والسخرية الذكية هي التي تشتمل على فكرة صادقة ومحررة تحريراً جيّداً لكن في ثوب ساخر يكون ظاهره قبول الأطروحة الكاذبة ومآله-بسبب المبالغة وإظهار القبول مع علمهم برفضك ودقّة الرسالة-يؤدي إلى إظهار كذب الأطروحة وبطلانها وسخفها. واجه الخاصّة بالمعرفة، والعامّة بالسخرية. فإن الخاصّة يكرهون السخرية لأنها تضيع وقتهم وجهدهم، والعامّة يكرهون المعرفة لأنّها لا تداعب عواطفهم وتتنزّل إلى مستواهم. وفي الحالتين، ليكن رائدك هو رفع الجميع، عامّة وخاصّة، إلى فكرتك. فإن كنت تحتاج إلى سُلَّم لرفع العامّة، فاستعمله، وإن تحتاج إلى أجنحة لرفع الخاصّة، فاستعملها، وكلِّم كل فريق بما يناسبه، ليس لإبقائه في مكانه، بل لرفعه إلى مكانك. وتأمل في ردودهم، لأنك قد تكون أنت الوضيع وتظنّ أنك الرفيع.

...

لا أستطيع أن أعادي الإنسان من حيث هو إنسان. لابد أوّلاً إمّا أن أجعله بمثابة الحيوان أو بمثابة الشيطان. لأنّني لو عاديته من حيث هو إنسان، فهذا يعني أنّني أُعادي نفسي، والنفس لا تعادي نفسها بل تدافع وتجادل عن نفسها حتى في وجه الله تعالى. "يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها".

من هنا تفهم خطورة وسرّ حيونة أو شيطنة الإنسان لخصومه. فالحيونة مبنية على الحالة المعيشية، أي بعد أن أباح الناس لأنفسهم ذبح الحيوانات واستغلالها في المشاقّ وتحميلها المصاعب بدلاً منهم، أي القتل والاستغلال للاختصار، صاروا بعد ذلك إذا أرادوا تبرير قتل أو استغلال إنساناً حيونوه أوّلاً. شتائم مثل "يا كلب..يا حمار..يا خنزير..يا بهيمة.. إلخ" ليست مجرّد شتيمة، لكنّها تبرير عقلي-نفساني لقتل أو استغلال الإنسان بوحشية بدون عذاب الضمير ولا إشعال نار في النفس بسبب معاداتها من تعتبره نفساً مثلها.

كذلك في شيطنة الإنسان للإنسان. الشيطنة مبنية على رؤية خيالية للعلاقة بين الملائكة والشياطين. فالملائكة مثل الإنسان، والشياطين مثل الحيوان، أي في العلاقة الطبيعية الاقتصادية. والملائكة تعذّب وتقذف الشياطين وتطردهم وتمنعهم من الخير بغير رحمة بل هم "غلاظ شداد" ولا يبالون بالشياطين. فالنتيجة، حين أقول عن غيري أنّه من أولياء الشيطان أو من شياطين الإنس وما أشبه، فإنّي أجعل نفسي بمنزلة الملائكة، وهو بمنزلة الشياطين، بالتالي أبيح لنفسي ما تستبيحه الملائكة من الشياطين.

الحيونة والشيطنة لهما نفس النتيجة: اقتل، استغلّ، عذِّب، بمضير مرتاح. لأنّك لا تقاتل نفسك-أي إنساناً مثلك-بل تقاتل غيرك، و"الغير" ابن حرام دائماً !

من هنا أيضاً تفهم لماذا يجعل الدين أو السياسة الوطنية الغير مثل النفس، حين يريدون معاملته بسلام وإحسان. فيقول الدين "لا تقتلوا أنفسكم" والمقصود لا تقتلوا إخوانكم في الدين، فجعلهم بمثابة النفس. وكذلك يقول "أحبّ لأخيك ما تحبّ لنفسك"، مرّة أخرى، الإحسان لا يكون إلا للنفس، ومن هو بمثابة النفس. "تخرجون أنفسكم من دياركم" المقصود إخراج من هو مثلنا، وإن كان "غيرنا" بمعنى أنه فرد مفارق لنا، لكن في هذه الرؤية، يصير من هو مثلي في الدين أو الوطن أو المذهب بمثابة نفسي، وأمّا "الغير" فهو الذي نستبيح منه كل شئ أو على الأقلّ لا نعامله معاملتنا لمن هو مثلنا. ونادراً ما يشذّ أحد عن هذه القاعدة، بل لا أعرف لها شذوذاً. وأمّا معاملة الأغيار بالمثل فمبنية على الرغبة في السلام مع شخص لا نستطيع قمعه بالحرب، أو لا نودّ محاربته لأننا نرى أن النتيجة مهما كانت في صالحنا فإنّها ستكون ضدّنا في المحصّلة، فدرءاً للخطر عن أنفسنا والقلق الذي تجلبه الحروب والثورات، نعامله من بعض النواحي أو أكثرها كما نعامل أنفسنا ونحب معاملتها.

الحاصل: لابد من التنبّه إلى الكلمات التي نستعملها في وصف خصومنا من الناس. فإن الإنسان إنسان، حتى لو وصفته بما تشاء. ولذلك، ستجد أنّك تتألم في نفسك حين تعادي الناس، حتى لو حيونتهم أو شيطنتهم. نعم، قد يُبرز الإنسان جانباً من الحيوانية أو الشيطنة، فتعاديه من هذا الوجه الخاص، "قال إني لعملكم من القالين" لهذا العمل الخاصّ وليس: إنّي لكم من القالين. والعمل ظهور الذات في صورة خاصّة، فيكره الصورة، ويكره الذات من حيث بروزها في هذه الصورة، وليس من حيث ذاتها وكل احتمالاتها وبقية تجلياتها. مثل "أعوذ بك منك" أي أعوذ بتجليات رحمتك من تجليات عذابك. العداوة المقيّدة للإنسان ممكنة بل واجبة في بعض النواحي، لكن احذر من وصمه كلّه من حيث كلّه بوصمة حيونة أو شيطنة أو غيرية مطلقة بسبب ذلك العمل الخاصّ. لكل عمل جزاء، لكن الذات تستحقّ نوعاً خاصّاً من المعاملة يتناسب مع حقيقتها الوجودية. فلا تجوز معاملة الإنسان في نهاية المطاف إلا كما هو: خليفة الله. "إنّي جاعل في الأرض خليفة".

...

سؤال: جرت سنّة الأوّلين بتحريف كتاب الله، والله تكفّل بحفظ كتابه، فكيف تنطبق هذه السنّة على هذه الأمّة، إذ لن تجد لسنّت الله تبديلاً ولا تحويلاً؟

^ حرّفوه بثلاث، أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، وأخذهم إيّاه على أنّه شعر يبحثون عن محسناته ونكته البلاغية بدل أن يتعلّموا من كل حرف منه معارف ربانية إلهية.

كل مذهب عنده عقيدة يريد أن يلصقها بالكتاب العزيز، يأتي على آية فيها شئ يشبه من بعيد أو قريب عقيدته، ويقول هذه نزلت في كذا وكذا.

وإذا أتى على آية تردّ مذهبه ومقولات حزبه يقول، إنّها منسوخة.

لا بارك الله في هذه الأعمال.

...
سؤال: ممن أتعلّم القرءآن الكريم؟
^ أترى لو كتب أحد العلماء كتاباً، فمن أحسن من تتعلّم منه هذا الكتاب؟
-من الكاتب نفسه إذ هو أعلم بما يريد من كلماته، هذا إن كان حيّاً حاضراً سليماً أستطيع الوصول إليه.
^ إذن فإن الله حي لا يموت وهو أقرب إليك من حبل الوريد.
...
لا ينكر التعلّم من الله إلا كافر، ولا يؤمن بالوحي إلا مخلص.
...
سؤال: إني من أهل السنة والجماعة، وإنّك تقول أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد استخلف علياً رضي الله عنه ولكن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم قد نكثوا وتركوا وصية الرسول عليه الصلاة والسلام، وأريد أن أناظرك أمام هذا الجمع الكريم في هذه المسألة، فما تقول؟
^ أترى لو ظهر الحق على لساني هل ستترك ما تربّيت عليه إلى ما أدعوك إليه؟
-لاشك، فإن الحق أحق أن يتبع.
^ حسناً، إني مخيّرك بين ثلاث لا مفر من أحدها، إمّا أن النبي استخلف، أو لم يستخلف، أو ترك الأمر ليتشاور أصحابه ويختاروا من بينهم من يشاؤون، فأي الثلاثة أحبّ إليك.
-أما لو كان استخلف ووصّى فهذا قولك، ولو صح لكانت الوصية لعلي رضي الله عنه ولكان قولك الحق، وهذا لا نقول به، فإمّا أنّه لم يستخلف، أو ترك الأمر شورى، فماذا يلزم من ذلك.
^إن قلت لم يستخلف، أقول، إن كان وجود الحاكم الولي ضرورة للناس فقد رميت الرسول عليه السلام بعدم الحكمة، وإن كان من الأحسن وجود الولي ولم يستخلف الرسول فقد رميت الرسول عليه السلام بعدم اتباع الأحسن وهو الذي جاء بالقرءآن القائل "إن هذا القرءآن يهدي للتي هي أقوم"، وإن كان وجود الولي عبث وفساد فقد رميت الرسول عليه السلام بذلك السوء حاشاه، لأنه كان ولياً وحاكماً وإماماً، فإن أردت أن تبقى في الإيمان فلا يسعك أن تقول لم يستخلف أبداً.
-حسناً، أقول أنّه تركها شورى.
^لو تركها شورى لبيّن لهم كيف يتشاورون حتى لا يقع نزاع، كما فعل خليفتكم الثاني، ولو زعمتم أنّه بين لهم لدلّ ذلك على فساد خلق الصحابة لأنهم تحزّبوا إلى ثلاثة أحزاب بسبب هذه المسألة، فلا يسعك أن تقول أنّه تركها شورى إلا بأن ترجم بالغيب وترمي الصحابة خير السلف بحسب قولهم بأنهم لا خلق لهم.
-لا يسعني أن أقول أنه لم يستخلف أو تركها شورى، فأقول استخلف أبو بكر ووصّى له.
^ما إن تقول بالوصية فهي لعلي عليه السلام لأنّه لا يقول بالوصية والاستخلاف إلا نحن، ولكن أسير معك حتى ترضى إن شاء الله، فأقول، لو وصّى له الرسول لما تنازع أهل المدينة وأهل مكة وآل الرسول في ذلك حسب قولكم في كمالهم، ولو وصّى لما كان أصل مذهبكم أنه لا وصية من الرسول، وهذا بديهي وأنت وكل الناس يعلمون ذلك، فلا يسعك أن تقول بالوصية إلا لعلي عليه السلام.
...
ليس العلم ما بان وإنما ما يُبنى على ما بان. والعمل برهان البرهان.
...

مَن أغرى الناس الرعاع بالشفاعة والنجاة يوم القيامة اعتصموا (أي الناس) به، ولو بالشرك بالله تعالى، ألا فليعلم الناس أنه لا شفاعة منجية من النار، وإنّما الشفاعة لرفع الدرجة في الجنّة "ألحقنا بهم ذريّتهم". "أفأنت تخرج مَن في النار".

...

ليس الصغير والكبير ما يقوله أهل الجاهلية، إنّما الأمر بالباطن، فمن علمه أكثر عمره أكبر. "وآتيناه الحكم صبياً".

...

قال: ما معنى أن أكون روحانياً؟

قلت: أن تقرأ.

قال: ما معنى أن أكون ربّانياً؟

قلت: أن تكتب.

...

اليوم نحن مع الكلمات، غداً مع الكائنات.

...

التطويل في بعض الكتب والدراسات والمذاهب، أي تطويل الكلام مع كمّ هائل من الحشو والألفاظ الفارغة تقريباً، يرجع إلى أحد هذه العوامل عادة:

الأوّل، مصدر الرزق. الإنسان عادة ما يرغب في جعل مصدر رزقه لا متناهي. والمنطق في هذا واضح، لأنه يتمنّى أن يعيش إلى ما لا نهاية، أو يتوقّع أن يعيش طويلاً، فيخاف من نفاد المصدر. فإن كان مصدر الرزق والعيش هو الكتابة أو التكلّم مع الناس (مثل الأكاديميون أو الصحفيون)، فالنتيجة المتوقعة أنّهم سيضعون من النظريات المناسبة ويمارسون الحديث بالنحو الذي يجعل كلامهم لا نهائي، ليس لأن المعاني التي يكتشفونها أو يخترعونها لانهائية من حيث قيمتها وقوّتها. عدم الوضوح مهم، النسبية في معرفة الحقيقة مهمة، كثرة الإحالة على مراجع مهمة (وإن كانوا يزعمون أن هذا من أجل "التوثيق"، فعادة ما لا تكون له قيمة فعلية، لأنه إن كثيراً ما يحيل على مصدر هو نفسه يحيل على مصدر، وهذا بدوره يحيل على مصدر، وقد يكون المصدر النهائي هو ظنّ ضعيف بل تخريف شخص، لكن مع ذكر المصادر يتخيّل الغافل أن الأمر "موثّق"). ومن هذا الباب أيضاً، أولئك الذين وظيفتهم هي "الكتابة"، فلكي يعيش لابد أن يكتب رواية أو دراسة، فبسبب هذا التوتّر الذي سيصيبه بالضرورة، سيضطر إلى الحشو والسقوط في هاوية اللغو.

الثاني، التفخيم. حين يتم ربط الأعلم بالأغزر انتاجاً، يبدأ هذا الربط عادة بتفسير "الأغزر" ليس بالكمّ فقط لكن بالكيف، ويكون للكيف الكلمة العليا والفاصلة في الحكم. بعد ذلك، يتم نسيان الكيف وإعلاء الكمّ، قد لا يكون الكاتب مضطرّاً إلى هذا التطويل شبه الخالي من التحصيل، لكنّه مع ذلك من أجل تفخيم نفسه وبسبب الربط الحاصل بين الغزارة الكمّية وبين العلم والخيال والإبداع في المجتمعات الفقيرة فكرياً والضامرة عاطفياً، يرتكب هذه الجريمة الكلامية.

الثالث، الالتزام بالكمّ. ومن هنا ما تجده في تحديد الرسالة الأكاديمية مثلاً "لابد أن تكون مائة ألف كلمة" أو "عشرة آلاف كلمة"، أو مثل أن ترى الناشر يوجب أن يكون الكتاب "ثلاثمائة صفحة" حتى ينشره، فيعمل الكاتب حينها على الشطّ والمطّ والزطّ والقطّ والحطّ والبطّ والرطّ والزطّ والصطّ والطط والكحط، من أجل أن يجعل الفكرة التي كان بإمكانه إيصالها في عشر صفحات تحتاج إلى ثلاثمائة صفحة أو عشرة ملايين كلمة.

هذه بعض أهمّ العوامل التي خطرت لي حالياً، والتأمل قد يُعيِّن بإذن الله غيرها.

ما الذي نستفيده من هذا الإحصاء؟ أهمّ ما نستفيده هو تحرير الكتابة من هذه العوامل الثلاثة. فالكتابة يجب أن لا تكون مصدراً للرزق، ويجب الحكم على الانتاج بالكيفية لا بالكمّية (فحتّى لو كتب كلمة واحدة مفيدة، علمية أو حكمية، خير من من كتاب لا يغيّر شيئاً ولا يضيف شيئاً). لابد أن يكون الكاتب حرّاً، حرّاً من الحاجة إلى مال الآخرين مقابل كتابته، وحرّاً من الاعتماد على تفخيم الآخرين له، وحرّاً من الالتزام بكمّية معيّنة من الكلمات والصفحات حتّى يُعتَبَر "كاتباً" أو "متكلّماً". لا توجد أي "مثالية" في هذا التصوّر، بالمعنى السيئ المقترن بالمثالية هذه الأيام، لكنّه أمر كان ولا يزال يعيشه الكثير جدّاً من الكتّاب، خصوصاً الذين يرون الكتابة جزءاً جوهرياً من معنى كونهم من بني الإنسان، بل لعلّه الجزء الأهمّ والمجلى الأجلّ. بكل بساطة، تكسَّب بوظيفة تفيد المجتمع مباشرة في أمر اقتصاده مباشرة أو غيره مباشرة بالمعنى القريب، مثل الزراعة أو الصناعة أو التجارة أو المحاماة أو الطبّ أو الهندسة وما شاكل ذلك. وبذلك تتحرر من بيع كلامك (يخطر لي الآن سبب كون "بيّاع كلام" شتيمة في بلادنا، لعلّ المعنى الأعمق يشير إلى ما ذكرناه من انحطاط الكاتب غير الحرّ من الوجه المالي). فإن تحررت مالياً، بقي التفخيم والالتزام بالكمّ، أمّا التفخيم فراجع إلى التأمل والسلوك الباطني وليس هذا موضع تفصيل طريقة تحريرك منه إن كنت عالقاً في شراكه، وأمّا الالتزام بالكمّ فلا يستطيع أن يلزمك به إلا من يتحكّم فيك، ولا يستطيع أن يتحكّم فيك في نهاية المطاف إلا مَن تحتاج شيئاً منه، وحيث أنّك أنت صاحب الكتاب وصاحب الكلام، فلا تحتاج إلى أحد من هذا الوجه، وأمّا إن رفض أن ينشر لك ناشر مثلاً بسبب قلّة أو كثرة كلامك، فدعه وابحث عن غيره، أو انشر بنفسك وإن كان للناس المحيطين بك فقط.

تحرير الكاتب مهم مثل تحرير الكتاب. فإن انتشار الكتب الساقطة، من أكبر أسباب كفر الناس بالكتابة وأهمّيتها. فالكاتب المستعبد يُفسد الكتابة وإن نطقت الكتب فأحسب أنّها ستلعنه أيضاً.

...

سؤال: لماذا فصل الله تعالى لنا اسم أبو إبراهيم، واليد التي صارت بيضاء للناظرين، وكم عدد الفتية الذين دخلوا مع يوسف السجن، ولله السموات والأرض وما شابه من التفصيلات التي يظهر أنّه لا فائدة منها للعامّة؟

^ حتى يردّ على الأحزاب الذين يزعمون أن القرءآن مجمل وليس بمفصّل. "وتفصيل كل شئ".

...

إن الله أحلّ الجنّة كلّها لآدم إلا شجرة، كذلك أحلّ للناس كل الأعمال إلا بعض المحرّمات، وهذه هي الشريعة.

...

كما أن النار تولّد النار، كذلك الوحي يولّد الوحي، فالعالِم بالقرءآن كالنبي.

...

سؤال: ما تأويل قول الإمام علي عليه السلام "لا تنظر إلى من قال ولكن انظر إلى ما قيل" تأويلها الأعظم؟

^ لا تطمع أن تدرك هوية النفس العلية، ولكن تعلّم كتابه العزيز وليس لك غير هذا على التحقيق. "والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلوة إنا لا نضيع أجر المصلحين".

...

قوة الملوك بقوة جيشها، ودعاء المتأله هو جيشه، فويل لمن تعرهض لجنود ملك العزيز على ميمنته والجبار على ميسرته، والواحد في مقدّمته، والقهار في قلبه. هذا أولى ما يفرّ منه أهل الدنيا وأهل العقل، لو كانوا يعلمون.

من تعرّض لدعوة متأله فقد أفسد حياته بنفسه. "|وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون".

...

سؤال: كيف توقن أن الخلفاء الطواغيت لم يغيّروا شيئاً من القرءآن أو يزيلوا منه شيئاً؟

^ لو غيّروا لغيّروا هذه "قاتلوا الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحبّ المعتدين".

ولو أزالوا لأزالوا هذه "إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزّة أهلها أذلّة وكذلك يفعلون"

وكثير من الآيات المباركة التي تهوي بهم وعبيدهم في واد سحيق.

ولكن الأمر أيّها العزيز أهون من ذلك، إذ لو كان علماء القوم أكثرهم كالحمار يحمل أسفاراً فأي حاجة لتغيير التوراة.

...

لا يستطيع أن يتعلّم القرآن من لا يتلوا القرآن.

...

إذا شعرت بانزعاج، فاهدأ وتأمل، واكتب كل ما تراه سبباً للإزعاج. عددهم واشرحهم. ثم اعمل على التغيير بالقدر الممكن، وما لا تستطيع تغييره فاسأل الله فيه، وتوكّل عليه في الكل.

...

سؤال: هل يصحّ قول الناس أن "الرحمن على العرش استوى" يقولون نؤمن أنّه استوى ولكن بلا كيف؟

^ يا سبحان الله، أهذا قول من له عقل، وهل تؤمن بدون أن تصدّق، وهل تصدّق بدون أن تتصوّر، وهل تتصوّر بدون كيف، فما لا تعرف له كيفية لا يمكن أن تصدّق به، والكيفية رسم الحدود، والمحدود مخلوق. فلا يعلم الإنسان إلا المخلوق.

-فماذا عن العلم بالخالق، ألسنا نصدّق به وهو لا محدود؟

^ صدقت، ولكنّا نشهده بقلوبنا، أما عقولنا فتعرفه بعجزها عن معرفته، لأن العقل ليس له إلا النظر في ما له حدّ مقدَّر، له يعقل الشئ بالشئ، ويبحث في الروابط التي بين الأشياء، فهو يبحث في المحدود، وطالما أنّه إذ عرف طرفاً أنتج الطرف الآخر، فيعلم أنّه ثمة غير محدود، واللامتناهي واحد، واللانهاية قبل النهاية لأنّها فيها ومنها، والواحد المطلق الذي يحوي المحدود الظاهر لنا نعلم أنّه يعلم الممكنات واحتمالات الخلق، لأنّه ليس ثمّة مرجّح لخلق دون آخر إن لم يكن يعلم الكل ولم يريد البعض.

تدبّر القرءان قمّة العقل.

...

كتابة مذكّراتك اليومية، أو على الأقلّ الأسبوعية، أو كحدّ أدنى كتابة المهمات في حياتك ومشاعرك، هي عمل مفيد جدّاً، لك قبل غيرك. فبذلك تجد الفرق بين ماضيك وحاضرك، وترى كيف تغيّر أمرك ولماذا.

...

كل عمل محدث ليس بضروري ففيه شئ من العبث بقدر زيادته عن حدّ الضرورة، والضروري هو ما يفسد الشئ لا محالة بدونه.

ولذلك اسمه "ضروري" يشير إلى الضرر، أي ما في زواله ضرر جوهري.

إن لم يكن من الضروري إنزال القرءآن لما أنزله الله، فإن كان قد أنزله للضرورة فما أبعد من يترك القرءان ليستنبط العلم من غيره ويخالف بذلك ما أنزله الله فيه، وما أسعد من كان تبحّره من القرءان وبالقرءآن وإلى القرءآن ولو وجه الله.

...

سؤال: من خير من يكفل اليتيم؟

^ الغني العقيم القريب.

-ومن أسوأ من يكفل اليتيم؟

^ الفقير الصالح البعيد.

...

هذا ترتيب لسر الكتاب الحق، من الأقلّ عدد آيات وكلمات وحروف إلى الأكثر. وذلك قائم على أربع، إشراق الشمس، الإجمال قبل التفصيل، التدرج في الصعود والتمرين، وفتح باب التساؤل الذي هو مفتاح ورود الجواب.

"وأشرقت الأرض بنور ربّها".

...

"وجعلكم ملوكاً" بثلاث، تملكون أعمالكم ومشاعركم وأفكاركم، تعاملون بعضكم البعض على أنكم خدم ومن تعاملوه ملكاً، وتتعلمون كتاب الله الذي هو تاج الملك الذي يجعلكم أغنياء عن العالمين.

...

التعلّق بالأموات علامة الأموات.

...

فلتكن سعادتك فيك، تكفيك.

...

مفتاح خزائن القرءآن، "لِمَ". "وآتاكم من كل ما سألتموه".

...

عبادة النقل وعدم الحضور سبب الثقل والفتور.

...

سؤال: كيف نعرف الإمام المهدي إذا ظهر؟

^ نهاية كل دائرة هي بدايتها، كذلك لتعرفوا المهدي عندما يقول "بسم الله الرحمن الرحيم".

...

إن الله يُعلِّم بالوحي أو بالتجربة، فأتعس الناس من لا يتعلّم بالتجربة.

...

لا تبحث عن الطعام داخل المزابل ثم تصرخ، "يا الله لماذا هذا الطعم السئ". إن أردت طعاماً طيّباً فالتمسه في الأماكن الطيّبة.

...

سؤال: إنك تنكر الأحاديث المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم، وتدّعي أنّك لا تؤمن إلا بالقرءآن، وأن في القرءآن كل شئ، وإنّي من أهل السنة والجماعة وأريد أن أناظرك في هذه المسألة، فهل تقبل؟

^ ألقي ما عندك.

-إن كان في القرءان كل شئ والدين كامل به وحده، فكيف تصلّي إذن أو تصوم وتزكي وتحج؟

^أهذه حجّتك أيّها العزيز، اسمح لي أن أفهمك ما تقول. إنّك تقول أن من لم يؤمن بكتب الأحاديث الستّة وأخواتها لا يستطيع أن يصلّي ويصوم ويزكي ويحج إذ لن يعرف كيف، أهذا صحيح؟
-نعم.
^فكيف إذن يصلّي الشيعة وهم لا يأخذون بهذه الأحاديث ولا يؤمنون بها، أليسوا يصلّون خمس مرّات ويقولون سبحان ربّي العظيم في الركوه ويسلّمون ليختموا الصلاة، أليسوا يحجّون حجّاً يتّفق مع حكمكم في الأصول وهكذا في كل شئ.

وكيف يصلّي الخوارج وهم لا يؤمنون بحديثكم ولا بحديث الشيعة وكتبهم، أليسوا كذلك يصلّون كما تصلّون، فمن أين علّقتم وجود الصلاة بوجود كتبكم السنّة وما شابه.

أتشبّه عملاً يقوم به مائة ألف رجل في كل أقطاع الأرض منذ أن بعض النبي محمد عليه السلام، بقال فلان وروي عن فلان، أي قياس هذا.
-صدقت في ما ذكرت. فليس هذه الحجّة لنا، عندي حجّة أخرى.
^أسمعنا ما عندك.
-إن الأمّة قد أجمعت على وجوب الأخذ بالسنة، وإن الأمّة لا تجتمع على باطل، ومن خرج على ما اجتمعت عليه الأمّة فقد اتبع غير سبيل المؤمنين، فهو إذا من الضالين.
^ أجيبك بحسب مقتضى ما عندك. إنّكم تقولون أن الأدلة أربعة، القرءآن ثم السنة ثم الإجماع ثم القياس، بحسب الترتيب النزولي ومن الأقوى فالأقوى، فكيف تستدلّ على السنّة بالإجماع، والإجماع تحت السنّة، وإنما ثبت عندكم حجّية الإجماع بحديث من السنّة، هذا دور منطقي باطل أيّها العزيز.

وإن كانت الأمّة لا تجتمع على باطل فقد نقضت سنّة الله التي لا تبديل لها ولا تحويل، فأين أنت من اجتماع بني إسرائيل على باطل عبادة العجل، واعتزال هارون وقليل من الناس معه، أكان هارون يتبع غير سبيل المؤمنين لأنه خرج عن الجماعة والسواد الأعظم فهو من الضالين حسب قولكم.

الناس هم الناس، وإن كان كل خارج عن الجماعة يهلك، وأنتم تزعمون أن الصحابة، وهم كل من رأى النبي ولو للحظة عند البعض، كلّهم عدول مطهرون منزهون لا يقع فيهم أحد ولا شئ، إذاً ما تقول في زعيم الأنصار سعد بن عبادة، أليس فارق الناس كلّهم، ولم يصلّي وراء أبو بكر ولا عمر حتى قتله الجنّ كما تقولون، حتى إنه لم يكن يفيض معهم في الحج، فهل بعد هذا خروج عن الجماعة.

فإن قلت أن سعداً كان مصيباً في ما فعل بطل الاحتجاج بأن الأمّة لا تجتمع على باطل، أكثر مما هو باطل أصلاً بالقرءآن والعقل، وإن كان سعد مخطئاً فيما يفعل بطل كون كل الصحابة عدول، وثبت أن منهم ضالين، مما ينسف مقولة الأحاديث كلّها لأنّها مبنية على أن الصحابي عدل فإذا حدَّث صدق، فخذ ما بدا لك فكلّه راجع عليك.

وإن كان إجماع الأمّة حق، إذاً لهلك الحسين بن علي لأنّه خرج على خليفة الزمان عندكم، وهو عندكم سيد شباب أهل الجنّة وأخوه، فسيد شباب أهل الجنة خرج عن الجماعة بل قاتل أمير المؤمنين، فإمّا أن تكذّبوا الحديث وإمّا أن تكذبوا المقولة، فانظر ماذا ترى.

...

العادة شيطان ليس له سلطان إلا على ضعاف العقول.

أمّا المتأله فيغير ما شاء متى شاء، سواء أكان فعلاً أم شعوراً أم قولاً.

...

ليس المخلص من لا يستطيع فعل الشرّ، وإنّما الذي يملك أن يؤذي ويسلب ولكنّه يعطي ويحسن، كيف يزعم أنّه حليم وهو إن غضب سيُقتَل، إنّما الحليم من يملك أن يغضب وينتصر "من بين فرث ودم لبناً خالصاً".

...

من خير خلق الله القلم والكتاب، به يسلّي الله الأنبياء والعلماء الذين جهلهم الناس.

...

الطاغية ليبقى على كرسيه يقوم بأحد ثلاثة أمور:

إن كان الناس جهلة قال أنهه منصوب بالتفويض الإلهي، ولذلك لا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون.

فإن كان فيهم شئ من العقل قال أن البطانة هي السيئة أمّا هو فمسكين لا يعلم ما يدور حوله، إنّه كثير الأشغال خاصة فيما يخص مصلحة البلاد والعباد.

فإن لم يشتروا هذه البضاعة الرخيصة البالية قال أن كل من يفكّر أن يعلّم الناس التحرر منه ومن ظلم يجب أن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وأن يصلّبوا على جذوع النخل،

ولن يثبت بعد هذا إلا الذين يعلمون أن منزلهم هو الملكوت وأن الموت عودة إلى البيت.

"فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة".

...

ليس الموت ما يظنّ الناس، وإنّما الموت عودة إلى البيت.

...

سؤال: هل يجوز القدح في الصحابي؟

* وهل الذين ارتدّوا كانوا مجوس، أليسوا صحابة وقد ارتدّوا بحسب زعم الناس.

ولو يعلم الناس باطن المقولات التي تُشاع بينهم لرجموا أحبارهم ورهناهم بالنعال والحجارة. ولكن الرضيع لا يرى من البحر إلا سطحه. ولن يُعذَر يوم الحساب على جهله احتجاجه بساداتنا وكبراءنا.

...

سؤال: ما الفرق بين المسلم والجاهلي؟

*المسلم يفكّر ثم يقرر ثم إن وافق ما عليه أهله ومن حوله كان معهم،

الجاهلي يقول أبي أبي ولعله لا يفكّر أصلاً وإن فعل فهو لتقرير ما عند أهله وإن تعسَّف وحرّف.

ألا ترى أن يوسف قال "إني تركت ملّة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون" ثم قال "واتبعت ملّة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب"

...

من أوهم نفسه بمصيبة أو مشكلة ثم جلب على نفسه الهم بسبب وهمه فهو من الذين يخلقون إفكاً. كم من صعوبة ليس لها مكان غير مخيلة صاحبه، من عرف عقله انمحق همّه.

...

سؤال: متى يتحقق العصر المسيحي؟

اليوم الجهال هم الكثرة والعلماء قلّة، إذا صار العلماء كثرة والجهال قلّة فقد قامت القيامة.

...

"لا يخرجنكما من الجنّة فتشقى" : بعد هذه الواقعة، صار بني ءادم بين احتمالين: إمّا أن يشترك كلّهم في العمل للمعاش بنحو متساوي فيقلّ الهمّ عن الجميع، وإمّا أن يعمل البعض على استعباد البقية وإجبارهم بالقهر أو بالمكر على العمل من أجل راحتهم ومتعتهم فيزداد الهمّ على الأكثرية ويقلّ أو ينعدم تقريباً-من هذا الوجه-عن الأقلّية. النوع الأوّل هو مضمون الرسالة النبوية، النوع الآخر هو مضمون

الفرعنة الجاهلية. والشائع أن الفرعنة والجاهلية سيتم إلباسها ثوب الرسالة النبوية حتى تذهب عن الأكثرية الرغبة في المقاومة والرفض والمحاربة الأبيّة.

وفي حديث في صحيح البخاري، مدح النبي صلى الله عليه وسلم عمل بعض الصحابة الذين يقسمون بالسويّة المال. وهذا إشارة إلى وجوب تقسيم المعاش، كسباً وغنماً، بالسوية بين الناس.

...

ثقل مسؤولية الحرية هو الذي يبرر آلام العبودية، أقصد يبررها عند العبيد.

...

أصل المشاكل: وضع حيوانات متعارضة المصالح في دار واحدة. (أقصد السباع والبشر)

...

لا تناقض بين هذه الآيات "ومن يقتل مؤمناً" و "الحر بالحر" و "النفس بالنفس".

الأولى أحكام الآخرة. الثانية أحكام الدنيا في القتل الجماعي. الثالثة أحكام الدنيا في القتل الفردي.

...

الوجود وَ العقل وَ القول وَ الفعل.

الوجود لا يملك أحد تقييده وتغييره من حيث هو وجود.

العقل كذلك من حيث هو عقل مختفي في الشخص.

القول حلبة الصراع على العقول، ولابد من تحريره مطلقاً.

الفعل حلبة صراع أقوى على التصرّف في الوجود، ولابد من تحريره من أكبر قدر ممكن من القيود.

...

يعاني الإنسان بسبب أخيه الإنسان أكثر بكثير جدّاً مما يعاني من جميع الأكوان. "وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون".

...

حين تقول لي نفسي الأمّارة: لا تعمل للمعاش واعمل على تسخير غيرك ليعمل لك.

أردّ عليها: لو فعل كل أحد أو حتّى الأكثرية ما تأمرين به، لهلكنا جميعاً.

...

الزراعة حركة، لكن النمو بعد سكون الزارع. كذلك تنمو نفسك ويزكو عقلك في فترات العطالة والباطلة، وليس في فترات الدراسة والمجاهدة. المجاهدة زراعة لكن الحصاد مع الراحة. مثل عضلات الجسم تنمو بعد الارتياح من الرياضة وليس وقت الرياضة وإجهاد العضلات. العاقل حيناً عامل وحيناً عاطل. "والضحى. والليل إذا سجى"

...

لو كانت حقيقة القرءان أنّه مجرد ألفاظ، لأنطق الله بها الجبال. لكن القرءان قوّة ونور لا يتحمّله إلا خواص الرجال. "لو أنزلنا هذا القرءان على جبل لرأيته خاشعاً متصدّعاً من خشية الله". تأمل "لو" الدالة على امتناع ذلك لسبب ذاتي حقيقي.

...

رأيت: انكسفت الشمس، وخرج من بطنها تنين ينفخ ماءاً، فسقى الأرض ونبتت أشجار سوداء، في أصل كل شجرة وجه يتكلّم، تتكلّم الأشجار مع بعضها، هبط التنين على الأرض فسجدت له الأشجار، تحوّل التنين إلى أسد أبيض له خصال ذهبية، رأر رأرة عظيمة فحلّ الربيع على الأرض، طيور في كل مكان، الطيور تتحرّك في شكل سهم في السماء، سافرت إلى المغرب، هبطت في بلدة كلّها قرود يركب

بعضهم ظهر بعض، ويضرب بعضهم وجه بعض، حلّ كل طائر على رأس قرد، فتحوّل إلى كتاب ثابت، جاء الأسد له جناحان فسكن وسط الكتب وهي حوله وهو مركزها، كلّما نظر في كتاب تضاعف حتى بلغت الكتب عنان السماء، وصار العالَم مكتبة كبيرة، سجد الأسد وبكى، فخرجت أسود من رحم الأرض، وصار الأسد يلعب معهم، وهم يلاعبونه، كبرت الأسود وكل واحد منها عاكف على كتاب، نزل صقر وسط الأسود، فضمّهم كلّهم بجناحيه واستوت الشمس فوق رأسه وأضاء نور عظيم من قلب الصقر فغطّى الأسود، فلمّا فتح الصقر ذراعيه، كان كل أسد منها إنساناً كاملاً.

...

ما فائدة إنجاب الأولاد؟

إن أردتهم من أجل التسلية، فأنصحك بشراء قطّة أو كلب.

إن أردتهم من أجل رعايتك حين تكبر، فأنصحك بشراء عبد أو خادم أو حتّى كفالة يتيم والإحسان إليه، أو حتّى أنصحك بالعمل على كسب ثروة جيّدة تستطيع بها تحصيل أي خدمة تريدها.

إن أردتهم لكسر وحدتك، فأنصحك بالتأمل وسلوك طريق المعرفة، ولو كنت كئيباً في وحدتك لا أراك أباً ولا أمّاً من الصالحين الذين يستحقون أو سيجدون محبّة أولادهم.

إن أردتهم لحفظ "جيناتك"-كما يقول العدميون-فأذكّرك بأنّك بعد أن تموت-حسب قولهم-لن تكون واعياً حتى تشعر بانحفاظ جيناتك من عدمها. ثم قد تنجبهم ويموتون قبلك. وقد تنجبهم ويموتون بعدك بدون أن يُخلّفوا أحداً بعدهم فينقطع نسلك من بعد جيل واحد أو جيلين.

إن أردتهم من أجل تكثير الصالحين في الأمّة، فنحن في زمن الطالح فيه أكثر من الصالح، وخطورة الفساد أقرب من الاطمئنان للصحة العقلية والإيمانية للمجتمع. والعمل على إصلاح الموجودين، من الأطفال والرجال، أولى من صناعة أولاد جدد والأمل في كونهم صالحين.

إن أردتهم من أجل الشعور بذكوريتك وأنوثيتك، فلو كان هذا شرطاً عند الله أو في الطبيعة، لما وجدنا أناساً مصابين بالعقم. ولو كنت تعتبر الرجولة والقيمة في القذف في رحم وهو شئ يفعله حتى أجهل وأغبى البشر بالإجماع والاتفاق، فتحتاج إلى إعادة النظر.

لا أعرف سبباً جيّداً للإنجاب وتحمّل مشاقّه الزائدة في هذا العصر مع ضيق الوقت في المشاغل للاهتمام بالأولاد، فيخرج عادة أولاد مصابين بأنواع العقد النفسانية بسبب انشغال أهلهم عنهم أو بسبب سوء التعليم والتربية في المدارس والبيوت والتلفاز ووسائل الإعلام عامّة.

...

عدم التعلّق بشئ يؤدي إلى التعلّق بكل شئ. معرفة شئ بعمق خير من معرفة أشياء بسطحية.

...

بدون أسلحة، لا حرية تعبير.

بدون ميليشيات، الأسلحة غير فعّالة.

الميلشيات خطيرة، ومن قال أن الحرية سهلة وبدون خطورة.

لا مخاطرة، لا حرية.

الخطر يولّد الخوف، الخوف يغسله دم مُسبب الخوف. إن تسببت في إخافة أحد، فتكون قد تخلّيت عن حقّك في الحياة. إن قتلت أحداً بسبب تعبيره، تستحق التعذيب ثم القتل. إن عذَّبت أحداً بسبب تعبيره، تستحق التعذيب بغير أمد محدود مع عرض تعذيبك على الناس. تسبب في الخوف، ستُقتَل. اقتل، ستُعَذَّب وتُقتَل. عذِّب تُعَذَّب.

هذا هو الطريق الوحيد للحرية والأمن معاً.

...
إن قبض عليك العدو، فما يفعلونه من خير أظهر لهم كرهك له، وما يفعلونه من شر أظهر لهم قبولك وإرادتك الزيادة منه. لأنّهم سيطلبون تعذيبك، فإن رأوك تضحك وتضرى سيكفوا، وإن رأوك ترفض وتكره سيزيدوا. وتذكّر أن صبر ساعة نصر دهر.

...
قال الوهابي: لماذا تقولون أن الله في كل مكان بينما الحق أن الله فوق الخلق لقوله تعالى "وهو القاهر فوق عباده"؟

قلت: إن كان الله فوقنا فنحن تحته، أليس كذلك؟

قال: بلى، نحن تحته وهو فوقنا على عرشه.

قلت: فكيف تفعل بقول الله "والظاهر والباطن" وتفسير نبي الله له في الحديث "أنت الظاهر فليس فوقك شئ وأنت الباطن فليس دونك شئ" فالدون عكس الفوق، أي هو التحت، فالنبي يقول أنه ليس فوق الله ولا تحته أي شئ.

فانقطع.

أقول: زعم بعض المحرّفين من الحشوية أن "الباطن" في حديث النبي هو الأقرب إلى خلقه. هذا باطل، وإنّما حملوه على ذلك لأنّهم أرادوا تثبيت خرافة التجسيم وأنّه جسم فوق عرشه. وقول النبي كاف شاف. "أنت الظاهر فليس فوقك شئ" فالكلام عن الفوقية، "وأنت الباطن فليس دونك شئ" فالكلام عن الدونية، والدون لفظة أخرى عن التحت، وكذلك تشير إلى عدم انفصال شئ عن الله كما تقول "لا تذهب من دوني" أي بدوني وبغيري وبانفصال واستقلال عنّي. ثم حديث النبي فيه كشف عن أنّه يذكر الشئ وضدّه، فذكر الأول فقال "فليس قبلك شئ" وذكر الآخر وهو ضدّ الأول وفسّره "فليس بعدك شئ" فالقبل والبعد من الأضداد، ونفى كلاهما عن حقيقة الله تعالى. كذلك في الظاهر والباطن أضداد، ونفى وجود فوق ودون أي تحت الله تعالى. والنظر في كلمة "دون" في القرءان تكشف عن هذه المعاني بجلاء. فنصّ النبي نفي شئ فوق الله ونفي شئ دون الله أي لا فوقه ولا تحته. ثم قد قال النبي في الحديث المشهور الذي سأله فيه شخص عن مكان الله قبل خلق الخلق فأجاب النبي "ما فوقه هواء ولا تحته هواء"، فبيّن النبي أن التحت ضدّ الفوق. وهذا شاهد من نفس كلام النبي على أن عكس الفوق هو التحت، وحتى حين يتكلّم عن الله تعالى تحديداً. فكما أنّه قال "فليس فوقك شئ..فليس دونك شئ"، كذلك قال "ما فوقه هواء ولا تحته هواء". ولولا أنّهم أرادوا إثبات شئ تحت الله، لما اختلقوا ذلك الباطل وحرّفوا كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا شاهد من شواهد كثيرة على أنّهم لا يبالون بالحق ولا بالنصوص كما يزعمون. لكن لهم حاجة في صدورهم الخبيثة يعرفها من عرّفه الله إيّاها وهي ما نبيّنه في الشذرة التالية إن شاء الله.

...
رأيت أني كنت في النار، وأني حملت حزاماً مكوّن من شرائط متعددة، تشبه الصور التي على شريط الفيلم المتحرّك، ولففت هذا الحزام حولي، وكنت مضطرّاً إلى النظر في كل شريط منها ولا أرى صورة معيّنة، لكن لابد من أن أمشي بنظري على كل مقطع من الحزام لا لغاية إلا لأصل إلى المقطع الذي بعده. وتعذّبت بذلك.

...

القول بأن الله منفصل عن العالَم يؤدي قطعاً إلى الطغيان وإنشاء القطعان. لأن صاحب هذه المقولة لابد أن يملأ العالَم بالله، وحيث أنه توهم الفراغ، فالنتيجة التي ستجدونها في أصحاب هذا المذهب أنّهم سيجعلون أنفسهم نواب الله، فمن لم يكن معهم فهو ضدّ الله تعالى. وهذه قاعدة كل طغيان سواء بشكله الديني أو الدنيوي، وإرادة الإنسان أن يكون راعياً وبقية الناس قطعان من البهائم تحت فكره وإرادته، ولهذا أشكال كثيرة جدّاً لعل بعض الملاحدة أيضاً يتمثّلها من حيث لا يشعر.

لكن القول بالوحدة الوجودية المطلقة لله سبحانه يؤدي إلى فرادة كل إنسان، بل كل شئ من الأكوان. لأنه لا شئ سيتم اعتباره بلا قيمة، ولا شئ سينحرم من تحقيق ذاته، ومركز الوجود سيكون في قلب كل موجود. وهذه قاعدة كل عدل وإحسان.

أساس الظلم هو الشرك (خصوصاً شرك الذين يعتبرون أنفسهم "موحدين"). وأساس العدل هو الوحدة.

...

الإنسان الكامل منتصر ومصلح ومنهزم، في آن واحد.

فهو منتصر على الكافرين. وهو متصالح مع المؤمنين. وهو منهزم أمام الحق الذي يمثّله رب العالمين.

فإيّاك أن تطلب غير النصر على الكافر، وغير الصلح مع المؤمن، وغير الانهزام أمام الحق.

لذلك قال "وانصرنا على القوم الكافرين"، وقال "إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم"، و قال "أكثرهم للحق كارهون" لأنّه ليس لهم "إن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين" أمّا أنت فأذعن للحق وإن كان ليس لك بل عليك قال قال تعالى "كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم".

...

الإكراه يحوّل الطيّب المحبوب إلى خبيث مكروه.

...

لابد من الاشتغال على تقليل أيام العمل للمعاش وساعاته بأكبر قدر ممكن مع عدم الإخلال بالقدر الحسن من المعيشة والصحة والتعليم. هذه على رأس قائمة الأولويات في الاقتصاد الإنساني.

...

للنكتة وظيفتان: الإضحاك وَ الإدراك. أمّا الإضحاك فيتم بمجرّد سماعها أو قراءتها، وأمّا الإدراك فيتم بتحليلها وتأملها. ابدأ بالإضحاك لكن لا تتركها حتى تتم الإدراك.

ومن هنا تفهم لماذا كلمة "النكتة" تعني الهزل والدقيقة العلمية في آن واحد.

...

إن انبعث الشتم، مات الفهم.

...

رأيتُ مجموعة من الحُمُر الوحشية، تسللت إلى منزل الأسد في حين غيبته، وخفت ولده الحبيب، وجاء الأسد ورأى ما حصل فذهب يبحث عن ولده، فتلقّاه رسول ملك الحمير وأخبره أن يأتي معه إن أراد أن يرى ابنه سالماً. فذهب معه، ودخلا على الملك فقال له الملك "إن أردت ابنك سالماً، فعليك أن تنفذ ما آمرك به"، ومن شدّة حبّ الأسد لابنه رضي بالذل وقال "أفعل، فماذا تريد". قال "أريد أن أرفع من معنويات ابني، الحمار الأكبر، وذلك بأن نرتّب لمصارعة بينك وبينه، وأريدك أن تهرب من أمامه حين يظهر".

فاغتاظ الأسد لكنّه وافق على مضض، إذ لمّا فكّر بالرفض تراءى له ابنه فوافق. تم ترتيب الأمر، وحضر الأسد، وجاء ابن ملك الحمير، وهو هزيل وضعيف ويبدو أنّه مخنّث، وحوله أصحابه يصرخون تشجيعاً له وتقوية لعزيمته. فلما اقترب من حلبة المصارعة، أظهر الأسد الخوف والتردد والرعدة، وهرب من أمام

وجهه قائلاً له "لا أصبر على مواجهتك". بدأت الحمير-التي لا تعرف حقيقة الأمر-تصيح وتصرخ وازداد تعظيمها لابن ملكها الحمار الوحشي. وشعر ابن الحمار أنّه عظيم وقوي، فبدأ من بعد ذلك اليوم يتبختر ويرى أنّه ملك الغاب الحقيقي. في إحدى الأيّام، من شدّة اعتزاز ابن الحمار بنفسه، قرر الخروج إلى الغاب وحده، بدون حرس ولا سابق إنذار لأحد، وأراد مواجهة الأسود حتى يصرعهم واحداً تلو الآخر. فلمّا وصل إلى مقرّ الأسود، استغربوا من قدوم هذا الحمار بملئ إرادته إليهم، وكانوا يتناولون الشاي ويتحاورون حين قدم عليهم. فقال أحدهم "ما الذي جاء بك يا ولي عهد الحمر الوحشية". فقال بقوّة وانتفاخ "أنا سيّدكم كلّكم، وأريدكم أن تسجدوا لي إقرارا بقوّتي". فانفجر الأسود بالضحك، واستلقى نصفهم على ظهورهم، والنصف الآخر انقسموا فمنهم من تطاير الشاي من أنفه من فرط الضحك، ومنهم من ذُهِل لدرجة أنه حملق في الحمار يتأمل سرّ الخدعة، وهكذا كانوا بين ساخر ومتفكّر. فتقدَّم الحمار نحوهم، كأنّه يريد قتالهم حقّاً. فنظر الأسود خلفه فلم يجدوا أحداً معه، فعرفوا أنّه مجنون. فقال أحدهم له "رأيي أن ترجع إلى أبيك قبل أن نأكلك، فقد اقترب موعد الغداء". فقال الحمار الواثق "بل أنا الذي سآكلك، مثل ما كنت سأفعل بصاحبكم الذي فرّ من أمامي". فلمّا قال ذلك، وعرف الأسود القصّة التي حدثت لصاحبهم، احمرّت أعينهم من الغضب، واندفعوا نحوه، ولم يرحموه حتى رحمة الأكل، بل ضربوه وعضّوه ولم يبقوا في بدنه موضعاً لم ينالوه بجرح، والحمار مذهول في حالة دهش شديد مما يحصل له وبدأ يتذوّق مرارة الواقع. وبعد أن أوسعوه ضرباً وعضّاً، تركوه يرحل حتى يكون عبرة لأبيه المجرم وقومه الحمير المتوحشين. وكان والده ومن معه في قلق مُذ عرفوا غيبته وذهابه إلى الغابة وحده. فلمّا عاد إلى البلدة، انهارت النساء، وبدأ الحمير بالبكاء والصراخ مما حدث لولي عهدهم، وصُعِقَ الملك وبدأ يتبوّل على نفسه من الخوف لأنّه توقّع هجوماً من الأسود بعد هذه الرسالة المبطّنة التي أرسلوها إليه في صورة دماء ولده. أمّا الحمار الأكبر فمن شدّة الخزي والعار الذي شعر به والصدمة التي حلّت به، اعتزل كل أحد في حظيرته الخاصّة ورفض التكلّم مع الجميع. بعد فترة من العزلة، قرر التحدّث إلى حكيم الحمير ليعرف سرّ ما حدث له. فلمّا جاءه، قال الحكيم له "بدأت مصيبتك، عندما لم تعرف قدرك. بدأت مصيبتك، حين لم تفهم سبب هروب الأسد من مواجهتك. بدأت مصيبتك، من استحقار من يستحق التعظيم وتعظيم من يستحق الاستحقار". فقال له "ولماذا يا حكيم قمت بذلك؟" فقال له بلهجة ساخرة وهو يضحك "لأنّك حمار ابن حمار!" وقهقه وخرج من الزريبة.

...

حين تتجادل في مكان غير معمول للمجادلة، مثل ما يسمّى "وسائل التواصل الاجتماعي"، فالنتيجة ستكون أوّلاً التشعّب، ثانياً التعب، ثالثاً الشخصنة، وأخيراً المقاطعة.

أمّا التشعّب، فلأنّك ستذكر شيئاً، وسيردّ عليك خصمك بثلاثة أشياء، وحتى تردّ أنت على هذه الأشياء الثلاثة، ستحتاج إلى ذكر خمسة أشياء، هذا على سبيل التقريب، ثم سيردّ على الخمسة بسبعة، وأنت ستردّ بعشرة، وهكذا حتى تدخلوا في شعب كثيرة.

بعد التشعّب سيأتي التعب، ستتعبوا من القراءة والمتابعة، أو الكتابة والتوتر الحاصل من مشاهدة الناس لكم أثناء المجادلة، فسيأتي التعب. وبعد التعب سترغب النفس في قطع الكلام بأقرب طريق، وعادة ما يكون-بسبب عدم حضور المتكلّمين في محلّ واحد أو جهل بعضهم بأشخاص بعض عادة في مثل هذه الوسائل-فالنتيجة ستكون الشخصنة.

الشخصنة هي الطعن في الأشخاص، ونسيان الموضوع الرئيسي والتحوّل إلى الشتائم والسباب والعنصرية والطائفية وما إلى ذلك من علامات جاهزة مقرونة بالسلبية يلصقها المتكلّمين ببعضهم ويسعون في جرح الفكرة بالطعن في المفكّر.

وبعد الطعن في الأشخاص، ولثبوت تغاير الشخصيات وتضادّها، سينتج التقاطع. وقد يكون الجدال بين أسرة واحدة، أو أصحاب، أو معارف، وينتهي كذلك بالتقاطع. إلا ما رحم الله.

وقد جرّبت هذا الأمر أكثر من مرّة، وانتهى دائماً بهذه السلسلة، التشعب فالتعب فالشخصنة فالمقاطعة.

وأحد أسباب التشعب هي حقيقة أنّك كلّما أردت إثبات شئ، تحتاج إلى إثبات قواعده وأصوله في حال طعن شخص في تلك النتيجة الأولى التي بدأت بها. فأنت ستتكلّم عن أ، لكن أنت في الواقع لم تقل بهذه أ إلا بعد أن استقرّ عندك ب و ج و د و ك و ن وغير ذلك من أفكار وقيم واختيارات وهوى. فانتهيت إلى أ. فحين تذكر أ، سيبدأ خصومك بالحفر والطعن والتدقيق، وحتى تثبت له ذلك ستحتاج إلى شرح أفكار أخرى غير أ، وقد يطعن فيك بأنك تتشعب وتهرب من أصل الموضوع وتغيّر الموضوع، والواقع أنك تتكلّم عن قواعد الموضوع والأصول التي أوصلتك إليه، ثم سيردّ هو على ذلك وهكذا تستمر السلسلة النارية.

بينما، في تجارب أخرى لي، اكتفينا بذكر ما عندنا، بدون أي جدال، وأقصى ما في الأمر إن أراد أحد المتلقّين السؤال فإنّه يسأل ببرود وعن نقطة معيّنة مستفسراً عن معناها أو راغباً في الاستزادة منها لإيضاح موقفك وفكرتك. في مثل هذه التجارب، كانت النتيجة مزيد تواصل ومحبّة وتفاهم. ليس لأن المتلقي يقبل كل ما يلقي الملقي، بل لأنّه يأخذ ما يريده منه ويترك ما لا يريده ويعارض عقله وهواه. وهذه المنّصات غير ملائمة عادة لمثل هذه الخصومات الطويلة وتفصيل القضايا المعقدة التي تحتاج إلى مجلدات لشرحها.

ولذلك انتهيت إلى هذه النتيجة بعد تجارب أكثر من خمس سنوات. إمّا أن تكون المنصّة معمولة لمجرّد عرض المواقف، بدون أي تعليق إلا الاستفسار عن الموقف وليس لمعارضة الموقف. وإمّا أن تنشأ السلسلة النارية، وهي التشعب فالتعب فالشخصنة فالمقاطعة.

أمّا معارضة المواقف العقلية والقيمية، فهذه محلّها الكتب بشكل رئيسي.

فإن قلت: فماذا عن المناظرات العامّة الشفهية. أقول: هذه أيضاً في الواقع منّصات لإيضاح المواقف، وذكر كل طرف لما عنده، ونادراً ما ينتج فيها الجدل الطالب للغلبة فائدة تُذكَر. خصوصاً إذا كان الجمهور من عوام الناس، فإن التشعب سيتعبهم، ولن يؤدي إلى فائدة تذكر معهم. وقد شاهدت من هذه المناظرات ما يكفي للتأكد من هذه النتيجة السلبية عموماً. ولا أعرف مناظرة إلى الآن أشبعت فيّ رغبة معرفة المواقف ونقدها، سواء كانت مناظرة دينية أو سياسية أو غير ذلك. أحسن طريق لمعرفة المواقف ونقدها هو طريق الكتب. في الكتب، تأخذ وقتك في استيضاح الموقف وحججه والحجج المضادّة له، وتتأملها في خلوتك وتتخذ منها موقفاً معقولاً لك ومريحاً لنفسك. بالمناسبة، بعض الناس أقرأ كتابه وأشاهد مناظراته، فأجد مناظراته أضعف بكثير جدّاً، بل تختلف إلى درجة أنّي أكاد أعتقد أن الكاتب غير المتكلّم المناظر. والواقع أنّه نفسه، لكن أثناء الكتابة يظهر أشرف ما في عقله، وأثناء المناظرة الشفهية والجماهيرية يظهر أضعف أو أوسط ما عنده. أثناء الكتابة العقل أخلص، أثناء الاجتماع وما يحدثه من لغط ومغالطة وعواطف وتوتر وقلق العقل مختلط بكدر كثير لا أعرف شخصاً صفا منه. والوقت المحدود للمناظرات عائق ومكدّر آخر وحجاب إضافي على الفكرة. ولذلك، في أحسن الأحوال، لابد من

تحديد موضوع المناظرة في سؤال دقيق وفي موضوع محدد تحديداً شديداً، ويتم اختصار الكلام في ذكر الحجج ونقدها. ومع ذلك، لا يكون هذا إلا نوع دعوة إلى كتاب المُناظر حتى يرجع الناس إليه واستيضاح كامل موقفه من فكرته وأسباب ردّه لأفكار غيره. غير ذلك لا ينتج ثقافة، وإنّما ينتج ظلال ظلال الثقافة، أو-وهي العادة-الغوغائية الجماهيرية في ثوب الثقافة وهي أسوأ أنواع الغوغائية.

...

رأيت مجموعة من الأسود، ذكور واناث، كبار وصغار. كانوا فقراء في الغابة. وبسبب فقرهم توحدوا ودافع بعضهم عن بعض.

في يوم من الأيام، وصلوا الى منطقة في الغابة فيها شجرة سحرية تنبت لحم. وحول الشجرة حشيش كثير. كان اللحم يكفي كل الأسود بالتساوي، لكن بعض كبار الأسود طمع وأراد أن يحتكر الشجرة لنفسه. اجتمع مع السفلة مثله، وقرروا يذبحوا كبار الأسود المخالفين والمنافسين لهم. وفعلا، في ليلة من الليالي هجموا عليهم وقتلوهم. اخذوا لبواتهم وخلوهم خدامات، واخذوا الاشبال الصغار وخلوهم حراس للمنطقة.

واجهت العصابة مشكلة. الاشبال اليوم صغار لكن بكرة حيصيروا أسود ينافسوهم. فما العمل؟ قرروا أن يقنعوا الصغار أنهم خرفان وليسوا أسود. كيف؟ أولا، نزعوا مخالبهم، وكسروا انيابهم. ثانيا، البسوهم جلود خرفان واقنعوهم بالتكرار ان هذه هي جلودهم الحقيقية.ثالثا، مسخوا أذهانهم حتى لا يفكروا مثل الاسود، وعلومهم طرق تفكير الخرفان. رابعا، خلوهم اعتادوا على أكل الحشيش بدلا من اللحم.

وفعلا،مع الوقت والعادة، بدأت هذه الأسود تتصرف كالخرفان. وكلما قابلهم اسد في الغابة، واستغرب من شكلهم وأعمالهم وسخافتهم وتفاهتهم، كانت ردة فعل الأسود المستخرفة هي بالعكس، يعني صاروا هم يستغربون من الأسود الطبيعية ويعتبرونها ممسوخة وجادة زيادة عن اللزوم وعنيفة وبشعة.

في يوم من الأيام، بعد انتشار خبر الأسود المستخرفة في مجتمعات الأسود السليمة، قرروا تضامنا مع إخوانهم في الجنس الحيواني، ان يفعلوا شيئا لتغييرهم وارجاعهم إلى حالتهم الطبيعية. فاجتمع حكماء الأسود ليتداولوا في القضية ويضعوا مخططا مناسبا. وهنا بدأ الاختلاف.

فمنهم من اقترح مهاجمة العصابة صاحبة الشجرة السحرية، وقتلهم، وإعادة تربية الأسود المستخرفة المقهورة. جربوا هذه الخطة وفشلت. لأنه في اللحظة التي اعلنوا فيها الحرب على عصابة الشجرة السحريةوالهدف من الغزو، وقفت الأسود المستخرفة في وجههم ودافعت عن العصابة وعن البلدة أشد دفاع، وانكروا أن يكونوا قد تعرضوا لأي عملية مسخ. فتراجع حكماء الأسود عن هذه الخطة.

اقترح حكيم آخر إرسال أسود بطريقة سرية لمحاولة اقناع الأسود المستخرفة بما هم فيه والرجوع إلى عزة الأسدية. ارسلوهم فعلا، لكن رجعت الرسل بتقرير مخيب للآمال. قالوا، اننا لم نستطع التفاهم معهم، لأننا كلما رأيناهم بعقلية الأسود الواضحة والجدية، ردوا علينا باجوبة المستخرفين الاعتباطية الخرافية. لا يهتمون بالأدلة الواقعية، ولا ينظرون في أنفسهم يتفكرون في طبيعة عقولهم. همهم كله أكل الحشيش، ولا يفهمون شيئا من العلوم الحقيقية.

بعد هذا التقرير، احتار الحكماء. وسبب حيرتهم هو ان طرق التغيير من الخارج اثنان لا ثالث لهما. الأول عنيف وهو المحاربة. الثاني لطيف وهو المخاطبة. والذي يرفض التغيير بالمحاربة وبالمخاطبة، لا يمكن تغييره من الخارج. وحينها قرر الحكماء عقد اجتماع أمة الأسود العام لإعطاء النتيجة النهائية. اجتمع الأسود فتقدم أحد الحكماء لإعطاء النتيجة وقال ما خلاصته:

حاولنا تغييرهم بالغزو فلم يرضوا. حاولنا تغييرهم بالكلام فلم يسمعوا. الواجب ؛ تركهم كما هم ، أسود مستخرفة ، زاهدة في العزة ورافضة للمعرفة. نأخذ من حالتهم العبرة، ولا نسكب عليهم من دموعنا قطرة.

...

الحوار إن لم ينطلق من مركز مشترك، لا ينتج إلا التقاطع. لأن كل نقطة يمكن اعتبارها مركزاً، والحكم على بقية النقاط على أساسها. فتختلف الأحكام لاختلاف المراكز.

...

التقليد في الضرورة، الاجتهاد لإيصال المعنى للآخرين، الكشف للسعادة الذاتية.

الكشف يمكن تقطيعه إلى مسائل اجتهادية، أول لا أقلّ بعضه.

الاجتهاد ظنّ مهما قوي، لأنه عادة استقراء ناقص، أو مدخول بالهوى الخاص فهو رأي يختص بصاحبه مهما حاول تعميه.

تقليد المجتهد تمسّك بظلّ الظلّ. تقليد المُكاشف أولى.

....

ألفاظ القرءان ظلّ حقيقة روح القرءاَن. القرءاَن قوة وجودية خارجية تخرج من الظلمات إلى النور، مباشرة أو بوسيلة الله والملائكة والنبي وصاحب الولاية الخاصة. "لو أنزلنا هذا القرءاَن على جبل" لو كان اللفظ هو القرءان، لكان بالإمكان إنزاله على جبل، بل لعل الأحكم كان إنزاله على جبل لا ينام ولا يمكن كسره مثل البشر، ومحايد لن يتهمه أحد في نواياه وهواه. كما قال الرازي في مجادلة الملحد، كتب الأنبياء فيها قوة كامنة مثل القوة التي في المغناطيس لجذب الحديد، أي قوّة كونية واقعية، وليست مجرّد ألفاظ هوائية. لذلك هو "كلام" أي يحدث تأثيراً في الغير.

القرءان قوّة غير فاعلة إلا بإذن الله وحضور الولي. "لا نكاح إلا بولي"، فلا يحدث الجمع بين حقيقة القرءان وقلب الإنسان إلا بوسيلة الولي. فأعلى الناس الولي هو الله مباشرة، ثم تتنزّل درجات الأولياء.

...

رأيت باباً في الهواء، فطرت إليه، وإذا مفتاح الباب حرف القاف، فوضعت فمي على القفل وقرأت حرف القاف فانفتح فإذا وراءه تسعة عشر ألف عالَم من نور، لا يستوي نوران ولا يختلف نوران. والكائنات فيها على أشكال الحروف العربية، وكلّما سلَّم أحدهم على صاحبه تكوّن من سلامهما عالَم جديد. فدخلت في هذه العوالم فازدادت نفسي استنارة إلى ما لا نهاية.

...

إن أردتم الانتقام من عدوّي، لا أنتقم منه.

إن لم أردت الانتقام منه، أنتقم منه.

لأنّي حين لا أنتقم، الله ينتقم لي، وانتقامه أعظم. فإن أردت الانتقام أترك الانتقام لله. وشرط هذا أن لا تتكلّم وتصمت وتُسلِّم.

أمّا حين لا أريد الانتقام لنفسي، فإني أنتقم ممن ظلمني وأعاجله بانتقامي الضعيف والعادي. حتى لا ينتقم الله منه فيهلكه.

...

لابد للإنسان من الكتابة، لأنه لا يوجد أحد يريد أو يتحمل سماع كل كلامك وما في نفسك على مدار اليوم. وهذا أحد أسباب الطغيان، إذ الطاغية يريد تسخير الغير للسماع له وإظهار القبول. الطاغية يريد البشر أن يكونوا كالورق له، يكتب عليهم ما يشاء. فلو تعلّم الكتابة، لكان خيراً له ولغيره.

...
كلّما جادلت العوام، ترحمّت على الغزالي الذي قال بوجوب إلجام العوام عن علم الكلام.
مجادلة العامّي تزيده ضلالاً، ويظنّ أنّه على حق حين يرى ظهوره عليك أو مخاصمة أهل العلم والفكر لبعضهم البعض.

...
دخلت إلى مزرعة قهوة، ووجدت حيوان الزبّاد (لواك) المعروف بأنّه يبلع البنّ ثم يخرجه مغلّفاً بخرائه وهو أثمن أنواع القهوة في الأرض اليوم. وجدت الزبّاد في قفص، محبوساً وحده وليس معه إلا حبوب البنّ التي يأكلها حتى يصنع منها القهوة الفاخرة. نظرت إليه وأشفقت على حاله وحبسه واستغلاله في انتاج القهوة بهذا الشكل. فسألته "يا أخي، ألا تحبّ أن تتحرر من هذا القفص والعبودية التي أنت فيها؟" فردّ عليه بلهجة حادّة "ومَن قال لك أني مسجون ومستعبد ! أنا أعيش في سكن يؤمنه لي صاحب المزرعة، ويوفّر لي الغذاء الذي أحتاجه، وأعيش آمناً من اعتداء الحيوانات عليّ في هذا القفص فالحمد لله على الأمن والأمان الذي لا أجد مثله لو كنت متحرراً في الغابة. فصاحب المزرعة يحبّي ويهتمّ بي ويرعاني وينظر في ما أحتاجه ويحميني." بعد أن قال هذه الكلمات، سكتّ برهة، ثم قلت له "نعم، من أجل الخراء الذي تنتجه، لا من أجلك. ولو توقفت عن انتاج الخراء الفاخر لهم ستعرف حقيقة محبّتهم ورعايتهم لك".

...
شرح كل كلمة يحتاج إلى شرح الوجود كلّه ورؤيتك له وهواك فيه.

...
(حتى أنت يا بدوي !)
إن كان شئ سيجعلني أُصاب بالإحباط من تحقق الحرية في بلادنا العربية والإسلامية، فهو هذا.
الدكتور عبد الرحمن بدوي. لا ينتهي إعجابه بالتنوير والإنسانية. وهو بعد مؤلف يريد لنفسه حرية التعبير بالضرورة، ويكره أن يتعرّض له أحد في ما يكتبه وينشره ويتكلّم به. هذا طبيعي.
في كتابه "سيرة حياتي" الجزء الأوّل صـ ١٧٢، تكلّم عن زيارته للبنان، فقال منتقداً {فقد كان في لبنان رؤوس عديدة تحكم وتتحكم كما يحلو لها دون قانون ولا ضابط ولا وازع. وكان القتل أو الضرب المبرح من الأساليب التي يلجأ إليها رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء وغيرهم من مدّعي السلطان للتنكيل بخصومهم السياسيين. ولهذا قامت في بيروت جماعة تسمى بـ "القبضايات"- وغالبيتهم من العتالين في ميناء بيروت-تعمل لحساب هؤلاء} أقول: إذن التعرّض بالضرب لأي شخص بدون قانون ولا ضابط هو من الأمور السلبية. حسناً. لنكمل.
في نفس الكتاب، نفس الجزء، قبل ذلك بصفحات، صـ١٢٠ إلى ١٢١، بدأ يتكلّم عن انضمامه إلى حزب "مصر الفتاة"، وتحدّث عن رغبة هذا الحزب في العمل على استقلال مصر وتحريرها بأنفسهم. وتكلّم عن عملية ضرب أوقعها طلاب الجامعة ضد كاتب تابع لحزب الوفد المكروه لهم هو حسين نسيب. {وقرروا أن يقابلوه بالضرب المبرح. وقد كان. لقد استدرجوه وحملوه على الأعناق من لدن دخوله من الباب الكبير للجامعة، حتى إذا اقترب-محمولاً على الأعناق-من النصب التذكاري للشهداء في قلب حرم الجامعة، حتى طرحوه أرضاً من فوق أكتافهم، وانهالوا عليه ضرباً بالعصي وقطع الخشب والركل بالأقدام، ولم يخرج من الجامعة إلا محمولاً على نقالة إسعاف والدم يتساقط على وجهه وهو يصيح: حرام عليكم ! لقد كنت زعيماً للطلبة على عهد سعد باشا. فما زادهم هذا الاسترحام إلا تهكماً عليه وسخرية، هو وزعيمه السابق وزعيمه الحالي.} انتهت الفقرة. أقول: ولم يستنكر الدكتور عبد الرحمن

بدوي هذه الجريمة والعدوان بالضرب المبرح على رجل بريئ لمجرّد أنّه كاتب تابع لحزب مكروه لهم. فكونه كاتباً لحزب الوفد هو سبب تعرّضه للضرب المبرح على أيدي هؤلاء المعتدين. والدكتور بدوي ليس فقط لا يستنكر ذلك، بل يذكره بنبرة موافقة وقبول. وعدم استنكاره له هو بحد ذاته اشتراك معنوي في الجريمة. لكن قد تقول لي: لعله لا يقصد موافقته على هذا الاعتداء على كاتب من أجل شئ كتبه لحزب معارض، فليس بالضرورة أنّه يوافق على ذلك الضرب المبرح الذي وقع عليه. سأردّ عليك: يا ليت كان كذلك، وقد كنت آمل أن يكون كذلك، بالرغم من أن السياق وطريقة التعبير تخالف ذلك، لكن بالرغم من هذا فإنّي لم أقرر بعد أنه كان موافقاً وراضياً بمثل هذه الحادثة...إلى أن أكملت القراءة !

بعدها بعشرة صفحات تقريباً، صـ١٣٣، كشّر عن أنيابه وكشف عن نظام قيمه في هذا الشأن. فبعد أن قال عن عباس العقاد {وقد كان العقاد طول حياته مأجوراً لحزب من الأحزاب} قال بدوي {ثم انكفأ بعد ذلك يهاجم مصر الفتاة. فلمّا كتب أوّل مقال، تشاورنا في مصر الفتاة بماذا نردّ. فرأى صبيح أن يكون ذلك بالرد القاسي في مجلّة مصر الفتاة، وكتب فعلاً مقالاً بعنوان "العقاد جهول يريد أن يعلّم الناس ما لا يعلم" فكتب العقاد مقالاً آخر أشدّ وأعنف.} أقول: إلى الآن، الأمر سليم. كتابة ضدّ كتابة، كلمة ضد كلمة، فكرة ضد فكرة. إلى الآن، حرية تعبير تواجه حرية تعبير. لكن تأمل الآن في اقتراح هذا الدكتور المستنير، عبد الرحمن بدوي، الذي صار يذمّ قبضايات بيروت لاعتدائهم غير القانوني على الناس من أجل مصلحة النظام السياسي القائم. قال بدوي سوّد الله وجهه في هذا المقام {وكان من رأيي أن العقاد يرحب بالمقالات، فلا علاج له عن هذا الطريق، بل لابد من استخدام العنف معه لأنّه لا ردعه غير العنف. وأخذ برأيي اثنان من أعضاء الحزب، احدهما هو الذي كان قد أرهب قاضي الإحالة، فتربصا للعقاد وهو عائد إلى بيته رقم ١٣ شارع سليم في مصر الجديدة، وانهالا عليه بالضرب والصفع والركل، وأفهماه أن هذا تأديب مبدئي بسبب مقالين ضد مصر الفتاة، فإن عاد، عادا إليه بما هو أشدّ نكالاً. وأحدثت هذه "العلقة" أثرها الحاسم، فخرس العقاد خرساً تاماً، ولم يعد إلى الكتابة ضد مصر الفتاة.} انتهى كلامه أخزاه الله. أقول: الخطأ الإملائي في كلمة "عن هذا الطريق" والذي ينبغي أن يكون "من هذا الطريق"، وكذلك الخطأ الآخر "لأنه لا ردعه غير العنف" والذي ينبغي أن يكون "لأنه لا يردعه غير العنف" هو هكذا في طبعة الكتاب نفسها، وأذكر ذلك لأن الكتاب تقريباً خالي من الأخطاء الإملائية إجمالاً، ومن الغريب أن نجد خطأين في سطر واحد وهو نفس السطر الأسود القبيح، وأحسب أن هذا من رغبة ناسخ هذا الكتاب اللاشعورية في تغيير هذا الموضع، أي كأنّه كان يتمنّى عدم وجود هذا السطر، فأخطأ لاشعورياً خطأ يعبّر عن رغبته. والله أعلم. لكن الأهمّ من ذلك وهو محلّ الشاهد، أن الدكتور بدوي يتحدّث عن دعوته إلى العنف ضد كاتب من أجل كتابته، وكأنّها أمر عادي. ولا يتحدث عن أنّها زلّة أو جريمة ساهم فيها معنوياً في الماضي، أي قبل كتابة سيرته بنحو أربعين سنة، ثم يستنكر ذلك ويعلن براءته من مثل ذلك الفعل العدواني. كلّا. بل يتكلّم بكل فخر واعتزاز وكأن "العلاج" الذي داوى به مرض العقاد، هذا الخبيث الذي كان يكتب ضدّ حزبه ويحبّ المقالات والجدالات الكلامية ويرحب بالمقالات المضادة له، "يرحب !" حسب تعبير بدوي نفسه، ويردّ على الكلام بالكلام، هذا العقاد "المريض" لم ينفع معه إلا وصفة دواء وضعها دكتور التنوير والفلسفة الحديثة والمبغض لل"قبضايات"، ويفتخر بأنّ العلاج ب"العلقة" كان له الأثر الحاسم الذي غيّر من كيمياء عقل العقاد فحوّله من متكلّم شديد وعنيف، إلى حالة عبّر عنها بدوي بهذه الكلمة {فخرس العقاد خرساً تامّاً ولم يعد إلى الكتابة ضد مصر الفتاة}. إذن من يتكلّم ضد حزب بدوي مريض، وعلاجه هو علقة مكوّنة من أعشاب {الضرب الصفع والركل} وعليها رشّة {أفهماه أن هذا تأديب مبدئي بسبب مقالين ضد مصر الفتاة، فإن عاد،

عادا إليه بما هو أشدّ نكالاً}. بذلك يمكن تحويل حتى كاتب وأديب مثل عباس محمود العقاد إلى شخص مصاب بالخرس التام، ولله الحمد !!

موقف عبد الرحمن بدوي هنا من حرية الكلام والكتابة، هو الموقف النموذجي في بلادنا. فحتّى من أعتى "المثقفين والتنويريين والمتفلسفين المستغربين"، نجد الموقف البدائي الساذج والأناني الطفولي الصرف، وهو موقف يمكن تلخيصه هكذا: إذا كان الظلم ضدّي فلعنة الله على الظالمين، وإذا كان الظلم لي فإنّما أنا من المصلحين. فالعدوان بالضرب المبرح على الأبرياء أو على المتكلّمين والكتّاب جريمة إلا إذا كنّا نحن الذين نأمر ونقترح مَن المضروب فحينها هي خير ومصلحة وحسن سياسة. باختصار، الموقف الذي يمكن أن يتّخذه حتى أصغر وأغبى الأطفال في الملعب: إذا أردت اللعبة فيحق لي سلبها من أي طفل، لكن إذا كانت اللعبة بيدي فلا يحق لأحد سلبها منّي. أنا محور الكون والقِيَم وميزان الحقيقة والعدالة. حتّى بعد تأليف وترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي لمائة وعشرين كتاباً، حتى كتابة هذه السطور المشؤومة التي نقلناها عنه، وهي الكتب التي يفتخر بها أيّما افتخار ويعتزّ بها أيّما اعتزاز، وحُقّ له ذلك من وجه، فإنّه لم يخرج عن العقلية الطفولية في التعامل مع خصومه. اضرب خصمك، واحذر أن يضربك خصمك. والسلام.

مثل هذا الموقف، من مثل هؤلاء المثقفين والمستنيرين فلسفياً، هو السبب الوحيد الذي يمكن أن يقتل الأمل في نفسي من وجود حرية في بلادنا، إذ أبرز الحريات وأكبرها وأظهرها والشاهد على وجود جوهر الحرية في المجتمع هي حرية الكلمة، وحرية الكلمة لا تعني شيئاً إذا كانت الحكومة أو قبضايات الحكومة أو-ما هو أسوأ-زعران أشباه الأحزاب التافهة، يمكن أن يعتدوا على الكاتب من أجل كتابته والمتكلّم من أجل كلامه والصحفي من أجل خبره والناقد من أجل رأيه والمتدين من أجل مذهبه والسياسي من أجل دعوته. ضرب المتكلّم من أجل كلامه هو ضرب للحرية في مقتلها. وحين تصدر مثل هذه الآراء الشنيعة من أمثال الدكتور عبد الرحمن بدوي، بدون استنكار أو توبة، بل بافتخار وعزّة، فحينها يحقّ لأحرار بلادنا أن يقولوا: الهجرة أو المقبرة !

...

في زمن السلام، المحظوظ مَن كان صحيحاً في بدنه ليتمشّى في الأرض، وَ فصيحاً في لسانه ليتكلّم مع الناس كما يشاء، وَقليلاً في نومه ليستمتع بحياته. لكن في زمن الحرب والفتنة، الباردة أو الحارّة، المحظوظ من كان ينام كثيراً ويرى المرائي الحسنة، وَ يملك كسب معاشه بنفسه ليعيش قدر المستطاع حياة كريمة مستقلّة، وعنده مكتبة جيّدة ليتسلّى بها في العزلة، وعقل يتخفّى وراء الأمثلة.

...

دوري التسطير بالقَلَم، ودورك إعمال الفَهم. وهذا جواب معقول في نظري، لأن الكلمة الواحدة قد يسمعها عشرة فيفهموا منها لا أقول عشرة أشياء مختلفة بل أربعين شيئاً مختلفاً. ودعك من كلامنا، هذا حديث لأفصح العرب يقول فيه "أنزل القرءآن على سبعة أحرف" فنظر فيه أهل العلم والنظر فخرجوا في فهمه بنحو أربعين رأياً مختلفاً، حتى قال واحد من متأخريهم حين سألوه "ماذا صحّ عندك في فهم هذا الحديث؟" فأجابهم "صحّ عندي أنه لم يصح عندي فيه شئ". وهذا واحد من الشعراء المتقدّمين، قال بيتاً فاعترض عليه بعض طلبة العلم بسبب عدم قدرته على فهم وتخريج شئ من البيت، فردّ عليه الشاعر "علينا التنزيل وعليكم التأويل". أي علينا إلباس المعاني ثوب المباني، وعليكم خلع حجاب المباني لإدراك المعاني. أو بعبارة أخرى، أنا أتكلّم وأنت افهم. ومن أجل هذا الأصل، قالوا قديماً "ناقل الكفر ليس بكافر"، فليس كل متكلّم بكلام يكون مسؤولاً عن مضمون الكلام خصوصاً لو أنه مجرّد ناقل ومخبر عن

شئ أحدثه غيره فيه. وكذلك يمكن أن نقول، حاكي الجريمة ليس بمجرم، كما تفعل كتب التاريخ والجدل ووكالات الأنباء والصحف الإخبارية مثلاً، حيث تنقل وسائل الإعلام الأخبار كما تلقّتها أو كما حدثت أو كما شاهدها الصحفيون بحسب منظورهم الخاص بهم، ثم على القراء التعامل مع المنقول وتحليله والاستفادة منه كُلّ واحد بطريقته وما يصلح له. والردّ على الكلام الباطل يكون بكلام حق، والردّ على كلام يدعو إلى السوء هو بكلام يدعو إلى الحسن، وإبطال مفعول الكلام الخاطئ يكون بدواء مصنوع من الكلام الصائب.

...

رأيت أنّي أدعو أهل البيت إلى أرض طيبة للزراعة والعيش، وجاءوا وأقمنا مجتمعاً مركزه طلب وإنشاء المعرفة، ودخلت عليهم يوماً وهم في المكتبة الكبرى يقرأون ويدرسون، فخررت ساجداً عند الباب حين رأيت وبكيت من الفرح.

...

إن سلبوا منك قوّتك الاقتصادية، فكأنّ بيضك قد قُطِع.

وإن سلبوا منك قوّتك العسكرية، فكأنّ رأسك قد قُطِع.،

"ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعكم، فيميلون عليكم ميلة واحدة".

...

أيّهما أولى أن تركّز على الاهتمامات العقلية فقط أم على الاهتمامات المادّية فقط، على فرض أنّك كنت ستختار واحداً من الاثنين في البدء؟

الجواب: العقل. لأن العقل يجعلك فوق، بينما المادّة تجعلك تحت، والفوق خير وأحسن للنفس من التحت. وَلأن العقل سيدفعك إلى السعي المعقول في الأمور المادّية، لكن المادّة عادة ما تحرّف بل تحجب الأمور العقلية. وَ لأن العقل يجعلك ترى العالَم من عين المطلق المحيط بالعالَم ، بينما المادّة تجعلك ترى العالَم من داخله ومن حيث كونك مجرّد جزء وذرّة في هذا العالَم. وَ لأن العقل يجعلك تفهم المادّة واختيار الأحسن منها، بينما المادّة لا تدفعك جهة العقل ولا معرفة الحق والأحق في المعقولات. وَ مركزية العقل تنير المادّة، لكن مركزية المادّة تظلم العقل.

...

سألني أحد الأصحاب مسائل بعد أن قرأ شرحي لقصيدة أبي نواس "لا أستزيد حبيبي". وهذا جوابي، ولا حاجة لذكر السؤال لأنّه معاد في الجواب.

الحب وجود ، لانه جوهريا لو تأملت في كل ما نحبه ستجد أنه زيادة في كمال (يعني وجود أشد هنا وجود بمعنى الصفة الكمالية مثل العلم والقدرة). يعني الحب ضد العدم، ضد النقص. الحب يتعلق بموجود ويطلب مزيد من كماليات الوجود. قال النبي صلى الله عليه وسلم "أحبوا الله لما يغذوكم به من النعم".

لا يمكن لأحد الاستزادة من الوجود ، هنا المقصود بالوجود هو عينه الثابتة كما هو واضح من سياق الفقرة. السبب لان الموجودات في مراتبها في العلم الالهي تشبه المعدودات في مراتبها في التسلسل الرياضي. فكما أن الخمسة لا تستطيع ان تكون ستة، كذلك العين الثابتة لا تستطيع ان تكون على غير ما هي عليه من درجة الكمال الالهي المتجلي فيها. قالت الملائكة "وما منا الا له مقام معلوم".

الوعي يزيد في نور العقل، الغفلة تنقص من نور العقل. هذا ممكن على مستوى الكون. لكن، الحصة النورانية لكل عقل، هذه الحصة لا يمكن ان تزيد او تنقص ، لأنها تابعة لعينها الثابتة التي لا تتغير بزيادة او نقص.

الأعيان الثابتة مطلقة ليس بمعنى حيازتها على الكمال المطلق الذي هو لله تعالى حصرا من حيث ذاته الاحدية المتعالية. ولو كانت الاعيان الثابتة مطلقة لما تعددت وصارت "اعيان" ، بل لكانت شيئا واحدا من كل الجهات. بل لاستحال وجود فرق بين العين الثابتة وصورتها المخلوقة في العالم. العين الثابتة مطلقة بمعنى انها لا يمكن ان تتغير، ليس لها بداية ولا نهاية، ومن حيث كونها منفتحة على الإطلاق الالهي الاحدي إذ الواحد هو الظاهر في كل مراتب الاعداد، فلكل عدد انفتاح من قلب ذاته على الواحد المطلق تعالى.

الوجود غير الخلق من زاوية ان الوجود هو حقيقة الخلق، ومن حيث ان الوجود أوسع حقيقة من الخلق.

الله هو الوجود بمعنى حقيقة الوجود، نفس الوجود، وكل الموجودات هي ظهورات هذا الوجود الواحد المطلق باطلاق.

أما عن الوجوديين، فهذا مذهب فلسفي لم احط به علما بعد، لكن بالقدر الذي فهمته إلى الآن لا اعتقد انهم يعرفون شيئا أعلى من الوجود الزمني والمادي. لكن لا استطيع الجزم بذلك. تستطيع ان تقرأ كتب عبدالرحمن بدوي رحمه الله في هذا الباب، فهو إمام الوجودية في البلاد العربية.

...

ثلاثة صُنِعَت لتبريد الجماع وقتل شهوة الناس: الختان، والزواج، وعيوب الجماع ومحرماته.

لو كنّا عقلاء، لما اختتنّا، ولما تزوّجنا، ولما عبنا ولا حرّمنا. وبالنتيجة: لمن الشهوة تحررنا. لكن لمّا حرّمنا وقيّدنا، بردت الشهوة الصحّية ونشأت الشهوة المريضة والخبيثة، وكما ترى، ليس الجماع أخبث والشهوة أنفذ وأسطى منها في المجتمعات ذات الختان والزواج والحرام والعيب. فكانت النتيجة عكس الغاية المزعومة.

مَن قاتل الطبيعة، قتلته. ومَن قيّد ما أطلقه الحق، ذبحه قهر الحق.

...

من أعجب ما يلجّ فيه الغرب الأوربي والأمريكي، الطعن في عقوبة الرجم بالحجارة للزناة. أقول: يا أولاد الحرام، أنتم تقذفون الأطفال والشيوخ والنساء معهم بالقنابل النووية والذرية والكيمائية والنارية والباليتسية والعنقودية، ثم تعيبون عقوبة رمي الحجارة درءاً لسلوك يؤدي إلى تعاسة أولاد لا حصر لهم ! قبّح الله هذه الأذهان والوجوه.

...

النظر في الخطّ العربي، هو تأمل المجرّدات في المجسّدات. أي الكلمة العربية عندنا بمثابة الأيقونة عند اليسوعيين، إلّا أنّها عندنا موصولة بالعقل الأعلى، وعندهم مبتورة لا تفيد شيئاً يُذكَر ولا تُفيد إلا بعد إعطاء الناس كلاماً يستذكرونه حين ينظرون في الأيقونية الشكلية. "الكلمة" تنزل في الكلمة.

...

في يوم الحساب ، أوقف الله حكام دولة في المشرق للحساب، وقال لهم "لماذا لم تصلحوا ؟" فقالوا "ربنا، علماء دينك حجبوا عنا العلم الذي به يكون الاصلاح". فنادى الله العلماء وقال لهم "ألم أعلمكم؟"

قالوا "بلى"، قال "لماذا لم تنشروا؟" قالوا "ربنا، الحكام كانوا يعاقبون من يتكلم بمثل ما علمتنا ويعاقبون أهله ومن حوله أيضا" فقال الله للحكام "هل كنتم تعاقبون الذين يتكلمون؟" قالوا وهم كارهون "بلى". فحكم الله بهلاك الحكام ونجاة العلماء.
ثم أوقف الله حكام دولة في المغرب للحساب، وقال لهم "لماذا لم تصلحوا ؟" فقالوا "ربنا، علماء دينك حجبوا عنا العلم الذي به يكون الاصلاح". فنادى الله العلماء وقال لهم "ألم أعلمكم؟" قالوا "بلى"، قال "لماذا لم تنشروا؟" قالوا "ربنا، الحكام كانوا يعاقبون من يتكلم بمثل ما علمتنا ويعاقبون أهله ومن حوله أيضا" فقال الله للحكام "هل كنتم تعاقبون الذين يتكلمون؟" قالوا وهم صادقون "كلا". فحكم الله بنجاة الحكام وهلاك العلماء.

...

بدأت السعي بالسعي لنفسي فقط، وكنت سعيداً مع قلّة ما أملكه وخلوتي.
ثم حصل في قلبي شئ من الفكر، فطلب الفكر الوصول إلى الآخرين، فصرت أطلب إيصال ما عندي للآخرين، وبدأت النار تشتعل بيني وبين مَن حولي.
قبل التفكير، كانت تأتيني الفتوحات، ومعها السعادة. بعد التفكير، صرت أهتمّ بغيري، وفقدت الشعور بالآن ومركزية العالَم الأعلى وقطبية القلب، ففزت بأفكار كثيرة لكن قلّت السعادة، وفي مقابل كل شخص يقبل أفكاري أجد عشرة يبتعدون عنّي لأنّي أريد تحريك عقولهم وإن كانوا لم يفهموا الأفكار نفسها.
كنت أكتب لأنّي أريد الفضفضة، ولازلت، لكن الآن أشعر بمسؤولية نشر ما أكتبه، وهذا يؤرقني ويزعجني. هربت من النار إلى الطريقة، ثم أثناء السعي أشعر بأنّي صرت أقترب من باب النار، والعياذ بالله.
أمري عجيب، وحالي غريب.
أقصى ما كنت أتمنّاه في بداية أمري، وهو أعلى أمري، أن أجد قوتي وأتفرّغ لعبادة ربي. والآن، وجدت قوتي وزيادة ولله الحمد، وصرت أنشغل عن العبادة بالمجادلات والخصومات والمنازعات وكسر الحدود الموضوعة على كلامي. هل أتوقف وأرجع كما كنت؟ الأمر إلى الله ربّي.

...

الشخصية صنم مصنوع من الأوامر والرؤى الاجتماعية. وهذا الصنم يعيد خلق نفسه يومياً بتكرار ألفاظ لغوية تدلّ على تلك الرؤى والأوامر بنحو ما. هذه الألفاظ ستسمعها حين تجلس وحدك وتصمت. تأمل ما تسمعه وستجد أنّه يومياً يعيد ويكرر نفس الأنماط العامّة المتفرعة عن الأمور الاجتماعية الخاصّة بك. ومن الأسوار الموضوعة حول هذا الصنم هو شتيمة "هذا ما عنده شخصية". أي صار عدم وجود شخصية طعناً، وليس تحرراً واستنارة وإطلاقاً للوعي. لابد من كسر هذا الصنم. ابدأ بثقب السور وإحداث فراغ فيه، وذلك بالطعن في مصادر الشخصية، الطعن في العائلة والدولة والديانة والتقاليد والأغراض والغايات الاجتماعية ثم الشخصية. ستعرف أنّك تافه، أي شخصيتك تافهة، حين تفعل ذلك. حينها، ستبدأ بالتحرر. وبعد التحرر، ستعرف أنّك وعي مجرّد، فراغ مطلق، وجود لانهائي، قابل للتشكّل بأي شكل. هذا النور، الذي هو أنت، الذي هو ال "أنا"، هي عين الأنا التي للوجود كلّه. والأنا هي حقيقتك، هي أنت، هي الكل. الفراغ أو السعة الذاتية للأنا قابلة للتشكّل بأي شكل، وكل شكل يعتبر إثراء للأنا ومجلى من مجاليها وليس قيداً على حقيقتها، أي هكذا ستجد نفسك بعد الوعي والتيقّظ. ولذلك ستجد أن فهمك للأمور أوسع وأسرع. ستجد قابليتك لتفهم الآخرين والتعرّف عليهم أكبر. ستجد معنى لكل شئ. ستكون قد خرجت من ظلمة الشخصية إلى سعة الجوهرية.

...

الكتابة نوعان، وقد يتّحدا في إنسان : الأول كتابة التجربة. الثاني كتابة الفكرة.

التجربة مباشرة. أي الشخص الذي يحكي تجاربه في حياته الطبيعية والاجتماعية، تكون عادة كتابته أوضح إن كان يملك شيئاً من اللغة، بل أحياناً حتّى لو كانت حصيلته اللغوية ضعيفة جدّاً فإن شعور المستمعين بتجربته يكون أقوى من حيث أنه يحكي بقوّة أكبر إذ يحكي عن تجربة مباشرة مع الحقائق التي يشير إليها في حديثه.

الفكرة مفارقة. ولذلك قد تجد الشخص يتكلّم في أعلى الأفكار، لكن تكون أعماله في أسفل النار. العقل قد يرى الأفكار العالية، لكن ليس بالضرورة أن يشعر العاقل المتكلّم بالقوّة الواقعية لهذه الأفكار، فيتحدّث عنها عادة ببرود وجفاف المنطق المحض أو الإشارة إلى المفارق المنفصل عن الوجدان والذوق. ولذلك عادة تكون كتب الأفكار جافّة ومملّة لعموم الناس بل حتّى خواصّهم قد يجدون مشقّة في قراءة مثل تلك الكتب. ومن هنا يميل الناس إلى الروايات أكثر من الفلسفات.

الكامل من الكُتّاب هو الذي يجمع بين التجربة والفكرة. أي حتّى أفكاره تجارب، وتجاربه نفسها أفكار ووسائل إلى أفكار. مثل هذا الكاتب حين يتحدّث عن أي فكرة يكون في نفس الحالة الوجدانية التي يكون عليها حين يتحدّث عن أي تجربة، لأنّه لا يتعامل مع الأفكار كتصوّرات مجرّدة عن وجدانه، بل يتعامل معها كحقيقة مثل بقية الحقائق التي يتذوقها في حياته كالمشاعر والعواطف والأحاسيس والمشاهدات والانفعالات. الفكرة عنده موجود خارجي حقيقي مثل الشمس والقمر ومثل النجم والشجر. حين تنزل عليه الفكرة يشعر بأثرها كما يشعر بأثر استقرار نسر على كتفه أو انقضاض نمر على بدنه. أكثر ما تجد هذا النوع من الكتّاب في الطائفة الصوفية والعرفاء من كل ملّة. فهؤلاء قوم مشاهداتهم هي أفكارهم، وتفكيرهم عين وجدانهم.

...

لا تهدي كتبك إلى أحد ولا تعيرها إلى أحد.

ذقتُ فائدة هذا النهي في ثلاث قصص وقعت لي.

الأولى: كانت لي صاحبة مثل سنوات مضت، جاء عيد ميلادها ولم أملك مالاً وقتها لشراء هدية. فأهديتها بعض كتبي. وظننت أنّها ستفرح بهذه الكتب كما كنت أنا سأفرح لو أهداني شخص كتباً فضلاً عن لو أهداني شخص يعشق الكتب بعض كتبه الخاصّة به حيث أنّي سأعتبر هذه لفتة جيّدة تدلّ على صدق المودّة. لكن تبيّن لي بعد سنوات من الحادثة (وهي حادثة بالنسبة لي، لأنّي فقدت كتباً بغير فائدة) أن المغفّلة لم تعجبها تلك الكتب. أخبرني بعض أصحابها أنّها قالت تسخر "كنت أنتظر منه سيّارة (نظراً إلى ثرائه الفاحش) فإذا به يعطيني كتباً !". للتوضيح، بنت نظرية ثرائي الفاحش من النظر إلى البيت الذي أسكن فيه والذي اشتراه أبي وإن كنت أملك حصّة فيه لكن لا يمكن استمداد النقود من الحجر مهما كان جميلاً وثميناً لو بعناه. بعد أن أخبرني صاحبي بذلك، وضحكنا سويّاً، قلت في نفسي "هذا ما يحصل لمن يعطي الكتب لكلب، كان المفترض أن أعطيها زبّي وليس كتبي !"

الثانية: سألني بعض أقاربي عن مولانا جلال الدين الرومي رضي الله عنه وعن كتاب جيّد يحكي عنه. فأخبرته عن كتاب "من بلخ إلى قونية" لبديع الزمان فروزانفر رحمه الله، وهو من أهمّ الكتب في الباب. فسألني من أين يمكن الحصول على الكتاب، فأخبرته بطيب نيّة-وما أخطر النوايا الطيبة!-أنّي أملك الكتاب ويمكن أن أعيره إيّاه. وفعلاً، جاء في الموعد الذي اتّفقنا عليه (تذكّر هذه المعلومة)، وأعطيته الكتاب. بعدها بفترة، اشتقت إلى الكتاب، كما يشتاق الأب إلى ابنه المسافر، أو الحبيب إلى محبوبه الغائب، خصوصاً أن مضمون الكتاب معشوق لي. فسألته عنه، فأخبرني أنه سيعيده لي، واتّفقنا على

موعد، فلم يحضر. تركته فترة، ثم حين اتّصلت به اعتذر وأخبرني أنّه سيعيده لي، واتفقنا على موعد، ولم يحضر. وهكذا على مدى ثلاث سنوات تقريباً، حتى يئست من رجوع الكتاب، وعزّيت نفسي فيه، وسألت الله العوض وقلت "إنّا لله وإنّا إليه راجعون، اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها". هذا بالرغم من أنّي قد قرأت الكتاب أكثر من مرّة. وإلى هذه الساعة، لم أسمع من قريبي ولا رأيت حبيبي أقصد كتابي. لكن لله الحمد، قد عوّضني الله خيراً بأكثر من ثلاث كتب عن مولانا جلال الدين، أوسع وأعمق من ذلك الكتاب فيما يبدو ولا أحسب إلا أن أصحابها رجعوا إلى كتاب فروزانفر.

الثالثة: هذه القصّة آذتني في نفسي فعلاً. وقاطعت صاحبها ولم أجد في نفسي قدرة على التجاوز عنه. وقبل أن تحكموا عليّ بالقسوة، انظروا إلى الوقائع. محور القصّة هنا واحد من الأصحاب، وهو من أرباب التأمل والتفكير ومحبّي القراءة والكتب. وهذا أهمّ سبب جعلني أحاسبه حساباً عسيراً في نفسي على ما فعله بحقّ كتابي. والكتاب بحد ذاته نادر في هذه البلاد، إذ لا يُباع في مكتباتها لأنّه من كتب "الزنادقة" وأقصد كتاب رسائل إخوان الصفا والمنسوب عند الاسماعيلية إلى أحد الأئمة من أولاد جعفر الصادق عليه السلام. وقد اشتريت الكتاب من خارج هذه البلاد ورجعت به بالتهريب. زارني هذا الصاحب الآثم وطلب استعارة الرسائل، وأخذ النسخة كاملة في مجلداتها الأربعة. أعرته إيّاها عن طيب قلب، ولا أعلم متّى سنكفّ عن اتباع هذا القلب. بعد فترة، لله الحمد وأسأل الله الانتقام، أعاد إليّ الكتب. لكن الطامّة الكبرى أنّي حين فتحت الكتب وجدته قد خطط عليها بقلم حبر أخضر (نعم أخضر !) وكتب عبارات غبية على الحواشي، وشوّه الكتاب تشويهاً فظيعاً، وكأن الكتاب ملك كسّ أمّه حتى يعبث به كما يشاء، لا، وفوق ذلك يعيده إليّ بكل وقاحة وصفاقة. منذ أدخلني الله هذا الطريق، لا أتذكّر أنّي شعرت بقرف من إنسان كما شعرت في تلك اللحظة التي تصفحّت فيها الكتاب. وضع في الحسبان أنّي ضدّ الكتابة على الكتب والتخطيط عليها، وأستحقر الذين يقولون "لكنّي لا أفهم إلا إذا فعلت ذلك". وأستحقرهم لأنّهم لا يحترمون الكتب، فضلاً عن سخف منطقهم. إنّي لا أخطط على كتاب إلا إذا كنت لن أقرأه إلا مرّة واحدة، وكنت سأردّ عليه وأنقضه، وكنت لا أبالي بهذا الكتاب ولا كاتبه مبالاة معتبرة، وكنت لا أنوي العودة إليه مرّة أخرى، بل أنوي طرده من مكتبتي بعد الفراغ منه. ومع كل هذه الشروط العسيرة، التي لم تنطبق إلي الآن بعد أكثر من ثلاث عشرة سنة في الطريقة إلا على أقلّ من خمس كتب، بل لعلّها ثلاث كتب، فإنّي أتحرّج حين أفعل ذلك أشدّ الحرج. إن كان ولابد من التخطيط، فعليك بتصوير الكتاب، وخطط على النسخة المصوّرة منه كما تشا حتى، إن شئت فلك أن ترسم كسّ أمّ صاحبي ذاك الذي كدّر رسائل إخوان الصفا وأدّى إلى فساد الأخوة المعرفية بيني وبينه. ثم إن خططت على الكتاب اليوم وأنت في مستواك العقلي ومزاجك الخاص باليوم، ثم عدت إلى نفس الكتاب بعد فترة تغيّر فيها عقلك وكنت في مزاج آخر، فكيف ستقرأ الكتاب قراءة جديدة وعينك ستضطرب وتركيزك يتشتت بسبب تخطيطك على الكتاب في الماضي. المهم، بعد هذه الحادثة الشنيعة، عدت وتوسّلت بالله تعالى ودعوت بدعاء المصيبة، وقد تحقق ولله الحمد ما وعدنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم، كالعادة. وعلى عكس كتاب فروزانفر الذي هو اجتهاده الخاص عن حياة مولانا، فيمكن تعويضه بكتب فيها اجتهاد أكمل منه، فضلاً عن أني قرأت كتابه أكثر من مرّة وأشكّ إن كنت سأعود إليه مرّة أخرى لأنّه صار كالمحفوظ لي من حيث المعنى، فإن حالة رسائل إخوان الصفا تختلف لأنّ الرسائل بحد ذاتها مرجع أساسي في الحكمة ولا يمكن الاستغناء عنها بغيرها ليعبّر عنها، ثم إنّي لم أكن قد قرأتها كلّها بعد، وهذا من أهمّ أسباب غضبي على مكدّر الكتب سوّد الله وجهه. ولذلك، كان التعويض الإلهي هو

نفس الرسائل، لكن بنسخة أفضل من النسخة التي كانت عندي، وبالإضافة إلى ذلك قد جاءتني لحدّ بيتي وبدون أن أدفع مقابلها شيئاً بل أهداني هي بعض من كان يحضر مجالسي.

الخلاصة: لا أعير ولا أُهدي من مكتبتي. لكن أشتري كتاباً جديداً وأهديه إن شئت. أمّا مكتبتي فمثل أولادي، لا يمكن أن أعيرهم لأحد ولا أحوّل تبعيتهم لأحد وأنا حيّ. وأسأل الله حسن رعاية مكتبتي بعد موتي. وهو خير حافظاً وهو أرحم الراحمين.

...

بدأت أقرأ من أجل العمل. ثم قرأت من أجل العلم. والآن أقرأ من أجل القراءة.

...

الحب باعث جيّد وقت السرور والنشاط، لكن وقت التعب والإرهاق لا باعث مثل الانتقام.

...

كيف يحاسبني على إدخال عبيده في التراب، إذا كان هو نفسه سيدخلهم في التراب ثم قد يدخلهم النار. إهلاك الهالك تحصيل حاصل.

...

الدنيا سائرة إلى العدم، فأسهل الأمور إقناع الآخرين بصعوبة الأعمال وكثرة المشاق وصعوبة المستقبل. إذا كنت ستفنى على كل حال، فالأفضل الفناء في سبيل شئ غالي ويستحقّ البقاء.

...

طلب الراحة في الدنيا مثل طلب الصلابة في الماء. جرّب أن تجلس ثلاث ساعات وانظر كيف يتألم وينتقم منك بدنك. الراحة في الدنيا وهم. الدنيا للجهاد.

...

معلومة واحدة تعرفها من نفسك عن نفسك بنفسك، أفضل من كل ما عداها من معلومات مهما كان مصدرها. حين تعرف بالمشاهدة في نفسك، ستبدأ تفهم ما الذي يتكلّم عليه أهل التأمل والفكر.

...

التأمل: سحب أشعة الوعي من كل شئ وتركيزها في مركز الوعي الحق المجرّد المطلق. ثم رؤية كل شئ من عين هذا المركز الذاتي، لا من أي نقطة على محيط الوعي مثل نقاط الأفكار والقِيَم والمشاعر والأحاسيس.

التأمل أسهل شئ تصفه وأصعب شئ تشرحه.

...

"أعوذ بالله من كلمة أنا": حقيقتها الاستعاذة بالجوهر المطلق من الانحصار في الشخصية الزائفة الطافية على سطح وعي الدماغ البدني.

...

أكبر مشاكل البشر ليست في الطبيعة، بل في الحاجة إلى الاجتماع. الإنسان يبدأ وعيه بالأنانية (لا يبالي بغيره) وبالتغيير والتأثير باستعمال المباشرة بيده (لا يبالي بإرادة وآلام غيره). مثل هذا الكائن لا يتناسب مع المجتمع لكن أن يكون في عالَم كلّه تابع له.

التدرّج في التحضّر هو تدرّج في البُعد عن البشرية. الحضارة مناقضة للبشرية. ولذلك تعاني الحضارة من البشر وبسبب البشر، ولذلك لا تقوم حضارة بغير قوانين رادعة تشبه صفات البشر أي تنزل العقوبة بالمخالف لها بغض النظر عن إرادته وآلامه الخاصّة. الحضارة حصر البشرية في مركز والمركز هو الدولة، وجعل البقية غير بشريين في تعاملاتهم.

الحضارة أن تفكّر في غيرك بقدر أو أكثر من تفكيرك بنفسك، ناقضاً بذلك مبدأ الأنانية. والحضارة أن تؤثّر بقلبك فإن لم تستطيع فبلسانك، فإن لم تستطع فتذهب إلى الدولة لتأخذ حقّك بيدها هي لا بيدك. ناقضاً بذلك مبدأ المباشرة المادّية للواقعة المرفوضة. الحضارة ضدّ البشر بالذات. فكل من يزعم أنّه يملك حضارة ولا يملك تصوّراً فوق بشري عن البشر، فهو واهم ينقض نفسه بنفسه.

...

البرهان كمّي وكيفي. وقوّة الكمّ، مهما ارتفع العدد، لا تتجاوز قوّة الكيف.

مثلاً، قوّة كيف البرهان القرءآني أعلى من قوّة كيف البرهاني الروائي. فآية واحدة ترجح في ميزان البرهان على ألف رواية.

قوّة برهان العقل والعيان أعلى من قوّة برهان الرأي والظنّ. فلا يجوز نقض العيان بالرأي مهما تعددت مصادر الرأي وأصحابه.

الكيف يغلب الكمّ، والكمّ تابع للكيف.

فاشتغلوا على كيفيات برهانكم لا كمّياته.

...

إن استطعت أن لا يكون بينك وبين الله واسطة في كسب معيشتك، فافعل. أي خذها من الطبيعة مباشرة بالزراعة والصناعة بيدك ما استطعت. كما أنّك-إن عقلت-ستسعى إلى أن لا يكون بينك وبين الله واسطة في كسب المعرفة. الواسطة عبودية، والعبودية نقص، والنقص ألم، والألم شقاء، والشقاء ترفضه النفس. سعادة النفس في المباشرة، فباشر ما استطعت.

...

الفقه بدون باطن وأخذ أصوله وتنزيلها على مجالات أخرى غير فقهية : صخر لا يُثمر.

النحو بدون إرادة تقوية تعبيرك وَ إرادة فهم الوجود بواسطة الكلام المعبّر عن الوجود : صخر لا يُهضَم.

الظاهر بغير الباطن جثّة بلا روح.

...

قال: لماذا بدأ الفاتحة بالحمدلة؟

قلت: قد بدأها بالبسملة.

قال: فلماذا بدأ بالبسملة ثم الحمدلة؟

قلت: لأن الوجود والعمل كلّه مختصر في البسملة ثم الحمدلة. لأنك إمّا تطلب أخذ شئ واستهلاكه من الوجود، وإمّا تحمد على ذلك الشئ الذي توفّر لك. مثلاً، تأخذ المعلومة، فتحمد الله عليها. تأخذ الغذاء، وتحمد الله عليه. تأخذ اللذة، وتحمد الله عليها. وهكذا لن تجد إلا أخذاً وشكراً إن كنت من المؤمنين. فإن حمدت الله على الذي أعطاك إيّاه زادك لقوله "لئن شكرتم لأزيدنكم" فيزيدك من العطاء والتجليات الأسمائية الإلهية والرحمانية والرحيمية، ثم تحمده، فيزيدك، ثم تحمده فيزيدك، وهكذا إلى ما لا نهاية "عطاء غير مجذوذ". فالقرءآن كلّه هو البسملة ثم الحمدلة، وما بعدهما شرح لهما، ولذلك يقول "الرحمن الرحيم" بعد الحمدلة، فأعاد ذكر الأسماء، ثم يتسلسل الأمر في التفصيل والتبيين بعد ذلك.

كل عطاء تأخذه من الوجود هو تعيّن الأسماء الحسنى، أي حقيقة البسملة. وكل حمد مجموع في الحمدلة. ولا يوجد إلا الأخذ والحمد، ولهما أشكال كثيرة غير متناهية.

الوجود اسمه، والحمد دينه. فإذا ذكرت اسمه واستعملت حمده، كنت من المرحومين.

...

أيّهما أفضل: أن تبدأ بالكتاب الصعب الأعلى أم الأدنى؟ أرى: الأعلى.

١-ستعرف موقعك بالنزول. أي كلّما صعبت عليك درجة. فانزل إلى ما تحتها، وهكذا حتى تجد أعلى مستوى تستطيع أن تبدأ منه.
٢-القيد المنهجي الذي يوضع عليك سيكون طبيعياً ولن تشعر بقهر خارجي. لأنّك شهدت بنفسك عجزك عن ما فوق ذلك القيد والمنهج، فلن تشعر أن شخصاً يجبرك على مستوى ترى نفسك أعلى منه.
٣-ستبدأ بالاعتياد على اللغة الأعلى، وهذا تمهيد للصعود. فمجرّد قراءة كلمات العالين فيه تقوية للعقل حتى إن لم تشعر بهذه التقوية وحتّى إن ظننت أنّك لم تفهم أي كلمة مما قالوه. العقل أوسع من الذهن الواعي. فقد تعقل ما لا تعيه، وقد تكسب ما لا تشعر فيه.
٤-التحفيز النفسي حين تبدأ تفهم بعد النزول إلى المستوى المناسب لك في الحال. كمن يحمل الثقيل فيعجز، فينتقل إلى ما دونه فيقدر، سيشعر بقوّته حاضرة بنحو أكبر من لو بدأ بحمل ما يقدر عليه من الأوزان الخفيفة. الشعور بقوّة العقل أمر مهم.
٥-ستعرف إلى أين يجب أن تصعد لتعرف أنك بلغت أعلى نقطة في هذا الباب من العلم. فحين أقرأ للشيخ الأكبر ابن عربي في العرفان مثلاً، فأنا أعرف أنّي أقرأ لرأس الطائفة العرفانية، أي حين أبدأ بفهم كلامه أعرف أنّي قد بلغت مستوى جيّداً في العلم بل ممتازاً، فأعرف موقعي وحدّي. ثم جهادك سيكون مركّزاً على الصعود إلى تلك القمّة، فتشتغل على أساس هذه الرؤية، والجهاد بدون رؤية إضاعة للوقت والجهد والحياة.
بناء على ذلك: أرى أن تبدأ دائماً بأصعب كتاب في العلم، ثم تتدرّج في النزول إن عجزت عن الفهم، وتُبقي ذلك الكتاب في وعيك حاضراً وتجعله هدفاً تسعى إليه.
...
من زعم أن كتب الشيخ ابن عربي ليست إلا لبعض نخبة صفوة زبدة خلاصة خاصة الخاصة من العلماء الكاملين المسلمين حصرًا، فقد ناقض كلام الشيخ نفسه الذي كان يرى أن كتبه للناس جميعاً وليس فقط المسلمين فضلاً عن بقية تلك الشروط التي عبّرت أنا عنها بطريقتي التي فيها شئ من التهكم على أصحاب ذلك المذهب.

الفصوص، قال الرسول صلى الله عليه وسلم "اخرج به إلى الناس ينتفعون به". وقال الشيخ "فمنّوا به على طالبيه لا تمنعوا" بالتالي كل من تحرّكت همّته نحو الفصوص بالطلب، فلابد أن يكون من الذين سينتفعون به، والوعد وارد للناس كلّهم وليس فئة منهم، مثل "يأيها الناس إنّي رسول الله" كذلك قال "اخرج به إلى الناس". ثم إن الشيخ يأمر بالمنّ به على طالبيه، ومن ضمن هذا الأمر ولازمه الضروري إظهار الكتاب للناس وعدم إخفاءه وجعله قراطيس تخفونها، إذ المجهول لا يتعلق به الطلب.

يقول الخائفون-إن أحسنّا النيّة- "نخشى فتنة الناس وضلالهم، فإن بعضهم يعتقد أنه الله بسبب وحدة الوجود فيترك الشريعة إلى الإباحية". أقول: أوّلاً "ألا في الفتنة سقطوا"، والقرءان نفسه "يضلّ به كثيراً" وهذا لا يبيح منع وصول القرءان للناس عامّة. ثانياً، الذي يعتقد بأنّه الله وله الإباحة، حتى هذا لا حاجة للرد عليه لأن الله تكفّل فقال "افعلوا ما شئتم" وهذه هي الإباحة، وتتبعها العاقبة، فليتحمل العاقبة، لأنه إن خرج عن الشريعة سيرد النار، والله معه في النار، وهو الله بزعمه وهو في النار، فلا يشتكي منها حينها، وإذا اعتدى في الدنيا على أحد فيُعاقَب مثله مثل أي معتدي أيّاً كان باعثه. بالتالي حتى أولئك الذين "يسيئون" فهم الشيخ، لم يخرجوا عن الحق في مجمله. ثالثاً، الحقيقة لا تُحجَب بسبب ما يزعم البشر أنّه مصلحة. إذا كانت وحدة الوجود حق، فهي حق ولابد من إظهاره، فأي داعي للكلام عن مصالح العامّة إذن. ثم كيف تردّون على أبي جهل لو قال للنبي "نحن نعرف أن

التوحيد حق، لكن هذه الأصنام تناسب العامّة بسبب كونهم يتعلقّون بالحسّيات، فلنبقِ على الأصنام للمصلحة العامّة، فإننا لو أخرجنا العامّة عن المحسوسات في الإلهيات لصاروا إلى الغفلة والإلحاد".
فهل تقبلون مثل هذه الحجّة من أبي جهل لو قالها؟ (بالمناسبة: هي حجّة دامغة بالنسبة لأصحاب ذلك المنطق في التعامل مع الحقائق. فما أكثر الملاحدة عملياً بعد "الإسلام"، إن لم يكن ملاحدة نظرياً أيضاً.)

الحاصل: لابد من إظهار كتب الشيخ كلّها، تعميم ما فيها.

...

القراءة هي السعادة،
ما سواها زيادة،
هي صنعة الجواهر،
ما دونها حدادة.

...

احذر أربعة :
الأول، الشكلية دون المضمون. الثاني، المشقّة بسبب عدم سؤال الخبراء. الثالث، الأكل من المجهول بسبب الجوع. الدعوة إلى التعاون في أمر لابد من تمكّن أفراده من القيام بأنفسهم قبل حدوث التعاون بينهم، فلا تعاون مع عجز الأفراد.

...

حجّة لعدم إنجاب الأولاد:
١-نهى الله عن أشياء بسبب كون أكثرها سيئة. مثل الخمر والميسر والظن. فقال "إثمهما أكبر من نفعهما" في الخمر والميسر، وقال "اجتنبوا كثيراً من الظنّ إن بعض الظنّ إثم".
٢-ثبت أن الدنيا هي متاع الغرور. وأكثر أهلها ضالّون. "إن تتبع أكثر من في الأرض يضلّوك عن سبيل الله".
٣-ثبت أن أكثر الإنس والجنّ سيدخلون النار. "وما ءامن معه إلا قليل" و "قليل من عبادي الشكور". وقال "وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مُشركون". "أكثر الناس لا يعلمون".
٤-نهى الله عن إلقاء النفس في التهلكة. "ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة".
٥-مدى صلاحك لا يؤدي بالضرورة إلى صلاح أولادك، حتّى لو كنت نبيّاً. بدليل كفر ابن نوح.

النتيجة: كون أكثر الناس سيضلّون ويتعذّبون في الدنيا، وفي الآخرة، ولن يغني عنك صلاحك، فإحضار ولد إلى هذه الدنيا هو تعريض له لخطر أكثري وأغلبي في الدنيا والآخرة وإلقاء له في هذه التهلكة.

مثال ذلك: لو عرفت أن كل سبعة من عشرة أكلوا من مطعم تسمموا وهلكوا. فأي عاقل سيُلقي بنفسه وأهله في هذه التهلكة.

...

حين يُخرج الله الحيّ من الميّت، لا تنسب الحياة إلى الميِّت. أخرجه لتشاهده به لا تشركه معه.

...

الهدم كلمة، فلا تستعجله.

...

النوم والأكل واللعب والنيك،

هذه هي الطريقة.
الأحكام والأخلاق والعقائد كلّها،
جرائم ضدّ الخليقة.
لم تزل الحياة معقولة بسيطة،
متجددة عتيقة.
لكن الطغاة يُعقدونها،
ويحاربون الحقيقة.

ملحوظة : الكل يسعى لهذه الأربعة، في الدنيا والآخرة، بالظاهر أو بالباطن، مباشرة أو بالرمزية. وسيعهم يظهر في الأحكام والأخلاق والعقائدة أو بالسعي المباشر.

...

الحروف عَلَف الخروف،
إنما الحياة نار.
انغمس في الشهوات،
واحرق هراء الأفكار.

...

كيفية استعمال القرءآن:
مجرّداته : صدّقها. أمثاله: فسّرها. أخباره: أوِّلها. أحكامه: علّلها. أخلاقه: جسّدها.

...

(نحويات)
رتَّب العلماء حروف الهجاء بدءاً بالألف وهي أعمق المخارج الصوتية من الصدر، وليس بالميم مثلاً التي هي آخر وأظهر المخارج الصوتية من الشفتين. فلماذا بدأوا من الباطن وليس من الظاهر؟ الجواب: لأنهم أهل باطن، ويعلمون أن القلب مركز العلم ومطلع الكلام. فبدأوا بالحرف الأقرب إلى القلب الظاهري الذي يرمز إلى القلب الحقيقي الغيبي.

الكلمة تتركّب من حرف واحد إلى سبعة أحرف، ولا تتجاوز الكلمة سبعة أحرف. لماذا؟ لأن الكلمة تدلّ على الموجود. كما قال الله "إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون". وقال "لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربّي". فالكلمات هي الموجودات. ومن هنا علاقة التناسب بين الكلمة اللغوية والأعيان الوجودية. وكما أن الكلمة العربية لا تتجاوز سبعة أحرف، فكذلك العالَم لا يتجاوز سبعة حقائق، وهي الأمهات الإلهية السبعة أي الصفات السبع: الحي والحياة، وَ العليم والعلم، وَالمريد والإرادة، وَالقدير والقدرة، وَالسميع والسمع، وَالبصير والبصر، وَالمتكلّم والكلام. لا يخلو الموجود أبداً عن هذه الصفات السبعة، أي لا يخلو من كل جهاته ودرجته عنها. يستحيل ذلك. ومن هنا تجد القرءآن يذكر لكل الموجودات حياة فيقول "إن من شئ إلا يسبّح بحمده" فهي حيّ متكلّم و "كل قد علم صلاته وتسبيحه" فهو عالِم قادر و "ائتيا طوعاً أو كرهاً" فله إرادة تصح منها الطاعة ويقع عليها الإكراه ولا إكراه لمن لا إرادة له، و"جداراً يريد أن ينقضّ" فحتّى ما يسمّونه جماداً له إرادة. و "قالتا أتينا طائعين" فلها إرادة وقدرة على الإتيان ولها كلام، و "يقول له كن فيكون". و "أنطقنا الله الذي أنطق كل شئ". وتشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم" و عن الأرض "يومئذ تحدّث أخبارها". فكل هذه الآيات وغيرها تثبت وجود

الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والصبر والكلام للموجودات حتّى قبل تكوّنها، فضلاً عن بعد كونها. إذ لولا أن الشئ له حياة معيّنة لما قال له الله أي شئ "إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون". ولولا أن الشئ له علم يمكّنه من معرفة مدلول قول الله لما استجاب. ولولا أن الشئ له إرادة لما أمره الله بالتكوّن. ولولا أن الشئ له قدرة، لما استطاع أن يتكوّن إذ "فيكون" راجعة إلى الشئ نفسه مثل "قم فيقوم" ففاعل القيام هو المأمور وليس الآمر بحصر المعنى. ولولا أن الشئ له سمع لما سمع قول الله، ولولا أن له بصر لما أبصر نفسه وطريق تكوّنه والكون الذي هو فيه كائن، ولولا أن له كلاماً لما كلّمه الله إذ لا يدرك المُدرك إلا بحسب ما في ذاته وما يتناسب معه بوجه ما "بلسان قومه ليبيّن لهم". وترجع بقية الصفات إلى هذه الصفات السبع. إذن، الكلمة التي الصورة البيانية للموجودات الخارجية تناسبت مع جوهر هذه الموجودات وصفاتها الأساسية. فكل حرف صفة إلهية، والأحرف السبعة هي كمال الموجود بغض النظر عن درجته في هذا الكمال، إذ النور كمال لكن يوجد نور ونور أشدّ منه كالقمر والشمس. وأين علِم وقدرة الفيل من علِم وقدرة إسرافيل.

ثم أحرف اللسان العربي ثمانية وعشرون حرفاً. وهي سبعة ضرب أربعة. والأربعة هي العوالم الأربعة الكبرى التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في تسبيحه "سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان ذي العزّة والجبروت، سبحان الحيّ الذي لا يموت". الملك والملكوت والعزة والجبروت، هذه العوالم الأربعة مجلى للأسماء الحسنى المشار إليها ب"سبحان الحي" وهو رأس الأسماء الإلهية "هو الحي لا إله إلا هو". فالأسماء تتنزّل في أربعة عوالم، ولذلك أيضاً البسملة من أربعة مقاطع، "بسم" تشير إلى عالم العزّة، "الله" تشير إلى عالم الجبروت، "الرحمن" تشير إلى عالم المكوت، "الرحيم" تشير إلى عالَم الملك.

فاللسان العربي يُعرِب عن الوجود كلّه، ويدلّ عليه بالتناسب سواء من حيث عدد حروفه كلّها أو عدد الأحرف التي تتركّب كلماته منها.

أنواع الكلمات اسم وفعل وحرف. الاسم حقيقة ذاتية، الفعل حقيقة نسبية، الحرف حقيقة إضافية. الاسم يدلّ على الحق تعالى، والفعل يدلّ على التجليات، يدلّ على العلاقة بين الحق وتجلياته وعلاقة تجليات ببعضها ولا تكون هذه العلاقة إلا بالحق.

كل موجود له اسم. وكل اسم في حقيقته يرجع إلى الأسماء الإلهية. فلا يوجد في نفس الأمر إلا الأسماء الحسنى. لأنّك لو نظرت إلى كل موجود واسمه ستجد أن هذا الاسم يدلّ على خاصّية كمالية معيّنة في هذا الموجود، وقد علمنا أن الكمال لله وحده، بالتالي الكمالات التي للأشياء هي كمالات الله سبحانه ظاهره بنحو مقيّدة من وجه. مثلاً "حيوان" يدلّ على الحياة، "تفاحة" تدلّ على الزرع والله هو الزارع كما قال "نحن الزارعون". و "محمد" وهو سبحانه الحميد. وهكذا وبنحو أعمق من هذه الإشارات المقتضبة تستطيع بإذن الله أن تفهم المقصود. وعلى ذلك، ردّ النبي على عبده الأصنام من قومه "قل سمّوهم" ليس المقصود به أنّم إذا قالوا حجر وشجر فهذا يدلّ على أنّها غير الله، حاشا لله، كيف والله يقول عن نفسه "الظاهر والباطن". بل المقصود أنّهم لو سمّوا هذه المظاهر سيسمّونها بأسماء تُظهر نسبيتها وقيودها الوجودية، بالتالي ستكشف عن أنها مقيّدة ونسبية مثلهم، "عباد أمثالكم"، وبذلك تثبت حجّة النبي من جهتين: الأولى، بما أنها مقيّدة ونسبية مثلكم فلماذا تستحق العبادة وأنتم لا تستحقون العبادة، لماذا تعبدونها ولا تعبدكم هي، وحيث لا مرجّح معقول، تسقط عبادة الأصنام. الأخرى، تسمية أي موجود طبيعي، علوي أو سفلي، ستكشف عن كونه جزءاً من العالَم، بينما الإنسان هو مجموع العالَم وحقائق العالَم كلّها مجموعة فيه، بالتالي، إن كان شئ من العالَم يستحق العبادة

فالإنسان أولى بأن تعبده الموجودات الطبيعية بدلاً من أن يعبد هو تلك الموجودات، إذ الجامع أكمل من الناقص، والكلّي أعظم من الجزئي. فلو قالوا: شجر. قلنا: ونحن فينا الشجرية، سواء من حيث شعرنا ونمونا، أو من حيث أفكارنا وعواطفنا. فلماذا نعبد الشجر بدلاً من أن يعبدنا الشجر. فإن قالوا: لكن الله ظاهر في هذه الشجرة. قلنا: وهو ظاهر فينا أيضاً. فتسقط حجّتهم قطعاً. إذن، كل اسم من أسماء الموجودات هو في الحقيقة اسم إلهي، ولا تتميّز الموجودات إلا بدرجاتها. أمّا من حيث كون الله معها وظاهر بها، فلا فرق جوهري بين الموجودات. ومن هنا كان الاسم في النحو هو معنى له ظهور تامّ مستقلّ عن غيره في ظهوره. عكس حروف المعاني مثلاً التي لا تعرف تمام المقصود بها إلا من الجملة. ،وعكس الفعل الذي لا يصدر إلا من فاعل فهو ظهور خاصّ للفاعل، بالتالي الفعل تابع للاسم وهو تنزّل خاصّ للاسم.

الفعل الماضي يدلّ على أحكام الأزل، أي القضاء المطلق الذي هو قسمة حصّة كل موجود من الأسماء الإلهية. فلكل موجود درجة معيّنة عند الله "هم درجات عند الله"، وعند الله هو عالَم البقاء، "ما عندكم ينفد وما عند الله باق". إذ الأعيان الباقية للموجودات كلّها حاضرة عند الله تعالى وفي علمه أزلاً. والفعل الأزلي الماضي الذي لا يتغيّر هو درجة العين الثابتة أي مدى ظهور الأسماء الإلهية بها.

الفعل المضارع يدلّ على ما هو كائن الآن في العالَم. والمضارعة آنية. لأن الله يخلق العالَم من جديد كل لحظة. بالتالي خلقه "مضارع"، أي متجدد على الدوام، لحظة بلحظة ولا يتكرر ولا ينقطع لحظة واحدة.

فعل الأمر يدلّ على تنزّل الشريعة الكونية. وهي "يقول له كن". الشريعة كلّها في هذه الكلمة "كن". ومن هذه الكلمة تستمد الشرائع التي جاء بها الرسل قوّتها وشرعيتها وحدودها.

الحرف له معنى مفهوم منه، لكن لا يظهر المقصود من إيراده إلا بغيره مما حوله. والحروف علاقات. بالتالي الحرف هو الهوية الأحدية. لأن لها معنى حقيقي في ذاتها، لكن الهوية غيبية وهي غيب الغيوب المطلق الذي لا يظهر إلا بالتجلّي في ما دونه وغيره وسواه. ولذلك أورد "قل" قبل "هو الله أحد". لأن "قل" تدلّ على النبي، على الرسول، على العالَم، على الكون، على الأشياء المغاير من وجه للذات الإلهية وهي المسمّاة "ما دون الله". فلولا هذه الموجودات النسبية والمقيّدة لما عرف أحد حقيقة الذات الأحدية والهوية الغيبية للحق تعالى، فهي الكنز المخفي قبل خلق الخلق. فكما أن الحرف لا يستبين إلا بغيره، كذلك الهوية لا تظهر إلا بغيرها، أي لا يظهر معنى الحرف للقراء، كذلك لا تظهر الهوية للخلق، أمّا من حيث ذاتها فالهوية ظاهرة ولذلك يعرف الله أنهه كان كنزاً مخفياً قبل خلق الخلق، فلو كان مخفياً عن نفسه أيضاً لما عرف أنّه كنز ولا أنّه مخفي، كذلك الحرف له معنى في نفسه كما أننا نعلم أن "حتّى" لها معاني محددة معلومة في حد ذاتها، و "ثم" لها معنى غير "ف" وهكذا في بقية الحروف. فالحرف من وجه له معنى ومن وجه لا معنى له كما أنك إذا قلت "حتى" وسكت، فالناس لن تفهم مقصودك من هذه الكلمة إن لم يوجد كلام ظاهر أو باطن يحيط بظروف نطقك بهذه الكلمة، فلابد من المحيط. الحرف برزخ بين المعقولية واللامعقولية، ومن هنا هو أشرف الكلمات، فناسب الهوية الأحدية التي تجمع بين المعقولية واللامعقولية، بين الوجود والعدم، بين الحق والخلق، بين كل الأضداد على الإطلاق.

...

احذر اللذين يحتفلون بوجود حرية الكلام حيث لا توجد فعلاً. هؤلاء لا يقطعون الأمل فقط، لكن يقطعون طريق العقل في النظر أيضاً فضلاً عن سدّ ينبوع العمل الذي هو الاعتراف بالعدم قبل السعي إلى الإيجاد.

احذر الذين يدينون الناس باسم الدفاع عن حرية الكلام. فهؤلاء لن يدينوا الذين يمحقون حرية الكلام. احذر الذين لا يتقنون تعريف حرية الكلام. فهؤلاء سيأخذونك يميناً ويساراً، وتضلّ الطريق، ثم تجد نفسك أخرساً محروماً، خائفاً مذعوراً، مدافعاً عن ما لا يستحقّ الدفاع، متخلّياً عن ما يستحقّ الدفاع.

ما لم يقع عنف جسدي مباشر على البدن أو المال، فحرية الكلام خارج نطاق الحديث. وحيث يدخل العنف في الأمر، فلا داعي للكلام عن حرية الكلام ولابد من البدء بردّ العنف بمثله والعدوان بأخيه.

احذر الذين يتكلّمون لأنّ صنعتهم الكلام ومعاشهم من الكلام. فهؤلاء سيكثرون حين ينبغي التقليل، ويقللون حين ينبغي التكثير، ولن يرضوا أن يغلقوا باب النقاش في أي مسألة لأن إغلاق النقاش يساوي انمحاق المعاش.

التأثير على الآخرين بالكلام، لا يعني أن وجودهم قد زال. لولا ضميرهم وإرادتهم واستعدادهم، لما تأثروا بكلامك. كلامك أيقظ ما فيهم، ولم يخلقهم.

...

فرق بين القيادة بناء على الشخصية، و القيادة بناء على العقلية.

القائد بالشخصية يريد أن يمسح شخصيات غيره بإظهار محاسن نفسه، حتى يقلّدوه ويتّبعوه. مثل هذا القائد يحتاج إلى جيش من المبررين لنقائصه، والمقتّلين لمنتقصيه، والحاجبين للكلام العائب له. لا يقود أحد غيره بناء على شخصيته، إلا بعد ارتكاب مجازر تكفي لمحق قيمة هذه الشخصية بناء على المعايير الإحسانية والعدلية.

القائد بالعقلية هو الذي يتكلّم مع الآخرين وقد يُظهر أعماله وأخلاقه لهم حتى يقتدوا به. لكن الأساس عنده هو الكلمة، والكلمة تتوجّه إلى وجدان وضمير وذهن وعقل الآخرين، وهؤلاء لا يعتبرون اتباعهم إلا تحقيقاً لشئ قد استقرّ في وجدانهم، فهم يتّبعون تصديقاً لما وقر في نفوسهم وليس حرقاً لذواتهم وتفرّدهم.

تابع الشخصية حيوان. تابع العقلية إنسان. تابع الشخصية مسلوب، تابع العقلية يكمّل نفسه يوم بعد يوم. من يريد أن يقود بمبدأ الشخصية، سيكذب على نفسه قبل غيره. من يريد أن يقود بناء على مبدأ العقلية، لا يرضى بتابع لا يفهم عنه ولا يستجيب له استجابة القلب والوجدان. تابع الشخصية سرعان ما ينقلب على من اتبعه، تابع العقلية قد يتقطّع بالمناشير قبل التخلّي عن حبيبه وسيده.

الخضوع للشخصية فانٍ كالظلّ، الخضوع للعقلية باقٍ كالأزل.

...

لا توجد "حرية" اجتماعية سياسية. الحرية هي ما نقول نحن أنّه حرية، وهي بحسب ما نحدد نحن ذلك. فهي ليست شمساً ولا قمراً، هي حدود نضعها نحن للتعامل فيما بيننا. الذين يتكلّمون عن الأمور الاعتبارية كالحقوق والحريات على أساس أنّها موجودات خارجية، هم إمّا من العاجزين عن تفعيل أفكارهم في الأرض، وإمّا من أكبر المحرّفين لتلك الأمور وطمس تلك الحقوق والحريات حين يأتي وقت العمل وتتضارب المصالح.

...

الحكم المبني على حقيقة غير الحكم المبني على مصلحة. وأسوأ الأحكام هو ما انبنى على مصلحة لكن يصوّره واضعوه على أساس أنّه مبني على حقيقة، تقريباً دائماً ستجد مثل هؤلاء يسترون مصالحهم

الحقيقية وأغراضهم الأنانية القاصرة بستار ادعاء أن أحكامهم فرع حقيقة وجودية لا فرع مصلحة شخصية، وستجدهم أشدّ الناس سلباً لحقوق وحريات الآخرين، مثل أصحاب الأديان والشرائع عموماً إلا ما رحم ربّي وقليل ماهم.

لا يوجد شئ اسمه "حقوق مقدسة". لو كانت مقدسة، لما استطاع أحد أن ينتهكها وينجسها بمخالفتها والكفر بها. لا يوجد في هذا العالَم بين البشر شئ اسمه حقوق وحريات مقدسة. يوجد حقوق وحريات يستعدّ الناس لذبح بعضهم بعضاً إذا قرر أحد أن يسلبهم إيّاها ويجبرهم على خلافها. ما سوى ذلك، فضعه في سلّة المهملات غير القابلة للتكرير.

...

ردّ على الذين يقولون "نعمل بظاهر العبادات، ولا نسأل لماذا ولا نطلب معرفة العلّة".

نقول:

١-المعرفة لبّ العبادة. ولو كانت العبادة بحسب صورتها، لاستوى النبي مع المؤمن مع المنافق، إذ النبي مثل المؤمن مثل المنافق يقومون بصورة العبادة بنفس التعليمات الشكلية، يقفون ويركعون ويسجدون ونحو ذلك حسب الهيئة البدنية ويتلفّظون بنفس الألفاظ العربية. ولو كانت العبادة بحسب هيئتها المادّية، لما وجدنا وجهاً لكون الله يُجازي على الحسنة مرّة بعشر أمثالها وأخرى بمائة مثل وثالثة بسبعمائة وهكذا، إذ كيف يختلف الجزاء على الحسنة الواحدة إذا كان المنظور من الحسنة هو صورتها الواحدة التي يشترك فيها الجميع. قال الله "يرفع الله الذين ءامنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات". والإيمان والعلم ليسا من الصورة المادّية للعمل بحصر المعنى. فقد يتحرّك الجاهل بنفس حركة العالِم، وقد يُجسّد المنافق نفس ما جسّده المؤمن. وجود درجات يعني المعتبر في الأمر شئ وراء ما ليس له درجات، وهذا قطعاً ليس الظاهر المشترك بين جميع العاملين. وهو ما نسمّيه المعرفة (جمعاً بين الإيمان والعلم).

٢-المعرفة قوّة العبادة. أقصد أن المعرفة تُثبّت بإذن الله العابد على عبادته، كما قال الله "ذكرى للعابدين" حين تكلّم عن العبر المعرفية في قصّة أيوب. فالإنسان قد يعبد في بعض الأحيان، وينقطع في أحيان أخرى. وقد يعبد في ظروف، ويتخلّى عن العبادة في ظروف أخرى. مثل الإلحاد المنتشر بين الأمم الظاهرية السطحية المادّية والغبية في أمور الدين والمعادية لطلب بواطن الأمور وسلوك طريق الحقيقة والبحث عن الحقائق والمعاني وإدراك التأويل والتفسير. العبادة بدون معرفة مثل ورقة في مهبّ الريح، أي نفخة تزيلها عن مكانها وتغيّر ظروفها. وأسوأ الأمم إلحاداً، الذين يتشددون في العبادة ولا يبالون أو يعادون المعرفة.

٣-المعرفة غاية العبادة. ديننا هذا دين علم. و"لا خير في عبادة لا فقه فيها". والعبادة تكون تجسيداً للفقه الكامن في القلب، أو وسيلة لتحصيل فقه بتأهيل النفس بالاستعداد لتلك المعرفة. أما العبادة التي هي صورة الفقه، فمثل الأعمال الرمزية التي لا تخلو منها أمّة، فهذه الأعمال تُمثّل بنحو مادّي أمور حقيقتها روحانية وعلوية، كالأمثال. لكن هذه الأمثال لها بركة خاصّة كونها تنزّلت بنور النبوة والولاية الجامع بين العالم الأعلى والعالم الأدنى. ولذلك صناعة الرموز المادّية بغير نور الولاية يكون كصناعة دمية بشرية، مهما شابهت البشر في هيئتها فإنّها ليست من البشر في شئ على الحقيقة. أمّا العبادة التي هي وسيلة الفقه، فمثل الشعائر الدينية، كالصلاة والصيام، فهذه تؤدي إلى تأهيل النفس لتقبّل الأنوار والعلوم الخاصّة بها، مثل قوله تعالى "كتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم، لعلّكم تتقون"، فقوله "لعلكم تتقون" يبيّن أن للصيام غاية وهي التقوى، والصيام وسيلة لتحصيل تلك التقوى

وتأهيل النفس لها، لكن ليس بالضرورة وقوع التقوى في النفس ولذلك قال "لعلكم تتقون" بالكلمة الدالّة على الوسيلة والاحتمال في آن واحد "لعلكم". يشبه الأمر التدريبات العسكرية التي تؤهل الجندي ليصمد في المعركة، فهذه وسيلة للصمود في المعركة، لكن ليس بالضرورة وقوع هذا الصمود، ومن هنا نقول تأهيل واستعداد بالمعنى العام، وليس بالضرورة وقوع الغاية، لكن تبرير الوسيلة يكون بالغاية، أي لولا تلك الغاية لما وجدنا سبباً للأخذ بالعمل الذي هو وسيلتها، فالغاية تبرر الوسيلة بمعنى تعطيها قيمة ومشروعية. كذلك الأمر بين العبادة بمعنى الأعمال الصورية وبين المعرفة. ومن هنا قال ابن عبّاس رحمه الله في قوله تعالى "وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون" قال "ليعرفون". فالعبادة وسيلة للمعرفة، والمعرفة غايتها. فالذين يزعم أنّه يعبد لا ليعرف، لم يفهم بعد سبب وجود هذه العبادة.

٤-المعرفة رفعة العابد. فالذي يعبد لأنّه يريد دخول الجنّة فقط، من المعقول أن يطلب أعلى درجة ممكن في الجنّة ولا يرضى لمصيره الأبدي بالدون، قد حثّ الله ورسوله على طلب الأعلى من منازل الجنّة. فحتّى لو قلنا بأن صورة العبادة تؤدي إلى دخول الجنّة، فإن روح العبادة هي التي تؤدي إلى الرفعة في الجنّة. وروح العبادة هو عقلها وفهمها وإدراك عللها وبواطنها.

٥-المعرفة تقرّب إلى المعبود. يرى بعض الناس أن التعبّد مع معرفة علّة العبادة يجرح الإخلاص في العبادة، وكأن العابد يعبد عقله هو لا يعبد الله حين يفهم علل وأسرار ومقاصد وبواطن العبادات. هذا التصوّر مبني على اعتبار العقل شئ، والنور سبحانه شئ آخر. وهذا غاية الجهل. العقل نور من نور الله تعالى. فلا يوجد فيك ذرّة عقل إلا وهي ذرّة أفاضها عليك النور سبحانه وتعالى. أنت تعقل لأن الله يتجلّى فيك. "الله نور السموات والأرض". قالوا في التفسير "مثل نوره" أي: مثل نوره في قلب المؤمن. وقلب المؤمن هو الذي يعقل ويفقه، كما قال تعالى "لهم قلوب لا يعقلون بها" وقال "لهم قلوب لا يفقهون بها". فالقلب هنا هو العضو الذي يعقل ويفقه، كما أن الأذن تسمع والعين تبصر. فحين يقول الله "مثل نوره" ويقول علماء التفسير: نوره في قلب المؤمن. المقصود: نوره الذي به يعقل ويفقه قلب المؤمن. بالتالي نور العقل ونور الفقه ليس إلا نور الله متجلّياً في القلب. بناء على ذلك، كلّما كان عقلك وفقهك أكبر، كلّما كنت من الله أقرب. ففي مسألة التقرّب إلى الله، نقول جزماً: صاحب العقل الأكبر هو صاحب الحظّ الأوفر. وكلّما فهمت أكثر كلّما كان قلبك أنور. هذا أوّلاً.

ثانياً، لو كان فهم العلل والمقاصد والجواهر يؤدي إلى خدش الإخلاص، فما بالنا نرى الله تعالى في القرءآن والرسول عليه الصلاة والسلام في الحديث يعلل ويفسّر ويؤول ويشرح حقائق وبواطن العبادات والمعاملات. مثلاً، قال النبي صلى الله عليه وسلم "الوضوء على الوضوء نور على نور". ولم يقل: عليكم بالوضوء تعبّداً، لا تسألوا عن فائدة ولا غاية ولا حقيقة ولا معنى ولا نور ولا ظلمة ولا يحزنون، عليكم بالوضوء وكفى. لماذا لم يقل هذا إن كانت طريقة النبي صلى الله عليه وسلم هي طريقة هؤلاء الجهلة الذين يضلّون أنفسهم والناس من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون. مثال آخر، قال الله أن الصلاة "تنهى عن الفحشاء والمنكر". لماذا يذكر لنا شئ من آثار الصلاة، ولماذا يقول عن الصيام "لعلكم تتقون" فيبيّن غايته ومقصده، ولماذا ولماذا إلى ما لا يحصيه إلا الله من آيات وأحاديث تدور في هذا الفلك. بناء على مذهب الجهّال كان ينبغي أن يقول: صوموا صلّوا لأنّي أنا أمرتكم بذلك، وكفى. بل ى الله حتى حين بيّن أن أمراً ما-من جهة- المقصود منه هو الاتباع بغير تعليل خاص، بيّن العلّة الخاصّة التي هي عدم التعليل الخاصّ! نعم، اقرأ إن شئت في تحويل القبلة "وما جعلنا القبلة التي كنت عليها

إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه". فالهدف من تحويل القبلة هو تبيّن من سيتبع الرسول من ينقلب على عقبيه، فبيّن الغاية والعلّة من هذا الحكم من أحد الوجوه، ثم الآيات الأخرى بيّنت أوجه أخرى في تعليل هذا الحكم بتحويل القبلة. وهكذا على طول القرءآن وعرضه وعمقه ستجد هذا الأمر لا يتخلّف، بحيث لا تجد حكماً إلا وتجد معه أو قبله أو بعده علماً يقوم الحكم عليه ويبرر وجوده ويفسّر حقيقته ويبيّن غايته بالتصريح أو بالتلميح أو بكلاهما، وإذا نظرت إلى القرءآن في مجمله ستجد أن كل أوامره تم تعليلها وتفسيرها بلا استثناء، ويفتح الله على من يشاء من ورثة الأنبياء.

ثالثاً، يظنّ أصحاب مذهب الجهل أن المعرفة تخدش الإخلاص في العبادة لأن العابد يطلب لذّة ومنفعة نفسه وعقله بالمعرفة بالتالي لا يكون متعبّداً فقط لأنّ الله أمره. والردّ على ذلك أن العبادة وكل الدين إنّما جاء من أجل منفعة وخير الإنسان، قال الله "من شكر فإنّما يشكر لنفسه" و "من جاهد فإنّما يجاهد لنفسه". فأي تناقض هذا بين طلب الإنسان منفعة ولذّة نفسه وبين العمل بما أمر الله به وأرشد إليه رسله وأتباعهم. لا تناقض. بل الذي يجد هواه في ما جاء الله به هو أشبه بالملائكة منه بالبشر. فأي درجة عظيمة هذه أن تجد إنساناً يقول لك "عقلي وهواي في ما أمر الله به ولذلك أعمل بما أمر به"، ينبغي التماس الدعاء ولو بإنزال الرأس تحت أقدام مثل هذا الإنسان، بدلاً من اتهامه بنقصان الإخلاص أو انعدامه.

الحاصل: المعرفة لا تخدش الإخلاص، بل هي من عين الإخلاص. وإذا كان أحد يستحقّ تهمة نقصان أو عدم الإخلاص فهم غير أهل المعرفة. وإن سألنا أصحاب هذا المذهب المقيت: لماذا تعبدون الله بدون طلب للمعرفة؟ سيقولون: أننا نطيع الله ونحبّه. نقول: لماذا تطيعونه؟ لابد، إن صدقوا مع أنفسهم، أن يقولوا: نريد الجنّة، أو نريد رضاه عنّها، أو نريد الراحة في قربه، أو نحو ذلك، وكل هذه-يا للعار!- أغراض "تخدش الإخلاص" لأن فيها إرادة شئ نافع ومكمّل ومفيد للذات...والعياذ بالله !

...

هكذا تحيا حياة كاملة: تكون مركزاً ونقطة.

بيان ذلك: لكل أمّة دين. وهذا الدين هو مركز هذه الأمّة. وهو مجمل رؤيتها وقيمها وثقافتها وروحها بشكل عام. وكل مجتمع يحتاج إلى أناس يعملون في وظائف مختلفة جزئية تتكامل فيما بينها لتوفّر للكل ما يحتاجه الكل بأسهل وأقرب الطرق، فهذا نجّار وذاك طبيب، ونحو ذلك. أي لكل أمّة دين وصناعات مختلفة.

كمالك أن تكون مركزاً في دينك، ونقطة في مجتمعك. فتكون من طلاب العلم والحكمة بحسب دينك، وتتعمّق في ذلك وتسعى لترتفع إلى أعلى درجة ممكنة، ويكون طلب العلم هذا هو مركز حياتك. وَتكون كذلك نقطة على محيط مجتمعك بحيث تكون لك صناعة تفيد وتستفيد بها في أمر المعاش. فتجمع بين كمال الباطن بالسنّة، وكمال الظاهر بالصناعة. فتفيد وتستفيد، وترى بوضوح وتعرف مكانتك ومكانك بقوّة واستقلال معاً.

حين لا يقوم الناس بذلك، ستجدهم مثلاً يتّخذون نقطة المحيط (المعاش) كمركز، وهذا سيؤدي إلى أنواع من المنافسات القبيحة غير المفيدة والعداوات والحسد وبقية المفاسد. أو ستجدهم يضيعون حقيقة مركزهم في حال لم تكن لهم صناعة يعيشون بها باستقلال عن غيرهم أي لا يكونون عالة على غيرهم.

كن مركزاً ونقطة على المحيط، تحيا حياة كاملة، أيا كانت درجة كمالها، وستكون في مجال الرضا بإذن الله.

...

وردتني هذه الرسالة من امرأة أوصلت أحد كتبي إلى شخص أسمته "أ.د" فلان. وأغلب الظنّ أنه كتاب نظام العالَم.

{أخي سلطان

فتح الله لك

الناقد الأدبي أ. د جمال مقابلة راجع عملك في النص الذي أرسلته منذ أيام ويعتقد أنه يفتقد إلى المنهجية في الكتابة وأنه فيه نفحات قديمة لا تتلاءم مع الفكر المعاصر وميلك نحو الكلاسيكية يعقد على القارئ الفهم

وجدته من واجبي أن أمرر لك الرسالة

شكرًا}

فأجبت: شكراً على هذه الرسالة المفيدة. عندي استفسار واحد: ما معنى (المنهجية) في الكتابة ؟

فأجابت: أن تتبع خطًا متسقًا في الطرح

مثلا تبدأ بالتحليل وتستمر بتوظف عدد كبير من الدراسات الأخرى والمصادر والمراجع ولا يكون فقط هو صوتك

الدراسات الواسعة تحتاج إلى توثيق اقوالك بما قامت عليه وإلى أين ستذهب بها

الخلاصات والنتائج العلمية منها

منهج بحثي متكامل.

فأجبت: وضحت. شكرا.

وهذا تعليقي المختصر على رسالة الأستاذ

لكن الا ترين أنه بناء على هذا المعيار في النقد يعني ان القرءان، وفصوص الحكم لابن عربي، ومواقف النفري، ومسرحيات شكسبير، وقصائد الشعراء العظام، والأوراق الفدرالية السياسية التي تأسست عليها أمريكا، ونصوص أخرى لا حصر لها من النصوص العظيمة ، كل هذه أيضا مطعون فيها بحجة "ليس فيها منهجية" ؟

مجرد ملحوظة.

عدم الاتفاق مع ما يسمى بالفكر المعاصر (اي الحداثي وما يتبعه) ، هذا هدف أساسي لكتاباتي. ولذلك اعتبر شهادة الناقد تؤكد نجاحي في هذا الأمر.

اما احتكار المعاصرة في نوع معين من الفكر والأسلوب، فهذه مغالطة شائعة في هذا الزمان. كلنا "معاصرون" ، وكل فكر "معاصر" هو فكر معاصر.

بالنسبة لتعقيد الفهم ، نعم، هذا صحيح، وهذا التعقيد يجده من لم يتعلم ويعتاد عقله على الكلام العالي، وبالمجاهدة والصبر والتوفيق يتيسر هذا الأمر ان شاء الله. فينبغي دفع الناس للاعتياد على الاسلوب الدقيق العتيق في التعبير. أي علينا ان نرفع القراء بدلا من أن نخفض الكتاب.

والسلام.

ثم أزيد على ذلك تعليقاً كتبته على ورقة خارجية حين وردتني تلك الرسالة وتأملت الانتقاد الثاني والثالث منها أي عدم التلاؤم مع الفكر المعاصر وتعقيد الفهم.

{بالنسبة لنفحات قديمة لا تتلاءم مع الفكر المعاصر: هذا مدح. لا أعطي قيمة لما يسمّى (الفكر المعاصر) من الأساس، ومن أهم أهدافي إزالة هذا الفكر قلباً وقالباً، ورفعه من الانحطاط والسخافة. (معاصر) لا يمكن احتكارها لفئة من المعاصرين بمعنى الأحياء اليوم. لكن (معاصر) بمعنى حداثي، نعم وردّها ما سبق.

بالنسبة لكون ميلي نحو الكلاسيكية يعقد على القارئ الفهم: هذا مدح. تعويد القراء المعاصرين على اللغة العالية العريقة، أو الكلاسيكية، هي أحد أهم أهدافي. فقد نزلت من علو الأصالة إلى قاع الحداثة بأكبر قدر ممكن في الوقت الذي كتبت فيه ذلك النص بحيث يمكن أن أكون حلقة وصل بين الذين انحدروا إلى قاع الحداثة وأنماطها وبين أفلاك الأصالة وفخامتها ودقّتها وجمالها وإبداعها. التعقيد يأتي إما بسبب عدم الإلف النفسي أو عدم التناسب العقلي، وكلاهما يُعالَج بالمجاهدة وتصبير النفس على قراءة مثل هذه الأعمال. القارئ الذي لا يريد إلا الساذج الحداثي ليس ضمن قائمة الذين أتوجّه إليهم بكلامي. يهتمّ بالهبوط لقاع الذهنية المعاصرة (الحداثية) من يكتب ليبيع الكتب ويكسب منها أو من أجل وظيفة يقتات بها (مثل الأستاذ الدكتور السابق الذكر، على الأغلب) وليس الذي يكتب من أجل نفسه وإخوانه وأداءً لرسالة علوية (ولكل من يريد المجاهدة في سبيل العلم والتلذذ بالفنّ). "النقد" الذي ورد من الأستاذ السابق شاهد على الانحطاط الخاص الذي أصاب "النقد الأدبي". وأنّه فعلاً صفة مُقلِّدة العصر ممن لا يفهمون إلا أقلّ القليل عن الواقع "المعاصر". }

أقول: لفت انتباهي أيضاً وصف "المنهجية" التي يروّج لها هؤلاء بأنّها "أن لا يكون صوتك فقط". هذا أمر عجيب. يعني أن لا تكون مستقلاً في التعبير عن الواقع والوجدان، هذا من المنهجية ! إذا لم تكن مستقلاً، فأنت تابع. لكن القوم من جهة أخرى يلومون الذين لا "يبدعون" ويتبعون فقط ما يصنعه الآخرون. فأيهما تريدون: الابداع أم الاتباع ؟! أنا أقول لكم ماذا يريدون: يريدون استعمال دعوة الابداع من أجل إبعاد الناس عن "القدم" و "الكلاسيكي"، لكن يريدون استعمال دعوة الاتباع من أجل إلصاق الناس ب"الحديث" و "الحداثي". طبعاً، تعريف القديم والحديث، والكلاسيكي والحداثي، هو تعريف اخترعوه من أخرجوه من مناطق مظلمة من الجسم لا أريد ذكرها الآن. ومدى معقولية هذا التعريف وغايته وقيمته، هي أمور ليس في الحسبان الجدّي غالباً. هذا من جهة.

ومن جهة أخرى، كتاب نظام العالَم ليس "صوتي فقط". لكن أساس الكتاب هو متن مهم و "مرجع علمي" و "مصدر مكتوب"، كتبه الشيخ الشهرزوري رحمه الله.

ومن جهة ثالثة، إذا كنت أنا سأرجع إلى زيد، فزيد سيرجع إلى مَن؟ إلى عبيد. وعبيد إلى مَن؟ إلى عمرو. وعمرو إلى مَن، إلى فتحي. وفتحى إلى مَن؟ إلى طوني. وطوني إلى مَن؟ إلى أنطوان. وأنطوان إلى مَن؟ إلى سوفوكلس. وسوفوكلس إلى مَن؟ إلى إبداعه الخاص ! آها، إذن حتى تستطيع المنهجية عند هؤلاء العبيد وموتى العقول وحرّاس مقبرة الحداثة، لابد من أن ننتهي إلى شخص كلّنا نقلّده. لكن الواقع أنهم لا يذهبون إلى هذا المدى في المراجع. لكنهم يرجعون إلى كتاب أو اثنين على الأكثر عادة، ولا يهتمّون بالنظر في مرجع الذي رجعوا إليه. باختصار، عملية المراجع هذه عندهم هي عملية "ترجيع" بالمعنى المصري للكلمة، أي عملية تجلب القئ وتدعو إلى الاستفراغ من شدّة قذارتها.

وأخيراً: مَن قال بأن لغتي "عالية" بالمعنى الكلاسيكي الحقيقي الذي نجده في كتب القدماء؟ يا ليت أنّها كذلك. بل في كتبي الكثير من الأخطاء النحوية واللغوية، وعدم الدقّة المتناهية في كثير من المواضع،

بسبب جهلي وضعفي اللغوي والنحوي مع الأسف، وإنّي أجاهد وأدعو وأتوسّل بكل طريق لجبر هذه النقائص الشنيعة في كلامي وكتاباتي. ويا ليت أنّي كنت "كلاسيكياً" في التعبير، و "قديماً" في التحرير. مدحوني من حيث أرادوا أن ذمّوني، ورفعوا قدري من حيث أنّه دون قدري. وهذا أيها الإخوة هو "النقد الأدبي" الحداثي !

...

دراسة الفقه وتحليلات الفقهاء واستدلالتهم، حتى في المسائل التي "عفى عليها الزمن"، هو أمر مهم ومفيد جدّاً. يدلّ على ذلك ما يلي:

١-العقلية مستمرة. تحليل استدلالهم يكشف عن عقليتهم والأفكار المركزية التي اعتمدوا عليها. أي اكتشاف العقلية وراء المسألة. والعقلية شئ يظهر في شتّى المسائل المعاصرة وغيرها، وستجد آثارها في مجمل تفكير الشخص في الأمور المستجدة. فحتّي لو عفا الزمن على صورة المسألة، لكن الفكرة وراء هذه الصورة لا تزال في عقول الفقهاء المعاصرين. ولذلك، لو طرحنا مسألة جديدة عليهم اليوم، ستجد آثار تلك الفكرة. بالتالي، لابد من اكتشاف الأفكار التي حرّكت عقولهم، حتى نتنبأ ونُقيِّم مسار عقولهم في الأمور الجديدة. مثلاً لو رأينا فقهاً يبيح استعباد العدوّ، فإن مثل هذه الفكرة ستظهر حتى في زمن لم يبق فيه مكان معلن للعبودية بشكلها القديم الصريح، وستجد آثار تلك الفكرة في الفكر السياسي لأنصار تلك المسائل القديمة مثلاً، أو كيفية تعاملهم مع الخدم الأجانب والعمال الأجانب في بلادهم، أو غير ذلك من مجالات يظهر فيها معنى قهر الإنسان لمن هو أضعف منه وسحق إرادته من أجل إرادته هو.

٢-تغيّر الظرف ليس مطلقاً. أي صورة المسألة القديمة وظروفها قد ترجع، بسبب زوال الأسباب التي أزالتها. فالتغيّر الذي حدث للمجتمعات المعاصرة في الجملة وفي أكثر بقاع الأرض المعمورة، ليس تغيّراً مطلقاً لا يكون زواله ورجوع الظروف السابقة، لا يوجد أي برهان من أي نوع يدلّ على ذلك، بل إذا استمعنا إلى ما يقوله الكثير من المفكّرين المعاصرين حيال هذا الحال سنجد أنهم يتوقّعون ليس فقط رجوع القديم بل حدوث ما هو أسوأ منه. إذن لا يوجد شئ يدلّ على أن التغيّر مطلق. هذا من جهة. ومن جهة أخرى، التغيّر ليس مطلقاً بمعنى أنه لم يشمل كل مكان في الأرض اليوم، وكل مجتمع، وكل حالة يمرّ فيها كل مجتمع. مثلاً، بعض المسائل الفقهية لو حللناها سنجد أنها راجعة إلى ندرة المياه، ولذلك اهتموا بتدقيق المياه الصالحة للطهارة الشرعية، وفي مثل ظروف أكثر البلاد اليوم المياه متوفّرة ولا حاجة إلى تلك المسائل لأننا لن نستعملها، لكن هل هذا يدلّ على أنه لا يوجد ولا مجتمع اليوم لديه ندرة في المياه ويحتاج إلى فقه مبني على ندرة المياه؟ بطبيعة الحال، كلّا. ثم المجتمع الذي لديه وفرة في المياه اليوم قد لا يكون لديه وفرة غداً لظرف طارئ. أو قد تخرج جماعة من الناس في رحلة في الصحراء فتصبيهم مصيبة ندرة المياه، وقس على هذا بقية المسائل. الحاصل: الظروف التي بُني عليها الفقه القديم "لم يعف عليها الزمن"، بل لا تزال حاضرة وقابلة للحضور.

بناء على هاتين الحجّتين، (العقلية مستمرة، تغيّر الظروف ليس مطلقاً)، نجد أهمّية دراسة الفقه القديم حتى على المستوى العملي التطبيقي، ودعك من الجوانب الباطنية والشرعية التي تبرر بحد ذاتها تلك الدراسة والاهتمام.

...

في حال اقتبست من مرجع كلمة، لماذا (إلا لو كنت في مقام الاحتجاج على شخص بقيمة ذلك المرجع)- لا أذكر عادة اسم المرجع؟ الجواب: لأنّي إنّما أكتب لنفسي، وأنا أعرف أني لا أكذب على نفسي. فلو قلت مثلاً "قال ابن عربي في الفتوحات"، فأنا أعلم أني لا أكذب في هذا. ولو قلت "ورد في الدستور الأمريكي"، فقطعاً لست مزوّراً.

نعم، ذكر المرجع لا يعني فقط الذين يريدون التأكد من صدق الإحالة. بل له فوائد أخرى، مثلاً، لو استدللت أنا بنص كشاهد على فكرة، فقد يرجع الشخص إلى ذلك النص ليتأكد من حسن فهمي له ومدى دقّة شهادته على تلك الفكرة. وتوجد فوائد أخرى، لكن الأبرز الصدق والفهم. بالنسبة للصدق، فقد سبق أن ذكرت السبب، وهو أني أكتب لنفسي ومن أعتبرهم مثل نفسي في الحب والعناية، ولذلك لا مجال للشك في صدق ما نقلته في حال نقلت (ونادراً ما أنقل مباشرة من مرجع، نادر جدّاً)، نفس طريقة كلامي وتحليلي تشهد أني أعبّر عن تفكير مباشر، أي التعبير يرجع إلى التفكير، لا إلى المصادر الخارجية). بالنسبة للفهم، نعم، توجد فائدة، لكن الوقت الذي سيضيع في ذكر الإحالات وتشويه النص، لا يساوي فائدة الإحالة، والذي لا يعرف مدى فهمي وقيمة إدراكي ورأيي من كل ما كتبته، لن تنفعه هذه الجزئة أو تلك، بالإضافة إلى أني نادراً ما أقوم بتحليل نصّ مجهول لإثبات فكرة، ولو استشهدت بنصّ فإنّي أستشهد بنص ظاهر شديد الوضوح بحيث لا يكاد يوجد مجال لوجود رأي خاص في فهم النص.

النتيجة: الأولى عدم الاشتغال بذكر المصادر. عقلي هو مصدري. وما أذكره من نصوص إمّا أن يكون مشهوراً معروفاً لا حاجة لتوثيقه، وإمّا أنه نص من كتاب لا يملك حق نقد فهمي فيه إلا شخص قد اطلع على ذلك الكتاب بحيث لا يحتاج إلى تذكيري بمصدره، وإمّا أنه نص غير مشهور وتوجد فائدة في الإحالة عليه وهذا نادر جدّاً لدرجة أنّي لو أردت الآن استحضار مثال على اقتباسي من مثل ذلك النص لن أجد شيئاً حاضراً في ذهني.

...

لا أجد ما يكفي من الكلمات التي تُحقِّر وتذلّ أولئك الذين يقولون في آن واحد "الإسلام قرر حرية التعبير والتعددية في الآراء" وَ "حرية الرأي والتعبير في الإسلام لها ضوابط شرعية منها أن لا يكون فيها إساءة للآخرين ولا للإسلام ولا لما فيه نصّ قاطع ولا ولا ولا...الخ". لا أستطيع حتى أن أقول عنهم حميراً، لأن في ذلك إهانة ظالمة للحمير.

...

من أعظم ما قاله ابن عربي وأنفعه للإنسان مطلقاً، ما ذكره في الفتوحات المكية،

{واعلم أن أعظم بسط العبد أن يكون خلّاقاً...البسط نشر والنشر ظهور}.

أقول: النتيجة أن أعظم بسط العبد أن يكون خلّاقاً ظاهراً، لا خلّاقاً مختفياً. وخلّاقية العبد تكون بالكلمة، أي المتكلّم لفظاً أو كتابةً، خلّاق. والنشر هو نشر كلامه، وظهوره بين الخلق ظهوراً تامّاً. وحيث أن الكتابة أقوى في الخالقية من التلفّظ، إذ هي أبقى وأوسع انتشاراً وأقوى نفوذاً، فالنتيجة أن أعظم العباد انبساطاً هم الكُتّاب الظاهرة كتابتهم في الخلق.

...

هذه هي "الأسرار" التي يدور عليها كل "سرّ":

١-النيك خارج الصورة الرسمية. وأقصد بالصورة الرسمية زواج رجل بامرأة بشروط قد تختلف في بعض حيثياتها، والجماع يكون مباشرة في الفرج. أي جماع غير هذه الصورة، سيعتبره الناس "سرّاً" ينبغي كتمه، أو حرجاً ينبغي إخفاؤه، في العادة.

٢-الله هو الوجود الوحيد. لأن تصوير الله كفرعون في السماء هو الصورة الذهنية الأساسية التي ينبني عليها الكثير من أمر الدول والمجتمعات، حتى الدول الإلحادية تستعمل هذه الصورة لكن تجعل رئيس الدولة هو الفرعون الذي ينبغي أن يكون في "سماء" المجتمع، أي فوق الجميع ومنزّه عن الخطأ والنقص وما إلى ذلك من شؤون الفرعنة. وأمّا وحدة الوجود فتنسف مثل هذه الاعتبارات كلّها، ولذلك هي "سرّ الربوبية الذي لو افتضح لبطلت الربوبية".
٣-الشعب دائماً هو القوّة لا الحكومة. وهذا سرّ حكومي. فالحكومة توهم الشعب بأن القوّة للحكومة، والشعب عاجز. بينما الواقع أن القوّة دائماً وأبداً بيد الشعب، والناس هم الذين يفوّضون قوّتهم وإرادتهم إلى جماعة من الناس اسمها الحكومة، شعر الناس بذلك أم لم يشعروا. ولذلك وهم نقص الشعب وعجزه وجهله وعدم قدرته على إنجاز شئ، وما إلى ذلك، لابد من استمراره حتى تبقى الحكومات قائمة.

النياكة والألوهية والقوّة، لا يوجد سرّ إلا في هذه الثلاثة. والباقي يدور في أفلاكها، ويستمدّ قيمته منها. فإذا ناك الناس كما يشاؤون وكيفما يشاؤون، وعرف كل واحد أنّه الحق، وأبقى الناس قوّتهم في قبال الحكومة التي يخلقونها دائماً باجراءات ووسائل تضمن ذلك، عاش الناس بسلام ظاهر وباطن، حتى لو نشبت بينهم الحروب.

...

قال: لماذا أباح القدماء لأنفسهم نكاح المردان من الصبيان؟

قلت: بسبب الشرع.

قال: كيف؟

قلت: أرادوا التوفيق بين الإباحة التي هي مراد كل إنسان وجنّته المعجّلة، وبين الشريعة التي هي مراد عقولهم ووسيلتهم للجنّة الآجلة.

قال: ما هو هذا التوفيق؟

قلت: الشرع منع من الزنا، ومنع من "إتيان الرجال شهوة من دون النساء"، وحيث أن الصبي ليس من الرجال، فأجازوا لأنفسهم إتيانه شهوة من دونه النساء.

قال: لكن الله قال "أتأتون الذكران من العالمين". فذكر الذكورة وليس الرجولة؟

قلت: قيّدوا مطلق الذكران بالرجال، وحملوا المطلق على المقيّد وخصصوه به. ومريد الشهوة بالحجّة لا يبحث عن حجّة قاطعة بل تكفيه أدنى إشارة.

...

الذين يكفرون بالأديان على اعتبار أن هذه الأديان إنّما هي مجرّد أداة بيد الملوك وأتباعهم لإخضاع الشعوب لهم، أقول لهؤلآء الذين يكفرون وجهة نظر قويّة ومعتبرة ولا يمكن صرفها بسهولة. لأضرب لكم مثالاً من اليهودية ومثالاً من المسيحية ومثالاً من الإسلام.

اليهودية. في كتاب الزوهار الذي هو التأويل الباطني للتوراة (تأمل، حتى التأويل الباطني يشتمل على هذه الفكرة، فما بالك بالظاهري)، نجد هذا النصّ {حتى في أفكارك لا تسبّ المَلِك، حتى في غرفة نومك لا تلعن الثري، لأن طيراً من السماء سيحمل الصوت}. أقول: يبدو أن الدين الظاهري يدعو إلى عدم الاعتراض الظاهري على الملوك والأثرياء، والدين الباطني يدعو إلى عدم الاعتراض الباطني على الملوك والأثرياء. المهم، اتركوا الذين نهبوا خيراتكم وثرواتكم وقهروا إرادتكم وأذلّوكم في سلام وأمان، ولا يخطر حتى ببالكم الاعتراض عليهم، لأن طيراً من السماء سيحمل هذا الصوت من عقلك الباطن ومن غرفة نومك، والله يعينك !

المسيحية. في كتاب العهد الجديد، رسالة بطرس الأولى يقول {خافوا الله وأكرموا المَلِك}. أقول: إذن الملك يُذكَر مع الله، جنباً إلى جنب، فالله هو الملك المختفي، والملك هو الله المادّي، شئ من هذا القبيل. ثم يأتي بولس في رسالته إلى أهالي رومية ويصرّح {لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة، لأنه ليس سلطان إلا من الله، والسلاطين الكائنة هي مرتبة من الله، حتى أن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله، والمقاومون سينالون دينونة} أقول: لاحظ أن السلاطين لا يتميّزون عنده بين سلاطين خير وسلاطين شر، سلاطين قهر وسلاطين لطف، سلاطين فوّضهم الناس وسلاطين أجبروا الناس، سلطة تخدم الناس وسلطة تخدم مصلحة أربابها فقط. كلّا، لا يوجد أي تمييز. السلاطين هم السلاطين، وكلّم من الله ولابد من الخضوع لهم، وإيّاك ومقاومتهم حتى لا تنالك {دينونة}، ولا ندري هذه الدينونة هي دنيوية بمعنى أن السلاطين سيلعنوا الذي خلَّفك، أم أن الله هو الذي سيدينك لأن خالفت السلاطين الذين رتبهم هو، والظاهر أن المقصود هو المعنى الثاني لأنّه الذي يُفهَم من سياق النص. إذن، خضوع لأوامر الملوك، إكرام أشخاص الملوك، وعدم مقاومتهم بأي شكل. ممتاز.

الإسلام. الأحاديث المروية عن النبي مثل "أطع الأمير ولو جلد ظهرك وأخذ مالك"، وما نتج عنه من فهوم، وأحاديث أخرى تنهى عن الخروج على السلطان والأمير، مثل مرويات ابن عمر، وغير ذلك من أحاديث كثيرة تجدها عند الجاميّة الوهابية مثلاً والحنابلة من قبل بكثرة، هذه أيضاً تخدم في نفس مسار الخضوع للسلطة القائمة كيفما اتفق.

يمكن الإتيان بأمثلة من بقية الأديان الكبرى، كالهندوسية والبودية مثلاً، لكن لنكتفي بهذه إذ لن يخرج المقصود عن ما ذكرناه.

كيف نفسّر مثل هذه الاتجاهات؟ التفسير نجده عند نيتشه رحمه الله. وخلاصة تفسيره حسب فهمي وشرحي هو التالي: أصحاب هذه الأديان لا يملكون قوّة لتحصيل مصالحهم المادّية والشهوانية لأنّهم عادة أفراد ولا يملكون أسلحة. فيذهب هؤلاء إلى ملوك زمانهم والسلطة التي في بلادهم ويعرضون عليهم صفقة: نحن نُعبِّد لهم الناس بالكلمة، وأنتم تُعبِّدون الناس لنا بالأسلحة. محور الصفقة هم الناس، سواء من حيث أشخاصهم أو ممتلكاتهم. فأصحاب الأديان مثل أصحاب السلطان يريدون التمتع بأجساد الناس (النيك مثلاً)، وخدمة الناس (التسخير في الوظائف الشاقة والخدمات المنزلية وما أشبه)، وأموال الناس (مثل محصولهم وصناعتهم). فيتفق أصحاب سيف الكلمة مع أصحاب سيف الأسلحة على إخضاع الناس، جسداً ومالاً. هذا يتكلّم بالهراء على رؤوس الأشهاد، وذاك يضرب بالهراوة مَن يخرج عن "سبيل الرشاد". والنتيجة دائماً واحدة: خضوع أجساد وأموال الناس لخدمة قلّة من الذين لا يريدون العمل في الأرض ويريدون نيل المتعة من الآخرين ولو على حساب الآخرين وصحتهم وسعادتهم ولذّتهم. ولأن أصحاب الأديان لا يملكون قوّة، فلا يملكون إلا التنافس فيما بينهم على مدى إخضاعهم للناس لأصحاب السلطان. فيتنافسون في الخضوع والإكرام. فواحد يقول "اخضعوا للأمير وانتظروا عقاب الله له يوم القيامة". لكن هذا يرسم صورة سلبية عن الأمير، وإن أعطى الأمير ما يريد في الدنيا وهو الخضوع الظاهر، لكن تلك الصورة السلبية قد تؤثر لاحقاً ولو على سبيل التراكم فتؤدي إلى ثورة أو رفض أو لعن في الأفكار وفي غرف النوم على الأقلّ. فيأتي صاحب دين ومذهب آخر ويقول "الأمير مرتّب من عند الله، وكل أفعاله هي أفعال الله، وهو ظلّ الله في الأرض". وهذا بالتأكيد أرفع وسينال حظوة أكبر عند السلاطين الذين يطلبون الكلمة النافعة لهم. وهكذا يتنافسون في تصعيد قيمة السلاطين والأثرياء، حتى أن بعضهم يجعل السلطان هو الإله الوحيد في الوجود، أو يجعل الدولة هي "أرقى أشكال الوعي ونهاية التطور التاريخي"، أو يجعل الدولة هي "أعظم دولة في تاريخ

البشرية" (وهذا طبعاً بعد أن يجعل تاريخ البشرية هو الموجود الوحيد، بالتالي يساوي قولهم تأليه الدولة في المحصّلة النهائية العملية). أصحاب الأديان القديمة والحديثة (الفلسفية و"العلمية") تدور في فلك الخضوع للدولة، بشكل أو بآخر. والدولة تعني مجموعة أشخاص يملكون أسلحة وترتيب فيما بينهم على تلقّي الأوامر وتنفيذها ولو بارتكاب العنف والقهر. فالذين لا يستطيعون تحصيل ما يريدونه بأنفسهم، يذهبون ويخدمون مَن يستطيع مساعدتهم على الإتيان به وتحقيق شهواتهم. وباقي كلامهم، تفصيل لهذا الهراء الجوهري، وريّ بالماء لهذا النبات السوداوي.

قال: صراحة النهاية كانت شوية مخذلة، كأنك ما رديت عليهم و لكنك أيدتهم.
قلت: بعض المقالات هدفها تبيين وتقرير الفكرة.
ثم أحياناً نردّ على الفكرة في نفس المقالة، وأحياناً في مقالة منفصلة.
إنّما أذكر الفكرة حسب ما تولّدت في قلبي وقت الكتابة، وليس بالضرورة أن أستوفيها من كل وجهاتها.
هذا عموماً.

أما بالنسبة لخصوص هذه المقالة، فلا يوجد ردّ حقيقي على مضمونها. لأنه فعلاً، أكثر أهل الدنيا من أصحاب الأديان هم كذلك، ولا يفهمون من الدين إلا القدر الذي أشرت إليه في المقالة. فلا يوجد ردّ. إنّما هو تقرير. و"الردّ" هو نفس هذا التقرير، لأن تبيين ظلم وظلمات الشخص بعبارة واضحة كفيل بتبيان بطلانه وسوء حاله. فهل بعد تقرير أنّهم عبيد الظلمة، ردّ عليهم !

...

قال أحد أحبابي: قرأت في كتاب لبعض مشايخ الصوفية أن الوِرد إن لم يكن بتلقين شيخ طريقة فقد تنمحق بركته. وأنا ملتزم بورد الدور الأعلى للشيخ محيي الدين ابن عربي رضي الله عنه. ولم آخذه عن شيخ، فأخشى أن تكون أورادي ميّتة.
فقلت له: لو كانت أورادك ميّتة، لما كنت ممن يخشى أن تكون أوراده ميّتة.
خذ كل أورادك من شيخك القرءآن، بنيّة العمل بقوله "يأيها الذين ءامنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً. وسبّحوه بكرة وأصيلاً. هو الذي يصلّي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً".
فقال: لا حرمنا الله منكم. ويزيدك.

...

من قلّة الأدب العقلي أن تجد المتشرعن يحاجج المتعقلن في الأمور العملية فيقول له "لكن العقل لا يحكم بشئ". نعم، هذا له وجه صحيح، لكن العادة أننا نجد قليلي الأدب يستعملونه على الأوجه الباطلة والمغالطة.

حين نقول "هذا الأمر مخالف للعقل" فالمقصود هو التالي: توجد لدينا غاية. هذه الغاية توجد أمور عملية تقرّب إليها، وأمور تبعّد منها. هذه الأمور المقرّبة والمبعّدة نستطيع بإذن الله أن نعرفها بالعقل أي بالنظر الفكري والتجريبي في الوجود الخاصّ بالغاية التي نريد تحقيقها. في ضوء ذلك، نقول "هذا الأمر مخالف أو موافق للعقل". لا بالمعنى العامّ للعقل الناظر في بحر ظلمات الممكنات اللامتناهية والاحتمالات المطلقة. الكلام عادة يكون عن غايات طبيعية واجتماعية. هذه الغايات توجد وسائل تقرّب إليها ووسائل تبعّد منها. لا يستطيع أن ينكر ذلك منصف. فحتى الله قال "خذوا حذركم" وأمر بعدم الغفلة عن الأسلحة والأمتعة من أجل غاية الحفظ على الحياة الطبيعية في ظروف معيّنة هي الخوف من ميل الكفار علينا ميلة واحدة لإبادتنا. إذا كانت غايتنا حفظ حياتنا، وكنّا في ظرف توقّع العدوّ، فالعمل

"الذي يحكم به العقل" هو عدم إغفال الأمتعة والأسلحة، ونحو ذلك من "الحذر المعقول". وهكذا الأمر في كل غاية.

بالمناسبة، كثير من المتعقلنين خصوصاً من الملاحدة في هذا الزمان يستعملون العقل أيضاً بنحو فيه قلّة أدب عقلي. فتجدهم كلّما قالوا شئ قالوا "هذا معقول. ولنكن عقلانيين، وهذا ضدّ العقل، وهذا مع العقل". وما يخفيه هؤلآء، أو لا يشعرون به، هو الغاية التي يقصدون تحقيقها. ولا أقصد بذلك أن غايتهم خبيثة، كلّا، بل قد تكون غايتهم عين غاية من يجادلونه، أو تكون غاياتهم متّفقة جوهرياً وإن اختلفت درجتها في سُلَّم الأولويات عندهم وعند خصومهم.

العقل يكشف عن الواقع بالكشف والنظر والتجربة، لكن العقل يحكم على الواقع بعد تقرير الغاية. معرفة الكائن غير اختيار ما يكون. الكائن شئ، ما يكون شئ. وما يكون يرجع إلى حدود الكائن وإمكانه الواقعي، إذ المستحيل لا يكون. إذن، لا تخلط بين معرفة الوجود، وبين اختيارك لما تريد إيجاده. ثم لا تخلط بين ما تريد إيجاده، وبين الوسائل المؤدية إلى ذلك. ولا تخلط بين التفكير في قيمة هذه الوسائل من حيث إيصالها لك إلى غايتك، وبين التفكير في الممكنات مطلقاً ومدى قيمة الوسائل هكذا مجرّدة عن كونها "وسائل" والنظر إليها تحديداً من حيث أنّها "وسائل" إلى غاية معيّنة وتجسيداً لمعنى متحقق في النفس. الأعمال لا قيمة لها بغير غايتها. وحتى العمل الذي يجسّد معنى مقرر في القلب، غايته هي نفس هذا التجسيد. أمّا الأعمال السياسية والاجتماعية، فيختلف تقييمها بحسب اختلاف غايات الناس من سياستهم واجتماعهم، وكذلك بحسب مدى علم الناس بالطبيعة والنفس وما إلى ذلك من شؤون تؤثر في رؤيتهم واختياراتهم السياسية.

العقل يكشف الوجود بغير غاية مستقلّة عن الكشف، لكن العقل لا يحكم في الوجود إلا بعد أن تركب على ظهره غاية ما.

...

قال: لما يشكّ الناس في الإسلام بسبب المنسوبين للإسلام من الإرهابيين والمجرمين؟

قلت: جواب هذه المسألة في الفقه الحنفي.

قال: أين.

قلت: في باب الطهارة. فقد قالوا بأن من المياه ماء "مشكوك في طهوريته وهو ما شرب منه حمار أو بغل". وكذلك الدين يصير مشكوك في طهوريته ونزاهته وقيمته إذا شرب منه حمار أو بغل مثل الوهابيين ومن على شاكلتهم من الجاهلين.

...

تقسيم الماء في الفقه إلى طاهر ونجس وما بين ذلك هو تقسيم للوجود إلى مقبول ومرفوض وما بين ذلك. نفس العقلية التي قسَّمت المياه هي العقلية التي قسَّمت الوجود. والذين غلّبوا الأعراض الطارئة على الماء الطهور، إمّا بسبب الغلبة أو الاختلاط كالمائعات أو ما أشبه، هم نفس الذين سيرفضون الغرباء والأغيار والمبتدعين والمخالفين لهم وسيعتبرون أنهم الماء المطلق وغيرهم من المخالفين والمختلفين عنهم هم إمّا أشياء طاهرة بنفسها لكنها تعكّر صفو إطلاقهم، وإمّا أشياء نجسة تغيّر طبعهم وصفتهم. أي كما أنّهم نظروا إلى الماء كطبع (الرقة والسيلان) وكصفات (طعم ولون ورائحة)، كذلك نظروا إلى الناس كطبع (وهي العقيدة والولاء للجماعة)، وكصفات (فروع العقيدة والفروع العملية)، فالذين يماثلونهم في الطبع وعدم الاختلاط بالمنجسات (اقرأ "المعلوم من الدين بالضرورة" أو "أساسيات الدولة والنظام" أو "الخطوط الحمراء") فهؤلآء سيكونون أطهاراً ومقبولين منهم بشكل عام، لكن إذا وقع الاختلاط

بالنجاسات أو تغيّرت بعض الصفات فإنّهم سيعملون على عزلهم اجتماعياً وسياسياً حتى لا يكون لهم تأثير في الناس لأنهم وإن كانوا كالماء الطاهر إلا أنهم صاروا "غير مطهرين" أو "يكره التطهر بهم".

قد لا نبالغ إذا قلنا بأن باب الطهارة من أي مذهب يكشف لك عن العقلية الجوهرية لهذا المذهب فيما يتعلّق بالعلاقات بين الناس. أي أحكام السياسة كامنة في أحكام الطهارة. اقرأ مسائل الطهارة بهذه العين وانظر ماذا ترى.

...

لا يجوز تفسير القرءآن بحسب قواعد النحو. بل يؤخذ القرءآن كما هو، ولا تُحمَل عليه قواعد النحو الاستقرائية الأكثرية أو الظنّية قسراً. التقدير من تحريفات وشناعات التفسير. إذا قال الله {اقرأ باسم ربّك الذين خلق.} فلم يذكر المفعول به، أي لم يذكر ما هو الشئ المقروء، على عكس "اتل ما أوحي إليك من كتاب ربك" حيث ذكر ما هو المتلو، فلا يصحّ أن يأتي النحوي ويقول: المفعول به محذوف تقديره كذا وكذا. ويبدأ بحصر وتغيير المعنى القرءآني بسبب إرادته أن تكون الجملة فعل وفاعل ومفعول به وما أشبه ذلك من أمور تصلح لتفهيم المبتدئين شئ من البدايات. عدم ذكر الله للمفعول به لا يعني أن الله "حذف" المفعول به. وكوننا اعتدنا على وجود المفعول به، لا يعني وجوب وجود المفعول به. القرءآن رسالة كما هو وبالشكل الذي هو عليه. العارف الإلهي يفهم القرءآن كما نزل، المتساخف النحوي يريد القرءآن بحسب ما لديه من العقل. فاحذر كل الحذر من كتب التفسير خصوصاً المائلة للصناعة النحوية، كالبحر المحيط والكشاف. واعلم أنه بإمكانك الانتفاع بهذه الكتب انتفاعاً جليلاً بشرط أن تأخذ مسائلهم وتترك حلولهم. أي حين يلاحظون أن المفعول به محذوف في "اقرأ باسم ربك" فاقبل منهم هذه الملاحظة لأنّها صحيحة في نفسها جملة. لكن اترك تقديراتهم وتخميناتهم وإدخالهم لآرائهم وقيودهم على كلام الله.

...

لن تعقل الكثير من الفقه إلا بعد فهم الأبعاد الباطنية لواضعي الفقه، وللظروف الطبيعية والسياسية التي كانوا يعيشونها.

مثال بسيط على أهمّية الأبعاد الباطنية. يروي الأحناف أن أبا حنيفة رحمه الله كان يرى نجاسة الماء الذي يستعمله المتوضئون وترجع بقيته إلى بركة الماء مثلاً. ثم غيّر قوله. ويروون أن السبب في ذلك أن أبا حنيفة كان يشهد ذنوب العباد تتساقط من أعضائهم بعد الوضوء، بحسب ما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم. ثم دعا الله أن يحجبه عن هذا المشهد، وغيّر قوله نتيجة لذلك. أي كان يرى أمراً لطيفاً، بنى عليه قوله الشرعي. ثم لما تغيّرت رؤيته القلبية والغيبية، غيّر قوله الشرعي. وكثير من الأقوال العتيقة في الفقه مبني على مثل هذه الاعتبارات ولو لم يصرّح الفقهاء الأولياء بذلك.

مثال بسيط على أهمّية الظروف الطبيعية. كثرة أبحاث طهارة الماء والتدقيق فيها. وذلك لأن الماَء كان نادراً في ذلك الزمان، وكانت أسفارهم وتنقلاتهم-على كثرتها وخصوصاً فيما يهمّ أهل العلم الذين يسافرون في طلب العلم والحديث كثيراً والتجار مثلهم- تمرّ بمراحل يندر فيها الماء ولا يبقى معهم إلا القليل الذي معهم والذي قد يستعملونه في الشرب ويحتاجونه لذلك. قلّة الماء، وصعوبة تحصيله، بالأخصّ بالنسبة لعوام الناس، أدّت إلى سعي دقيق للتدقيق في احتمالات طهارة الماء من عدمه وطهوريته ونحو ذلك. أو مثل حديث الصلاة في الثوب الواحد الذي بنى النبي صلى الله عليه وسلم الحكم فيه على أساس أنه ليس لكل واحد من المسلمين ثوبين حتى يُفرَض على الكل الصلاة في ثوبين. بل كان الكثير منهم من الفقر إلى درجة أنه في حالات كان العشرة يصلّون في إزار واحد، يصلّي الواحد فيفرغ فيعطي صاحبه الإزار وهكذا. وكذلك مثلاً في أزمنة الظلم والطغيان السياسي الشديد، نشأ استعمال

التقية، ونشأ معها إخفاء المقاصد السياسية الحقيقية للفقهاء من وراء ستار أحكام العبادات والمعاملات التي لا تتعلّق ظاهرياً بالسياسة، مثل فتوى مالك في عدم صحّة طلاق المُكرَه التي ضُرِبَ عليها لما تفطّن العباسيون لمقصده (ومن أحسن منهم ليفهم هذه المقاصد الباطنية وهم كانوا من الشيعة وأهل التقية قبل تمكنهم من قهر خصومهم من الأمويين، فكانوا يستعملون مثل هذه الحيل أنفسهم، فلم تنطلي عليهم).

هذه الأمثلة البسيطة مفتاح لبسط حقيقة الكثير من الأحكام والاختلافات بين المذاهب. ونادراً ما تجد مسألة الخلاف فيها راجع إلى نظر لغوي في النصّ فقط، أي نظراً مجرّداً بحتاً لا يلتفت إلا إلى عين النصّ ولا شئ غيره ولا اعتبار مطلقاً لأي مبدأ أو أصل أو غاية غير فهم ذات النصّ. بل الذين حاولوا شيئاً من ذلك، وهم أصحاب الفقه الظاهري، تم نبذهم على سعة علمهم وتحقيقهم، ولم يتم إدخالهم حتى في المذاهب الرسمية المقبولة. هذا مع أن الشيخ الأكبر ابن عربي رضي الله عنه قد رأى في رؤيا-ولا نشكّ بصدق رؤياه ودقّتها المعرفية-أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عانق ابن حزم الظاهري حتى اتّحدا فلم يبق إلا رسول الله. وتأويل ذلك ظاهر بإذن الله، وهو أن المبدأ الذي انطلق منه الظاهرية هو المبدأ الذي لم ينظر إلا إلى عين كلام الشريعة. فبغض النظر عن تطبيق هذا المبدأ ومدى إفلاح ابن حزم فيه، فإن المبدأ هو مقصودنا. والمبدأ الظاهري هو المبدأ الوحيد "الشرعي". غير ذلك، نحن لا نتكلّم عن "الشريعة"، لكن نتكلّم عن شريعة مخلوطة بأشياء أخرى، وهذا لا يعني بالضرورة أن تلك الأشياء الأخرى ليست مفهومة من نصوص القرءآن والسنّة بنحو ما أو بدرجة ما، لكن الخلط حاصل. أي بعبارة فقهية: اختلط ماء الشريعة الطاهر المطهر غير المكروه استعماله، بجامد من الأثر أو مائع من النظر، مع أن الجامد والمائع من الأشياء الطاهرة في حد ذاتها، لكن أثّر الجامد والمائع في الماء المطلق للشريعة بنحو غيَّر بعض طباع أو بعض صفات الشريعة، فإمّا تنجّست وإمّا صار من المكروه استعمالها وإمّا لم تعد صالحة للتطهير وإن كانت طاهرة في نفسها.

الحاصل: لابد من تأسيس فقه جديد مبني على المبدأ الظاهري مطلقاً.

قد تقول: فماذا عن المحلّي لابن حزم؟ أقول: أقلّ ما يُقال فيه أنّه اشتغل كثيراً بالردّ على خصومه، وأخذ بعض المسائل التي لم يستطع تصوّر مخالفتها لسبب أو لآخر، فخرج عن التطبيق الكامل للمبدأ الظاهري. ما نريده مبني على جرأة وشجاعة نظرية كاملة، أي عدم المبالاة والالتفات إلى نتيجة النظر ماذا ستكون، حتى لو خالفت المذاهب الأربعمائة لا المذاهب الأربعة فقط. مثل هذا العمل سيكون مفيداً، حتى لو لم يعمل أحد بالأحكام الناتجة عنه، لكن على الأقلّ سنعلم الفرق بين الظاهرية "البحتة" وبين المذاهب السائدة.

ثم أقول: حين تنظر في اختلافات المذاهب، الأربعة وغيرها، ستجد أن كلّها يعتمد على آيات وأحاديث فيما يذهب إليه. حتى أسفل السافلين (أقصد الوهابيين) يعتمد على آيات وأحاديث بنحو أو بآخر. وللإنصاف، لا تكاد تجد رأياً إلا ولو وجه ما في تلك النصوص التي اعتمدوا عليها، نعم قد يكون ضعيفاً جدّاً، قد يخالفه ما هو أقوى وأجلى وأولى منه فيكون العقل العمل بالأعلى، وقد وقد وقد، هذا كلّه نعلمه ونقرره ونثبته ونشهده. لكن لو نظرنا فقط إلى كبار الفقهاء مثل داود وأبو حنيفة ومالك والشافعي، سنجد أن هؤلاء أيضاً يختلفون، حتى في المسائل التي ينظرون فيها إلى نفس الأدلّة، كأن يكون الدليل قرءانياً أو حديثاً ثابتاً عند الجميع أو معلوماً لهم من حيث نصّه وألفاظه. فلابد من فقه يجمع بين كل القراءات المقبولة ظاهرياً للنصوص. وكل ما احتمله النصّ، فهو من النصّ. ولا يجوز جعل بعض الاحتمالات مذهباً، وبعضها مذهباً آخراً مختلفاً ومنشقّاً عن الأول ومنفصلاً عنه. بل لابد أن يكون "المذهب الشرعي" هو الجمع بين كل هذه الاحتمالات، بنحو ما من الجمع بحسب سياق كل واحد منها

ومدلوله. لا يجوز "تلطيف" و "تجميل" نصوص الشريعة. لابد من قبولها كما هي، بكل ما تحتمله احتمالاً ظاهرياً. فإن انتهينا إلى أن نصوصها متعارضة تعارضاً فاسدًا فساداً مطلقاً، فنحن وذاك. وإن انتهينا إلى أنّها تحتمل الكثير لأن الواقع وإصلاحه يحتاج الكثير، فبها ونعمت. وهكذا أيّا كان ما انتهينا إليه، فهو ما انتهينا إليه. ولا يخفى أنه لن يقوم بهذه الوظائف أي شخص لديه وظيفة فقهية، أقصد يعتمد في كسب عيشه على مذهب من المذاهب المشهورة القديمة، لأنّه لن يجد حتى الجرأة فضلاً عن الرغبة للقيام بمثل هذه المحاولة، وبطبيعة الحال سيجد تسعة وتسعين سبباً عقلياً ونقلياً لعدم جدى مثل هذا العمل بل لكونه فاسداً وشرّاً محضاً خرج من أغبياء وسفهاء الأحلام في آخر الزمان...إلى آخره. نحتاج إلى فقهاء يجمعون بين أعماق العربية وأعماق النصوص الإلهية والنبوية، ويبدأوا وينتهون عند كتاب الله تعالى في الرؤية العامّة والمبادئ الكلّية للعمل، وللتفاصيل بقدر ما ورد في كتاب الله. وحتى في تأمل أي نصّ، فلابد من تقرير ما يحتمله هذا النصّ باستقلال، أي كأنّه لا يوجد غيره. ثم بعد الفراغ من الاستنتاج يُمكن مقارنة النتائج ببعضها. وتستطيع أن تجد الفرق بين ثمرة النصّ وثمرة مقارنة هذه الثمرة بغيرها في قول الفقيه "النصّ يفيد كذا، لكن هذا مستحيل بسبب كذا وكذا". أي أنك ستجدهم يقررون معنى مأخوذ من قراءتهم للنص، ثم ستجدهم يرفضونه لأسباب خارجة عن ذات النص وهيكله، وراجعة إلى فهمهم ونصوص أخرى وغايات وأصول بنوا عليها نظرهم. مثل هذا المسلك خروج عن مبدأ الظاهر. ونريد فقهاً لا يخرج عن مبدأ الظاهر، وكلّما كان الفقه أقرب للظاهر كلّما كان أكثر اتحاداً صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم.

...

"وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمناً"

أي: من بعد خوفهم على دينهم، أمناً على دينهم. وإلاّ، فأموالهم وأنفسهم قال لهم فيها "إن الله اشترى من المؤمنين أموالهم وأنفسهم" و "لا تخافوهم".

...

جعل "الماضي" أساس الحاضر، يعني في المحصلة تحصين الحاضر من التغيير. ولا أحد يرتكب مثل هذا التزوير إلا لأنه ينتفع من الحاضر بنحو غير مشروع. فكل اعتماد على الماضي كسلطة ذاتية ومُرجِّحة يعني الظلم. الماضي ظُلم وظُلمة.

...

يا مُيسِّر العسير، يا ربّ التنوير، سهِّل لي كل شئ، إنّك على كل شئ قدير.

...

توحيد العقل والجسم: أن يكون عقلك في عمل جسمك، وأن يكون جسمك في عمل عقلك، وأن يسكن كلّك لسكون سرِّك. في هذه الحالة أقوى ما يكون نورك.

...

الحق.

في قتل مفرّق الجماعة: مقصود الحديث معقول. لأن الاجتماع يكون بالإرادة، ولا يفرّق بالتالي إلا بما يضادّ الإرادة أي بالقهر، ولذلك يجوز قتاله وقتله، لأنه سيأتي بالتعذيب والقتل في سبيل قهر الإرادة على غير ما اختارته في أوّل أمرها.

الباطل.

مسخ الحديث: منع المُعلِّمين المتوجهين للإرادة، طوعاً، أي بالكلام مثلاً.

تبرير الحكم غير المبني على الإرادة.

تبرير الاجتماع على واحد حتى لو كان اجتماعاً صورياً ناتجاً عن قهر ورهبة وإكراه ونهب وألف مظلمة.

...

قال: حدّثني عن حال القبض؟

قلت: أوّلاً، تأكد أنه ليس لديك مشكلة صحية في جسمك. ثانياً، تأكد أنّه لا توجد لديك مشكلة نفسانية مزاجية في ذهنك. بعد ذلك يمكن التحدّث عن القبض من حيث هو حال مع الله أي مع حقيقة ذاتك.

قال الشيخ ابن عربي "واعلم أن أعظم بسط العبد أن يكون خلّاقاً." وقال "البسط نشر والنشر ظهور". من هنا نأخذ معنى البسط، وضدّه المتضمّن فيه. فالمعنى الأوّل هو الخلّاقية. وأعظم خلّاقية هي صناعة الكلمة النورانية، أي التعبير عن المعرفة. فمن لم يكن خلّاقاً بأي درجة من درجات الخلّاقية، كلمة أو صورة أو تأثيراً، فسيشعر بالقبض. والمعنى الثاني هو الظهور. أي قد تكون خلّاقاً، لكن تكون مكبوتاً مقموعاً مخفيّاً تعيش حال التقية والاختفاء، أي لا تكون منتشراً ولا ظاهراً، فحينها تكون في حال قبض من هذا الوجه، حتى لو كنت في حال بسط من حيث الخلّاقية. لابد من الخلّاقية والظهور معاً ليتمّ البسط، فتكون مبسوطاً لا مقبوضاً.

...

تصغير البلاد: رحمة للعباد، ويدرأ الفساد.

أقول: أرى أن العلاج الوحيد للمشاكل السياسية للناس هو بأن تكون بلادهم صغيرة، وإنّما يجترح السيئات بالحروب والتكبّر والقهر أصحاب البلاد الكبيرة الذين يملكون موارد فائضة شتّى وأعداداً هائلة من الناس لا يهتمّون لمقتل الكثير منهم بسبب وجود احتياطي كبير من الموارد البشرية والطبيعية. تصغير البلاد هو الحلّ. فالبلد الصغيرة المستقلّة عن غيرها من جهة لن تجرؤ عادة على تعريض أعدادها ومواردها القليلة نسبياً إلى الخطر، ومن جهة أخرى لابد أن ينشأ بين هذه البلاد الصغيرة تحالف من بندين فقط: الأول التعامل التجاري الحرّ، الآخر الاجتماع لمحاربة كل من يعتدي على غيره. وبهذا يُفتَح باب التواصل على مصراعيه ويُغلَق باب التقاتل بأكبر قدر ممكن في هذا الواقع. ويستطيع أهل كل بلدة العمل على التبادل التجاري وتبادل المنافع مع غيرهم بحسب ما عندهم، والبلدة التي لا تملك من الانتاج الزراعي مثلاً ما يكفي للتبادل، تستطيع التركيز على انتاج المعرفة والأدب أو السياحة وما إلى ذلك من منافع مادّية ومعنوية لا تقتصر على الزراعة والصناعة بشكل مباشر.

ولا تقول: إن البلاد الصغيرة مستحيلة ولا تفلح. فإن مدينة الفاتيكان وَموناكو وَليتشتاين وَ المالديفز وَمالطاً وَ سنغفورة وَ البحرين وَلكسمبورغ وَبروناي وَقبرص وَالباهاماس وَلبنان وَجاميكا وَ قطر وَالكويت وَ فيجي وَ إسرائيل وَ ماسيدونيا، كلّها بلاد صغيرة نسبياً من أقلّ من ٢ كيلو متر مربع إلى ٢٥ ألف كيلو متر مربّع، وعدد السكان فيها ما بين أربعين ألفاً إلى مليونين، ومع ذلك تعيش وتنتج ومستمرة في البقاء وبعضها من أفخم بلاد الأرض.

قد تقول: لكن إسرائيل دولة صغيرة ومع ذلك تحارب وتقاتل. نقول: أوّلاً، نحن لم نزعم أن تصغير البلاد سيؤدي إلى السلام المطلق. ثانياً، إسرائيل وما أشبهها تعتبر دول كبيرة في المقياس الذي نقيس به، وإن كانت صغيرة بحسب المقياس الشائع. ثالثاً، لإسرائيل حالة خاصّة لا تشاركها فيها بلدة أخرى في الأرض تقريباً من حيث أنّها دولة عميلة لدولة كبيرة وهي أمريكا، ولولا أمريكا لما بقيت إسرائيل ساعة واحدة، فلا يصحّ القياس على الشاذّ الذي لا يوجد غيره.

إن شئت، انظر مثلاً في أمريكا: حين بدأت تأسيسها كانت ثلاثة عشر ولاية. لو بقيت كل ولاية مستقلة في اتحاد كونفدرالي على أكبر تقدير، بدلاً من اتحاد فيدرالي، لما صارت غولاً متوحشاً كما هي

اليوم. ولكانت كما أراد لها أمثال توماس باين (من أهمّ المنظّرين والدعاة لها قبل تأسيسها وقَلَم الثورة الأمريكية الأبرز) أن تكون دولة صديقة للجميع وغايتها هي التعامل التجاري مع جميع دول العالَم.

لابد من تقسيم كل دول الأرض إلى أصغر شئ ممكن وقابل للعيش. وكل منطقة تكون بلدة مستقلّة عن غيرها. ولا يجمع بينهم شئ مثل ما يجمع الولايات في الاتحاد الفيدرالي أو ما دون ذلك من طرق الجمع والتوحيد. هذه أحسن فرصة أعرفها لإحداث تغيير جذري في الحالة السياسية البائسة للبشر منذ ما عرفنا وجود شئ اسمه التاريخ. ولابد من منع أي بلدة من الاتحاد مع أي بلدة أخرى بأي نحو من الأنحاء التوحيدية الجامعة، وهذا جزء من الاتفاق على السلام. القاعدة هي السلام، والبناء هو التجارة. ولكل بلدة حرية واستقلال الإرادة. ونظام كل بلدة لابد أن يكون الشورى المطلقة، أي لكل فرد الحق القابل للتفعيل في المشاركة في قرارات البلدة. وصغر البلدة وقلّة عدد السكان يؤدي إلى إمكان هذا التفعيل المباشر للإرادة الفردية، وإنّما احتجّ مع احتجّ ضدّ إمكان التمثيل المباشر بسبب كبر البلاد وكثرة السكان، بالتالي صغر البلاد وقلّة عدد السكان ينسف قاعدة هذه الحجّة.

تصغير البلاد إلى أصغر حدّ ممكن قابل أهله للعيش هو رحمة للعباد من حيث إمكان الكل المشاركة المباشرة وفهم ما يحدث في بلادهم والشعور بفرديتهم وقوّتهم وتفعيل حقوقهم، ويدرأ الفساد الناتج عن اعتبار الشعب مجرّد أعداد وقهر الشعوب بعضها بعضاً وغير ذلك من مفاسد.

...

ما لا يحكم فيه إلا الخصم، فلا حكم له.

...

لولا أن الغضب على الآخرين فيه حرق لنفس الغاضب، لكان الغضب سياسة جيدة للتعامل مع الكثير من الجهال. أي فائدة في طلب السكينة بالغضب إذا كان الغضب نفسه مدمّر للسكينة ومزلزل للنفس. قد أفسدت غايتك بوسيلتك.

...

عناصر الفكرة إن كانت موجودة في نصوص الدين والمذهب، فحتى لو لم توجد الفكرة الكاملة المجموعة من العناصر، فهذه الصورة من ذلك الدين واحتمالاته المقبولة.

مثال: الفكر الجمهوري في الإسلام. فإن الإمارة والعرافة والشورى والمساواة بين الأفراد وحرية الإرادة والتعاقد والمسؤولية الفردية في الآخرة وفرضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما إلى ذلك من عناصر موجودة في نصوص الإسلام، تعني أن فكرة النظام السياسي الجمهوري يمكن قبولها من المسلمين دون الشعور بالأخذ بفكرة غريبة عن روح دينهم وأنفاس شريعتهم.

...

التعقل شمعة،. التوكل شمس.

فكرك يحدّك، وقد تصيب هدفك وقد تخطئه، لكن توكلك على ربّك يعصمك ويجعل حتى الخطأ صواباً.

فتعقلك شمعة تضئ لك بقدر قوتها وما حولها فقط، فرؤيتك محدودة ومقيدة بيقظتك وقوة يدك. لكن توكلك شمس، تضئ لك العالَم كله وهي تعمل حتى وأنت نائم وغافل وغائب.

عدم التوكل جهل، عدم التوكل قتل.

"وتوكل على الحيّ الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيراً".

...

هذه بعض الرباعيات بالانجليزية، لعلّه ينتفع بها من ليس من أهل العربية أو لا يرى جواهر طريقتنا العلية.

O seeker of joy and serenity,
Take the one whole truth from me,
Invoke the Name and laugh aloud,
To rise above all for eternity.

His Name is high, His Name is might,
His Name is power, it's pure delight,
Invoke it alone in your heart of hearts,
To win eternal glory and boundless light.

Love is all in this lowly world,
It's a heatless sun, a divine sword,
Meditate incessantly on His Book,
All is found in the Sacred Word.
..
Misery is destiny if you don't meditate,
To the house of happiness it is the gate,
Do not run away from the fact,
Hide a fart's sound, its smell will radiate.
..
Sugar, sex, house, health,
That is all you need of wealth,
Enjoy the moment, it's the only time,
NOW is real, the rest is stealth.
..
Time is ripe to kill the sheep,
And wake tyrants from their sleep,
Destroy all, spare none,
Only Freedom you should keep.
..
Knowledge elevates man from the hoard,
With ignorance never be in accord,
Seclusion is heaven, Books your treasure,
By the glorious Pen concur the world.
……….
مثل حياتي في الجاهلية والإسلام كمثل رجل كان في صندوق صغير مرمي في بحر من الذهب في أوج شروق الشمس. في الجاهلية، كنّا نرى الحياة ضيّقة، مزعجة، مظلمة، فقيرة، لا مساحة فيها لغيرنا، مملة، فارغة. في الإسلام، صرنا نرى الحياة واسعة، ممتعة، منيرة، غنية، مطلقة، فاكهة، ثرية. حررنا الله من الصندوق، فصرنا نتقلّب في بحار ذهب القرءآن، وأضواء شمس النبي. والحمد لله رب العالمين.

...
لا علاج غير هذا: إمّا أن يكون مركزك الذكر والعلم، وإمّا تعيش في جهنّم.

...
تعظيم المتكلّم، قبل تطبيقك لكلامه، حيلة شيطانية. فيشغلك عن الكلام بالمتكلّم، والكلام ينفعك، والمتكلّم ينفع نفسه، فتخسر بتعظيمك له قبل نظرك لنفسك.

...
قالوا: الله أراد خروج ءآدم من الجنّة فابتلاه بإبليس لأن هبوط ءآدم إلى الأرض للخلافة ما كان ليتمّ إلا بإبليس.
أقول: باطل. ليس الله مهرّجاً حتى يجعل المسلمون يتغنّون إلى يوم القيامة بكلمة "وعصى ءآدم ربّه فغوى" إن كان مُراد الله أن يعصي ءآدم ربّه فيغوي. وليس الله مهرّجاً حتى يحاكم الشيطان ويقول له "فاخرج منها فإنّك رجيم" إن كان الله يريد ويرضى وجود الشيطان في ءآدم ووسوسته له ليخرج من الجنّة. وما كان الله ليسمّى عمل الشيطان "فدلّاهما بغرور" إن كان إنما أرشدهما لعين النور والسعادة والحبور وشرح الصدور وتحقيق الغاية من الخلق والظهور.
الحق هو التالي: بقاء آدم في الجنّة كان إعداداً له للخلافة، ثم بعد ذلك كان سينزل مستعدّاً للخلافة عاملاً بها. ولذلك قال "إنّي جاعل في الأرض خليفة"، فالحق أن الله أراد في النهاية إنزال ءآدم إلى الأرض. لكن جعله خليفة عملية تحتاج إلى مدّة تعليمية. وهذه المدّة كانت في الجنّة، حيث أمّن له معاشه وزوجه وأمنه، ليتفرغ لأمر خلافته، بالتعلّم من ربّه والنظر في أمره. المعصية قطعت مرحلة الإعداد، فصار ءادم في الأرض مُطالباً بثلاثة أمور، تحصيل معاشه وزوجه وأمنه، هذا أوّلاً، وثانياً ومع العمل الأول الاشتغال بتحصيل حقيقة خلافته بالتعلّم والسعي والجهاد الأكبر، وثالثاً العمل بمقتضى عبوديته وخلافته لله تعالى. في الجنّة وفّر الله له الأول، لكن في الأرض صار عليه تحصيل الأول والعمل على الثاني من أجل الثالث. ولذلك ضلّ من ضلّ في الأرض من بني ءادم، حيث تاهوا في بيداء تحصيل العيش والزوج والأمن، فضلّوا عن العلم، أو حصّلوا العلم المؤدي لنور الخلافة ولم يعملوا به. حقّاً إنها مصيبة حلّت بآدم وبنيه. لا مصيبة جوهرية، لكن مصيبة نقص في مواد العيش ولوازم التفرغ للعلم.

...
جزء من اللعبة أن توهم الملعوب فيهم أنّك لا تلعب اللعبة.

...
إشغال الناس عن السعي لتخفيف حمل المعيشة، ومزيد وقت فراغ، عن طريق إشغالهم بمواضيع أخرى غيبية وخارجية، هو من أسوأ مكر الشياطين بالناس. أقصد شياطين الحكومات والمذاهب الفاسدة.

...
مشكلة المشايخ التقليديين المعاصرين-كثير منهم:-
الأولى، الإكثار من المعلومات مع ترك التعمّق. أي تفكيرهم أفقي أكثر من كونه عمودياً.
الثانية، التكلّم بكلام قديم عن مواضيع ذات ظروف قديمة ولّت، بدلاً من التكلّم بالكلام القديم على المواضيع الواقعة والحديثة.
الثالثة، التركيز على مواضيع ثانوية بل سابعية، لم يشتغل بها الأوائل في أغلب الظنّ إلا لأنّهم مُنعوا من الكلام في غيرها من الأولويات، ومنعهم القهر أو الشفقة أو سلبية نفسانية معقّدة. فمثلاً، في زمن مثل هذا حيث أغلب الناس يشتغلون لمعايشهم أغلب اليوم وفي أشغال تهلك العقل والذوق والروح (الهلاك المؤدي قطعاً للإلحاد العملي إن لم يكن النظري والقلبي بسبب فساد الذوق وانخفاض العقل انخفاضاً

حاداً جهة المادّة بأسوأ المعاني)، تجد الكثير بل الأكثر بل لا تكاد تجد إلا من يتحدّث في مواضيع غير هذه الأولوية العظمى لتفريغ الناس للنظر في تلك المواضيع الأخرى التي يهتمّون بها والمائلة إلى التجريد والذوق والمعاني الحدسية والباطنية الشريفة.
الرابعة، الاعتماد على الحكومات أو المؤسسات المؤطّرة بأطر فكرية وقيمية محدودة جدّاً لكسب لمعاشهم ومعاش عيالهم. وهذا يؤدي بهم إلى شلل روحي وخمود نار العقل بنحو لا يمكن تشبيهه إلا بالموت إن لم يكن أسوأ من الموت. فتجد الواحد فيهم ينتمي لجامعة أو دولة أو منظمة أو جماعة، يخشى هو نفسه الخروج عليها بعد انغماسه فيها، وتمنعه هي من الخروج قيد أنملة عن ما ترسمه من حدود كلّية، ويخشى هو من الخروج ويبرره لنفسه بأحكام الضرورة خصوصاً كونه يعيل غيره من "المساكين".

...

رأيت في النادي رجلاً مفتول العضلات بنحو عجيب، وكان معجباً بجسمه إلى حدّ غريب، ومعه صاحب له يعزز له من قيمة جسمه وكأنّه لا موجود إلا هذا الجسم ولا عمل إلا تفخيم هيئته. فقلت على سبيل المزاح لصاحبه وهو يسمع "ما رأيك، في كم يوم يمكن لجسمي أن يكون مثل جسم صاحبك؟" فضحك ساخراً وقال "في كم يوم تتوقع أنت؟" فقلت "في ثلاثة إلى سبعة أيّام. نموت أنا وهو اليوم، ونُدفَن غداً، وتأكل الديدان جسمي وجسمه فنصير سواسية في ثلاثة إلى سبعة أيّام".

...

قال: لماذا سُمَّيت المادّة "مظلمة" في كلام الحكماء؟
فقلت: لأن تفسير الأحداث المادّية يعتمد على النظر العقلي، وفهم ما يحدث في الطبيعة وأسبابه يحتاج إلى نظر عقلي، ومشاهدة اتّصال الماضي بالحاضر بالمستقبل إنّما ينشأ بالنظر العقلي، إذن نور التفسير والفهم والمشاهدة إنّما ينشأ من العقل لا من نفس الصورة المادّية والأحداث الخارجية الطبيعية. فالمادّة ظلام، والعقل نور، والعقل ينير ظلمة المادّة بالنسبة للإنسان، وإن كانت المادّة في ذاتها مجلى للنور الإلهي قال تعالى "مثل نوره كمشكاة فيها مصباح".

...

(رسالة في العلم بالله)
الحمد لله الذي لا يقع اسم عليه، إذ الاسم يحدّ المسمّى في وجه، ونفسه المتعالية له ا ألف ألف وجه، الذي له مُلك سموات اللاانتهاء، وله أرض الحيرة والفناء، وما بينهما من هوى العشّاق المذبذبين بين الشهود والانمحاء، وما تحت ثرى السالكين، المحبوسين في دنيا المادّيين، لا إله إلا هو الكائن لا ثابت بنفسه غيره، والذي هو ظاهر بنفسه لكل شئ، والباطن بقيوميته على كل شئ، وهو بكل شئ من الممكنات عليم، وبأحوال مخلوقاته التي هي في خياله خبير بصير.

إنّما خُلق الإنسان لعبادة الله، العبادة هي تعبيد النفس حتى تفنى في معشوقها الذي هو معبودها، فالعبادة سلوك وليست ادعاءات ولا إثبات مقولات، فأوّل ما على العابد أن يوقن به هو معبوده، وبعد أن يقرر من أو ما هو معبوده ينكشف الطريق إليه.
والمعبود هو أحد ثلاث، إمّا مستحيل التحقق موهوم في رأس صاحبه، وإمّا ممكن في نفسه مخلوق مثله له بداية وله حدود ينتهي إليها في شكله أو قدرته أو علمه، وإمّا واجب بنفسه قائم لا يفتقر إلى غيره كامل القدرة كامل العلم لا يحدّه شئ ولا ينتهي إلى شئ ولا ينحصر في شئ ولا يخرج عن شئ وهو المعبود الأسمى والرب الأعلى وهو الله جلّ وعلا.

وكل واحد منّا بنو ءادم عابد، لا ريب في ذلك، وإنّما منّا مَن يعلم من معبوده وآخرين يظنون أنهم أحرار وهم أعبد العابدين في أسفل السافلين، ويعلو العبد كلّما علا سيّده، ويرتفع المحبّ كلّما علا حبيبه، فربّنا الله، ومحبوبنا الله، ومعشوقنا الله، والحمد لله.

السبل إلى معرفة الله والعلم به والفناء في عشقه خمسة، وهي خمسة متسلسلة متكاملة، الإحسان في واحد منها يؤدي إلى آخر منها، وأكمل المتألهين من بدأ بواحد وسار على الخمسة كلّها.
سبيل نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، سلام الله على المرسلين.

أما سبيل نوح فهو الجدل الفكري المنطقي العقلاني، وإبراهيم هو السلوك العقلي القلبي، وموسى هو السلوك القلبي الروحي، وعيسى هو العاشق الكامل، ومحمد هو السلوك الأخلاقي والمعاملات الحسنة التي هي نهاية كل ما فات من السبل والتي لولاها لما كان ثم مظهر لصدق العاقل أو المتأله أو العاشق، ولذلك هو خاتم النبيين.

...

سؤال: لو كانت المسألة الفلسطينية بيدك، وكان كل الفلسطينيون من أتباعك، وقد اتخذوك إماماً لهم بحق وصدق، وجاءك الصهاينة وقالوا لك، إن الله كتب لنا هذه الأرض، وإنا نريدها منكم ونريدكم أن تخرجوا من هذه الأرض، فماذا كنت ستفعل؟

-إن الأصل أن المتأله لا يبالي في أي أرض سكن طالما أنّه معه ذكر الله "وهو معكم أينما كنتم" و "فأينما تولّوا فثمّ وجه الله" ١

فإن كنت في الموقف الذي ذكرت، لسألت رئيس الصهاينة، أترى لو امتنعنا هل ستذهبون أم ستحاربون وتقتلون وتفجرون وتدمرون، فإن أجاب أنهم سيذهبون قلت له "إن الله معكم أينما كنتم فدعوا عنكم أوهام الشياطين فليس الله في فلسطين بأعظم من تجلّي منه في غيرها"، وإن أجاب بأنهم سيدمرون حتى نخرج، قلت له "ادفعوا للناس مالاً مقابل كل ما يملكون بأحسن الأسعار وكأنكم تريدون أن تشتروا في يوم طبيعي من أيام الدنيا، واضمنوا لنا السكن في بلدة يكون لنا فيها نفس المميزات التي لنا هنا، واضمنوا لكل عامل وعاملة وظيفة كالتي كان فيها، وجهزوا لنا الطائرات والوسائل التي ستُقلّنا، وتعالوا واسكنوا في هذه الأرض وأرجوا الله أن تجد قلوبكم الراحة والسلام مع أني أشك في ذلك، إذ من لا يعرف الله في قلبه لن يعرفه إن غيّر أرضه. ٢

فإن لم يلبّوا لنا هذه الأمور، وأرادوا منّا أن نخرج بدون أي شئ أو ينتقصوا من أحد هذه المطالب العادلة البسيطة مقارنة مع ما سيواجهونه من خسائر في الحروب والتفجيرات والأمراض النفسية واللعنات الإلهية، فإني وأهلي سنخرج مسالمين والله حسبنا ونعم الوكيل، ومن أراد أن يأتي معي كان له ذلك وأجر صبره عند الله والله خير وأبقى، ومن أراد أن يبقى ليحارب فأيضاً له ذلك "أُذن للذين يُقاتلون بأنهم ظُلموا وإن الله على نصرهم لقدير". وهذا من العدل. ٣

ومع ذلك فإن إبقاء النفوس بالصبر خير من قتل الملايين بالعدل، ألسنا إلى الله راجعون. ٤

وإن أرض الله واسعة، وإنّما نعمل ونحيا لنذكر الله ونتأله، فما الفرق بعد ذلك إن كان اسم المدينة كذا أو كذا. ٥

فلا تعلم ما أخفي لهم من قرّة أعين جزاء بما كانوا يعملون. ٦

أقول: لو لم يتّحد المسلمون لتغيير واقع الحال في فلسطين، سيأتي على الناس يوم تكون فيه الفتوى الخبيثة المذكورة أعلاه هي أرقى مستوى يتكلّم منه الناس. فانتبهوا وعجّلوا بأسباب التغيير.

...

حاكمية العقل على الواقع:

لا تشهد الواقع إلا بعقلك، إذ النوم أو الإغماء أو السكر يفنيك عن الواقع أو يغيّره.

الماضي في عقلك فقط، إذ هو واقع معدوم، فلا يبقى إلا في عقلك.

المستقبل في عقلك فقط، إذ هوواقع غير موجود، فلا تتخيّله إلا بعقلك.

الحاضر لا يشهده عقلك إلا بالتفات إليه، والتفاتك اختيار عقلي.

ثم ما تلتفت إليه قد لا تركّز عليه أو تركّز على قدر معيّن منه، وهذا اختيار عقلي آخر يحدد ظهور الواقع الحاضر لك.

ثم هذا الجزء الذي التفت إليه وركّزت عليه، لا معنى له إلا بحسب تفسيرك له. وتفسيرك يعتمد على أفكارك العقلية واعتباراتك النظرية الراجعة إلى أمور عقلية.

ثم هذا الذي فسّرته، تقييمك له سيعتمد على قيمك وسُلَّم أولوياتك، وعلى ذلك ينشأ حكمك عليه، وحكمك على الواقع هو النسبة الرابطة بينك وبينه والمدخلة له في حيّز الوجود عندك.

النتيجة: العقل قطب الواقع بالنسبة للإنسان.

...

العِلّة عُقدة.

فهم العِلّة والسبب من الشئ والظاهرة والقانون يعقد المعلوم في قلبك ويربط جوهره في جوهر عقلك فتعرف وتحسن اكتشاف وفهم المظاهر الناتجة عنه والمصاديق التابعة له والفروع الناشئة منه. الاشتغال بإدراك علل وأسباب الأشياء والأمور شغل العقلاء، والاشتغال بحفظ مظاهر العلل وصور الأشياء والأحكام شغل السفهاء.

...

آيات القصص والأمثال تصلح للطيف استنباط الأحكام.

آيات الأحكام المباشرة تصلح لصريح الاستنباط بداهة.

والمبدأ هو التالي: لا يجوز قبول ثمرة لطيف الاستنباط مع وجود مُعارِض من صريح الاستنباط.

...

من محمد النبي إلى محمد ابن عربي، سبعة قرون؛ الأولى كان الاشتغال بما جاء به النبي مباشرة.

من ابن عربي إلى وقتي، سبعة قرون؛ الأولى كان الاشتغال بما جاء به النبي بواسطة ما جاء به ابن عربي.

من قرني إلى سبعة قرون؛ الأولى الاشتغال بما جاء به النبي وابن عربي بواسطة ما جئت به.

ثم يظهر المهدي.

تكلّم النبي كثيراً، لكن جوهرته القرءآن.

تكلّم ابن عربي كثيراً، لكن جوهرته الفصوص.

تكلّمت كثيراً، لكن جوهرتي السلطان.

...

ليكن ما حييت مركزك الله
ألم يكن معك دوماً أَلَم
أدم ذكره وانظر ترَ
عجيب تدبيره المتعالي على كيف
فإن قلتَ قال وستفعل إن فعل
يصير عينك وهو نفس ربك
ذر الجهال فليسوا لك بأصحاب
رفيقك إسرافيل رفيقهم الفيل
ألم تجد لذّة عالية قل لي ألم
ذاتك فوق جعَلَ واجعل ويجعل
لا يضرّك سحرهم ولا كيدهم
إذ نورك تجرّد عن اسم وفعل وفي
نوره حصنك من كل تضليل
لتعليمك أنزل وأرسل
وأنت لأهل الكون لهم لا عليهم
تعرج بالقرءان فتطير طيراً
والملائكة يُقبلون عليك أبابيل
الشياطين يخافونك وأنت ترميهم
بنيّة وبفكرة وبحجارة
أنت فوق إلى وفوق مِنْ
أنت منزّه عن عدن وسِجِّيل
علِمَ الله العالَمين فجعلهم
فاعتبرهم كعصف
مرذول منبوذ مأكول
...
منذ فترة وأنا أشاهد وأقرأ عن تجار المخدرات المكسيكان. فلمّا آلمني ما وقع من مقاتل وتعذيب في هذا الأمر، سألت نفسي "ما سبب وقوع كل هذه المقاتل؟" وكان الجواب: حر يزرع ويصنع مادّة، ليبيعها لحرّ آخر. بدلاً من ترك هؤلاء الأحرار ليتاجروا، تدخّل أناس بينهما، إمّا إرادة لمنع التجارة الحرة وإمّا لأخذ جزء من أرباح التاجر بغير حقّ، فوقعت المقاتل.

لكن بعد ذلك سألت نفسي: ولماذا تدخّل من تدخّل بغير حق؟ وكان الجواب: لأنّه يريد المال. ولماذا يريد المال؟ لأنّه محتاج، أو يريد التوسّع. ولماذا يحتاج ويريد التوسّع؟ لأنه مخلوق على هذه الشاكلة، فخُلِق على شاكلة بدون توفير ما يحتاجه ويريده وتتسع له نفسه وشهوته ورغبته.

نتيجة البحث: القدر خيره وشرّه من الله.

...
إذا تبسّمت، قام لك الوجود.
إذا ضحكت، ركع لك الوجود.

إذا قهقهت، سجد لك الوجود.

...

من تكلّم في كتاب الله على أنه فقيه في دين الله من قبل أن يعتزل الناس ويرى الله فعليه لعنة الله.

...

سؤال: هنالك آيات تفضّل الزواج والإرث والجهاد بما لا مجال للزيادة فيه، فلماذا لم تذكر آيات مفصلة متتالية لكيفية الصلاة وإقامتها، مع أن "أقيموا الصلوة" ذكرت كثيراً؟

للصلاة معنيان، الدين والتأمل.

وأحكام الدين وشرائعه ووصاياه مفصلة تامة فعلياً إقامتها في حياتنا ومجتمعاتنا وحكوماتنا، "أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه".

والتأمل والصلاة بالله بالدعاء والذكر والتأله هو في كل الإيمانات غير الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله، والله أقر الإسلام، الذي هو الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح. قاعدة مشتركة لكل الإيمانات الأخرى، وأقرّ كل إيمان، غير الإيمان بمحمد، إن كان قائماً على هذه القاعدة "إن الذين ءآمنوا. والذين هادوا. والنصارى. والصابئين. من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً. فأولئك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون." ولكل إيمان صلاة، فلو قال أين كذا وكذا في إقامة الصلاة التي أقبلها لكان معنى ذلك أن كل صلاة غيرها باطلة وهذا عين الباطل، إذ الصلاة بالله أصلها القلب لا الجسم، وكثير من التعسف والجور والضرر كان سيلحد الناس لو صح ذلك، وهو مستحيل عند الله.

فالصلاة المحمدية هي صلاة مرضية عند الله، وليست الضلاة المرضية عند الله، وهي أحسن صلاة إن كملت طاهراً وباطناً، ومن يدعوا الله فقد صلّى "قل ما يعبؤا بكم ربّي لولا دعاؤكم".

ولا تتعسفوا في الأعمال الجسمانية إنما هي مسألة روحية، أترى لو أن رجلاً قام ساعة وركع ساعة وسجد ساعة، وكان في كل ذلك يحسب ماذا سيشتري من السوق وبكم، هل كانت هذه صلاة.

...

طوبى وألف طوبى لمسلم أدمن على ذكر الله وكتابه و أحب الرياضة، وتغذى بوجبتين أكلة في النهار وأكلة في الليل.

إذا لم تكن هذه هي الجنّة، فإني لا أعلم جنّة أخرى على الأرض.

...

أوّل الدين أن تُعرض عن والدك ووالدتك،

وأوسطه أن تعرض عن إخوتك وأصدقائك وأقاربك،

وأعلاه أن تُعرض عن أهل بلدك ومن حولهم من دنيتك،

فإن أنت خرجت من عند هؤلاء مهاجراً إلى الله ورسوله فقد تحقق فيك الدين، أو لا،

فإن عدت، وغالباً ستعود، فابدأ بنفسك وشدد عليها الرقابة ولا تتبع هواك،

ثم بوالدك ووالدتك فإن أعرضوا، وغالباً سيعرضوا، فلا تحمل شيئاً في نفسك،

ثم بإخوانك وأصدقائك وأقاربك فإن رضي منهم أحد فتذلل له وعلّمه وشاوره،

وأكثرهم سيعرضون عنك، ثم إذا كبرت فادع أهل بلدك فإن أغرضوا، وغالباً سيفعلوا، فتعوّذ بالله من هذه القرية الظالم أهلها، وهاجر إلى بلد أخرى فإن أرض الله واسعة، وستواجهك مشاق ومصاعب ومحق

ونقص في مالك وملذاتك وما كنت تحب من أملاكك، فإن صبرت وتألهت في الذي له ولوجهه خرجت، فإن الله سينصرك ويهيئ لك من ينصرك. "وكان حقّاً علينا نصر المؤمنين".

...

سؤال: يقول أكثر علماء الدين إن الله لا يعلم الناس إلا عن طريق أنبائيه والذي خاتمهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فما تقول في ذلك.

إنهم يعبدون ربّاً فيه أحد هذه الصفات أو كلّها،
لا يسمع، أو لا يبصر، أو لا يعلم، أو بعيد، أو لا يتكلم، أو لا يقدر، أو هناك من يحكم تصرفاته.

وإنا نعبد من يسمع سؤالنا، ويرى حالنا، ويعلم كل شئ، وأقرب إلينا من كل شئ، وكلامه أعذب كلام وأعلاه، وقادر على كل شئ، ولا معقب لحكمه، لا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون.

فاختار أنت من تريد أن تعبد. "لكم دينكم ولي دين".

...

هل يمكن أن يبحث عن كنوز في عمق البحر غواص قبل أن يدخل البحر،
كذلك قبل أن يعلمك الله أسرار آياته عليك أن تطيع أوامره وتعمل بأحكامه.

...

سؤال: نرى في كتاب الله أنه يذم اليهود أحياناً ويمدحهم أحياناً، وكذلك مع النصارى، فبأي الموقفين نأخذ؟

ليس من الحكمة في شئ أن تذم الطريقة أو المذهب جملة وتفصيلاً، إذ لا يخلو مذهب عن الخير.

وإن حكم الكتاب في اليهود لا يعني كل اليهود ماضياً وحاضراً شرقاً وغرباً، إنّما يذكر قبل آيات الذم أو فيها ما سبب هذا الذم، فيعني ذلك أن من اليهود، فرقة، طائفة، بعض منهم لا كلّهم، يعتقدون بكذا، أو يفعلون كذا، فيذمهم على هذا الاعتقاد أو هذا الفعل بالذات. وكذلك مع النصارى وغيرهم.

مثال ذلك: "ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين" و "قالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين" نفهم أن اليهود والنصارى ليسوا على ملّة إبراهيم ، وليسوا مسلمين، وهم مشركون.

فإذا نظرنا في قوله "إن الذين ءامنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من ءامن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فأولئك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون". نفهم أن اليهود والنصارى لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، أي من الفائزين.

وللذي لا يفهم كتاب الله يظن أن هذا اختلافاً، ولكن الحكمة أن يُقيّم المرء الحكم على الكل الصالح والطالح لمن أنه حمل الاسم، فالآيات الأولى تحكي عن يهود ونصارى خرجوا عن ملّة إبراهيم لأنهم ليسوا حنفاء بل جامدين لا يقبلون التغيير، بدليل أنهم لم يقبلوا النبي محمد صلى الله عليه وآله، ومن المشركين لعبادتهم الأحبار والرهبان وقولهم في عيسى ما قالوا وعن الله ما افتروا.

والثانية تحكي عن كل من ءآمن بالله واليوم الآخر أنه يوم حساب فيه جنّة ونار بدون تفصيل أكثر من ذلك، وعمل صالحاً التي هي الفرقان الذي أنزل على موسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم، أي الوصايا العشر. وهؤلاء من المسلمين الفائزين.

...

قالت: ما معنى رجوعنا إلى الله في "إليه راجعون" وما أشبه؟

قلت: في العالَم الأعلى، وهو المثل الأعلى الذي لله تعالى، لا توجد فاصلة بين الإرادة ونفوذها بل الأمر فيها "كن فيكون" بلا فاصلة الزمن، ولا توجد وسيلة خارجة عن الفاعل لتفعيل إرادته وتحقيق فكرته بل الفاعل هو نفس الوسيلة فالله تعالى لا يتوسّل بغيره ليفعل شيئاً. كذلك أمر الروح، الأصل في موطنها العلوي أن إرادتها "كن فيكون"، وفعلها هو عين إرادتها وتأثيرها في الخارج لا تحتاج فيه إلى وسيلة غيرها. فالرجوع يعني الرجوع إلى حيث لا فاصلة ولا وسيلة لتحقيق مُراد الإنسان، وهو العالَم الأعلى.

أمّا العالَم الأدنى، فهو عالَم الفاصلة "في ستّة أيّام"، وعالَم الاستعانة والعداوة "بعضكم لبعض عدوّ" و "استعينوا" و "تعاونوا".

فكنّا في المباشرة والذاتية، وهبطنا إلى الفاصلة والغيرية، والرجوع يكون إلى نعيم المباشرة والذاتية.

...

قال: ما ثواب الدنيا وما ثواب الآخرة؟

قلت: ثواب الدنيا لقاء النبي. ثواب الآخرة لقاء النبي.

قالت: ما ثواب الدنيا وما ثواب الآخرة؟

قلت: ثواب الدنيا التمكين في الأرض، وثواب الآخرة الجنّة.

...

"إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون"

لا تحملوا كل آية نزلت في مشرك على أنها تنطبق على كل المشركين، وهكذا.

هذه الآية تتحدث عن إجابة الاستكبار. والإجابة بالاستكبار ليست كالإجابة بالأفكار. الذين يستكبرون هم الذين يريدون أن يكونوا هم الإله، بالتالي يستكبرون حتّى عن النظر في نفي الألوهية عن أنفسهم وإثباتها في غيرهم، كائناً ما كان. فهؤلاء يرفضون "لا إله إلا الله" لأنّهم يرون في أنفسهم معنى الألوهية، فلا يفكّرون ولا ينظرون ولا يتأملون. أنا الإله، هذا موقف مبدأي وأساسي وجوهري، ولا يمكن لهم قبول زحرحته أيا كان السبب.

...

معرفة وجود الوجود لا تعتمد على معرفة وجود العدم. الوجود غني عن العدم.

...

الشرّ اعتبر نفسك فعلته، والخير الله يفعله. هذا من تقوى القلوب.

افعل الخير، واترك الشر. هذا من تقوى القوالب.

...

قال: ألا يكون الرسول عنيفاً ومؤسساً لحياة مبنية على العنف حين قال عن نفسه "جُعلَ رزقي تحت ظلّ رمحي" ؟

قلت: هل وجدته يقول "تحت رمحي"، أم قال "تحت ظلّ رمحي"؟

قال: بل تحت ظلّ رمحي.

قلت: حسناً. فهل ظلّ الرمح يؤذي الناس، أم الرمح هو أداة العنف؟
قال: الظلّ لا يؤذي الناس.
قلت: إذن، فما علاقة هذا الحديث بالعنف؟
قال: فما معنى الحديث إذن.
قلت: معناه راجع إلى الآية القرءانية التي تقول "وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب". فهو مال تركه أهله بدون أن يأخذه منهم أحد عنوة وقهراً، والنصّ صريح بأنّه لم يكن في تحصيل هذا المال الذي أفاءه الله على رسوله أي عنف "فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب"، ولم يذكر أي قتال في الآية. بالتالي، كما ورد في الحديث "تحت ظلّ رمحي"، وليس "تحت رمحي". فظلّ الرمح وهم، وهذا الوهم هو الرعب الذي يقذفه الله في قلوب الذين كفروا من المعتدين. فجوهر الرواية راجع إلى جوهر الآية. ولا في الآية ولا في الرواية أي ذكر للعنف في حصول رزق رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم إن رسول الله كان لا يحبّ الطعام الحارّ، فما كان له أن يرضا عن تحصيل طعامه بالحديد والنار. فاعتبروا يا أولي الأبصار.

...

الخيال هو مشاهدة الحقيقة. المقال هو صناعة الحقيقة.

...

هل أعمل بالأحاديث المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم سواء عند السنة أو الشيعة وأصدق بها أم ماذا؟

اعمل بها إن شئت وصدّق بها، ولكن لا تتعجب يوم القيامة إذا حُشرت مع المشركين.
يا سبحان الله، أفرغتم من كتاب الله كلّه حتى تذهبوا إلى غيره.
"بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهو مُعرضون".

...

سؤال: أنت تظهر أن الله علم موسى مخطط لإفساد مجتمع فرعون، بطريقة ماكرة خادعة منافقة، فكيف تنسب مثل هذا إلى موسى عليه السلام وترضى به، ثم لم يفعل اليهود اليوم ما فعله موسى بالأمس تعيب عليهم ذلك، تلعنهم، أليس هذا تناقضاً صارخاً؟

الجواب: السبيل الوحيد ضرورة، والضرورة جائزة أيا كانت للحق. والسبيل الوحيد للتحرر من حكومة فرعون (من الداخل) هي بالمنهج الذي آتاه الله لموسى، وهو تدمير الحكومة بتدمير المجتمع، الذين هم سند الحكومة ومنهم أفرادها. وهذا خير، لأن بني إسرائيل هي الطائفة الوحيدة المستعبدة المقهورة المضطهدة تحت ذلك الحكم الطاغي لقوله تعالى "وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم" واحدة فقط، فلهم الحق بأن يفعلوا أي شئ للخروج من هذا الاستعباد، والبادي أظلم.

أما اليهود، إلا فرقة واحدة منهم، فقد أخذوا هذا المنهج الذين جربوا وعلموا صلاحيته وقوته، وأرادوا هدم كل المجتمعات لتدمير الحكومات ثم لكي يحكموا هم بعد فناء الحكومات التي فسد شبعها وأفرادها، فقد استعملوا الحق للباطل، ولغير ما أنزل، وهذا سبب غضب الله عليهم.

فلم يحلّ عليهم الغضب للوسيلة التي استعملوها وما زالوا، وإنما للغاية التي يرمون إليها وفيمن استعملوها.

...

إنّا أضواء العليّ الذاتِ،
أنزلناه حقّاً في ثوبِ الكلماتِ،
في قلب حبيب لم يزل موصولاً،
ليلة الوصال أفضل الساعاتِ.
القدر عظيم لا يحصيه عقل،
وما فوقه إلا عين السماتِ.
أدراك ربّك ما في نفسك فقط،
ما لكَ وما للعقائد النحساتِ.
ليلة تأمل في كنه نفسك تُبلّغك
القدر الذي للأعين الثابتاتِ.
ليلة القرءان هي بحار أنوار،
القدر مجهول إذ لا نهاية للدرجاتِ.
خير كل عمل بصدق حبّك ونيّتك،
من إرادة الحق تعرج في السماوات.
ألف سنة من عيش نكد هباء،
شهر بقرءان فوق كل الساعاتِ.
تنزّل في قلبك من كل علم وأمر،
الملائكة صحبك والأنبياء في الغُرفاتِ.
والروح وليّك وهو خليفة طبيعتك.
فيها سترى مشاهد الآياتِ.
بإذن الحكيم يخلص الحليم،
ربّهم ينصرهم برُمح الابتهالاتِ.
من نور إلى نور وحسن إلى حسن،
كل أمرهم خير ما دامت الآناتِ.
أمر الولي بيد العليّ،
سلام دارهم وعليهم التسليماتِ.
هي مصيرهم برحمة حبيبهم،
حتى ترابهم عليه من البركاتِ.
مطلع الضوء هو كتاب الله،
الفجر به وفي غيره الظلماتِ.
...

البعض يتكلّم من عقله، والبعض يتكلّم من بدنه.

المتكلّم العقلي، لا يبالي بحسّه، أكان في حالة مرض أم صحة، قوة أم ضعف، لذة أم ألم. هو ينظر في الفكرة، في القيمة، في الحقيقة، في القناعة، وينطق من هناك.

المتكلّم الحسّي، يمكن تغيير كلامه بفرض آلام أو تغيير ظروف معاشه. مثل هذا يتغيّر موقفه اللفظي وتصرّفاته حين يتغيّر حال بدنه. فإن كان ضعيفاً مريضاً كان له موقف، وإن كان قويّاً صحيحاً كان له موقف آخر قد يكون ضدّ ذلك الموقف.

كلّما استغرق العقل في الحسّ، كلّما صار المتكلّم حسّياً. وكلّما تجرّد العقل من الحسّ، كلّما صار المتكلّم عقلياً.

مثال المتكّم العقلي هو سيدنا بلال رضي الله عنه. فحين ضربوه وعذّبوه كانوا يبنون على أساس أنّه من العوام الذين عقولهم مدفونة في أبدانهم، أي أنّه سيغيّر كلامه وموقفه الذهني بناء على رغبته في اللذة والراحة البدنية. فكان الحرّ والضرب والسياط والإهانات، وكلّما أمور تلحق بالبدن، وسائل لتحقيق ذلك التغيير. لكن لمّا كان بلال عاقلاً روحانياً متجرّداً، لم يغيّر كلامه بل قال "أحد أحد" كما كان يقول في حال سلامته وصحّته ولذّته وأمنه. ومن هنا عظمة هذا الموقف البلالي، إذ كان دليلاً مباشراً على التجرّد الروحاني والإخلاص العقلي وتبعية الكلمة للعقل والروح لا للبدن والطبيعة.

مثال المتكلّم الحسّي هم عوام البشر. هؤلاء يتغيّرون بتغيّر أو توهم تغيّر أو الوعد بتغيير ظروفهم البدنية والمعيشية. لا قيمة ثابتة ولا راسخة لأفكارهم وكلماتهم. كلامهم فرع لذّتهم وألمهم، راحتهم وتعبهم، صحتهم ومرضهم. فلا ثقة بكلامهم، ولا وزن له عند أهل الحق من حيث دلالته على عقولهم الخالصة.

كلمة العقلاني جبل وتده الروح. كلمة الجثماني ورقة في مهبّ الريح.

...

المسؤولية في الأفعال على الفاعل لا على المفعول به.

المسؤولية في الأقوال على المتلقّي لا على المُلقي.

...

شرح فكرة "التعبد ضد التعقّل":

-مثال: الله وإبليس. "إذ أمرتك". "خلقت بيدي". "أستكبرت أم كنت من العالين".

-طريقة القرءآن.

-مثال عمر والمؤلفة قلوبهم.

-س:هل نتبع الحكم أم الحكمة؟ ج:سؤال خاطئ. لأنه بدون الحكمة لا يصح فهمنا للحكم حقّاً. مثال دواء الطبيب.

أقول: ما سبق هو طريقة هجوم الخواطر على قلبي، فأكتب هذه الشذرات على ورقة، ثم بعد الرجوع إلى البيت والاستقرار على المكتب، أبدأ بالتفصيل وصياغتها صياغة مقبولة معقولة. لكن عادة لا أذكر هذه الخواطر وإنّما أذكر الصيغة النهائية بعد تأملي في الورقة التي رشثت عليها الخواطر. إلا أني ذكرتها الآن حتى تكون عيّنة وأنموذجاً على هذا الأمر.

الصياغة المرتبة:

موضوع الخواطر هو العلاقة بين التعبّد لله وبين تعقّل العبد لعلّة وسبب وفائدة وحكمة الأمر الشرعي الذي يتعبّد به ربّه. وسبب ورود الموضوع كان حواراً دار بيني وبين أستاذ لي يدرّسني النحو والفقه (أحببت أن أرجع إلى دراسة النحو تحديداً من الصفر حتى أرى الفرق بين نظرتي له الآن وبين ما استفدته منه حين كنت صغيراً وأعاني من دراسته الأمّرين. والفرق شاسع بالمناسبة. أمّا الفقه فأحببت

أن أدرس المذهب الحنفي على يد شيخ حنفي، لا أقلّ من أجل أخذ بركة هذا الأمر، ومنافع أخرى إن شاء الله).

وجهة نظري خلاصتها: القرءآن جمع بين العلم والحكم. ولا يوجد حكم بلا علم، لكن يوجد علم بلا حكم. بالتالي العلم ضروري في كل حكم، والحكم مقيّد ومفهوم في ضوء المعلومات التي وصلها الله به. واستقراء القرءآن من أوّله إلى آخره يكشف عن هذه الطريقة القرءانية في الأمر، سواء كان أمراً شرعياً أو أمراً طُرُقياً، أي متعلّق بتقوى القوالب أو بتقوى القلوب.

وجه نظر أستاذي خلاصتها: عقولنا أصغر من أن تفهم حكمة الله، ونحن عبيد الله نتبع الحكم لا الحكمة، والحكمة زيادة إن جاءت فخير ونعمة وإن لم نكتشفها فلسنا عباداً لعقولنا ولا للحكمة لكن عباداً لله تعالى بصورة الأوامر الشرعية.

فقلت له ما حاصله: الطبيب حين يصف دواءً لمريض، فلابد للمريض من فهم علّة وصف هذا الدواء، حتى يعرف متى يتوقف عنه، وكيف يتفاعل مع أعراضه، ومتى يرجع للطبيب ليعرف إن كان ثمّة خطأ، أو غير ذلك من حالات. نعم، المريض قد لا يعلم كل علم الطبيب، لكن حين يقول الطبيب "هذا الدواء من أجل حرقة المعدة"،فالمفهوم أن المعدة لو عولجت تماماً، وعاد الأصل الذي هو عدم وجود حرقة في المعدة، فالنتيجة الضرورية هي سقوط الحاجة إلى الدواء. (وهذا المثال تقريبي، إذ أوردته شفهياً على عجالة، وبالإمكان إيراد الحقيقة المجردة دون الحاجة إلى الجدال، وبالإمكان وضع أمثلة أوضح وأقرب).

فقال الأستاذ-وإيماني أن الله أنطقه: مثال عمر والمؤلفة قلوبهم. أي عمر بن الخطاب توقف عن دفع الصدقات للمؤلفة قلوبهم، لأنه استنبط (لا ندري من أين بالضبط) أن هذا السهم له علّة، والعلّة هي ضعف المسلمين، ولذلك يحتاج إلى تأليف قلوب بعض الناس بمال الصدقة، فلما قوي المسلمين في زمن عمر دنيوياً، لم يعودوا بحاجة إلى تأليف قلب أحد، بالنتيجة أدار الحكم مدار علّته، فأبطل العمل بالحكم بسبب تغيّر العلّة.

فقلت: هذا المثال أقوى من المثال الذي ذكرته أنا. لأنّي إنّما قصرت كلامي على العلّة المنصوصة في القرءان، والمفهومة من نصوصه. لكن عمر بنى تعطيل هذا الحكم على أساس علّة غير منصوصة في القرءآن. فإذا كنتم تقبلون عمل عمر، فمن باب أولى قبول ما ذكرته أنا، إذ هو معقول بنفس الدرجة لأن المبدأ واحد في الحالتين (المبدأ: الحكم يدور مدار علّته وجوداً وعدماً، وهو مبدأ معقول ورسمه العلماء والحكماء منذ القدم). لكن ما فعله عمر أكبر مما أدعو أنا إلى فعله، فمن باب أولى قبول ما أوردته.

فلم يكن من الأستاذ إلا أن قال: وهل نقارن عقولنا بعقل عمر !

فلم أرد أن أكمل في هذا الطريق، لأن للأستاذ تعلّق شديد بعمر حسب تصريحه، ولا أريد أن أعكّر صفو هذه المجالس التي غايتها الأساسية النحو والفقه، وليست عمر وأصول الفقه والتشريع. فأمسكت عن الكلام،.

إلا أني اليوم (ما فات حصل بالأمس)، كنت أتأمل في هذا الحوار، فخطر لي من القرءان مؤيد لمذهب اتباع الحكم لأن الله أمر به بغض النظر عن فهم علّته وسببه. وذلك في قول الله لإبليس لما جادله "ما منعك أن تسجد إذ أمرتك". فجعل علّة السجود هي أمره سبحانه، وهي علّة كافية. لكن لاحظ أن الله لم يبدأ ويختم بعبارة "إذ أمرتك". لكنّه قال "خلقت بيدي" فأشار إلى مبدأ التعظيم وسبب السجود، ثم لما لم ينفع هذا مع إبليس أورد عليه "أستكبرت أم كنت من العالين" فأحاله على نفسه ليرى إن كان رفض السجود بسبب الاستكبار والعلو النفسي، وعلى هذا النسق لو تأملنا في قصّة إبليس سنجد أن الله لم يعلل أمره فقط بأنّه أمر، لكنّه ذكر أموراً أخرى وعللاً كاشفة عن حقيقة الأمر وفكرته، فلمّا أبى

إبليس الطاعة، استند على السلطة الذاتية للأمر الإلهي. "إذ أمرتك". إذن، أمر الله له فكرة هي السلطة العقلية، وله قاعدة هي السلطة الإلهية. والله تعالى لم يعتمد في إيراد أوامره على السلطة الإلهية فقط بل على السلطة العقلية أيضاً. ولذلك القرءان طافح بمظاهر السلطة العقلية في الأوامر الشرعية.

إذن، الواقع أنه لا خلاف بين ما ذكره الأستاذ وما ذكرته أنا. هو أشار إلى السلطة الإلهية، "إذ أمرتك"، وأنا أشرت إلى السلطة العقلية، "خلقت بيدي". والكمال في السلطتين، ومشاهدة الحقيقتين. إذ كمال العقل بالتفهيم، وكمال السرّ بالتسليم.

إلا أن الفرق هو أن الاعتماد المفرط على السلطة الإلهية قد أدّى بالناس إلى إشكالات عويصة يشتكي منها أمثال الأستاذ الكريم فضلاً عن غيرهم. ومن تلك الإشكالات: إعراض الناس عن الشريعة، والإلحاد، واعتبار الدين مخالفاً للعقل، وعدم الثبات على المجاهدة والصبر على الطاعة، وانتشار الجهل في العامّة، وسوء تفكير كثير من الخاصّة، وغير ذلك. وما الأصل في كل هذه الإشكالات؟ هو عدم الاعتماد على السلطة العقلية في فهم الشريعة الإلهية، كما هي الطريقة القرءانية. ثم إن الاعتماد على السلطة الإلهية بالحق والحقيقة يعني مشاهدة العبد لصدور الأمر من الله تعالى. فأين هذا من واقع حال العامّة وكثير من الخاصّة الذين يزعمون أنهم يعتمدون على السلطة الإلهية، وهم غرقى في بحار ظلمات الغفلة وقد تخلل الجهل بالله أدمغتهم وعظامهم حتى بلغ النخاع. نعم، أروني إنساناً يشهد صدور الشريعة المحمدية من الحضرة الإلهية، مثل هذا إن شاء أن يقصّر ويترك الحجّة العقلية (حتى المنصوص عليها في الآيات القرءانية وصحيح الأحاديث النبوية) فليفعل. لكن لا تأتي إلى طغام نيام لا يعقلون أوائل الكلام ومبادئ الإسلام، ثم تزعم أنك تريد صيانة دينهم عن طريق إلزامهم باتباع الأحكام بغير حكمة، والأوامر بغير علّة، والشرائع بدون فكرة. النتيجة ستكون ما حصل في الماضي واشتكى منه الفقهاء الأولين، وما يحصل الآن ويشتكي منه الفقهاء الآخرين: جهل منتشر، والأمل في قدوم المهدي المنتظر. (وكأن المهدي عليه السلام سيصلح قهراًحتى ما لم يأذن الله حتى لنفسه بقهر الناس عليه !).

لزوم طريقة القرءآن يوجد الجمع بين الذكر المؤدي إلى مشاهد الحضرة الربانية وترسّخ السلطة الإلهية في قلب العبد، وبين الفكر المؤدي إلى مشاهدة الأنوار الربانية وترسّخ السلطة العقلية في قلب الإنسان. الإله غيب والعقل شهود، والله "عالم الغيب والشهادة"، فلابد للإنسان الكامل أن يكون راسخاً في حضرة الغيب وحضرة الشهادة على السواء. فلا يطغى ولا يخسر هذا الميزان. فإن أردت الكمال ودرجات الرجال، فالزم طريقة القرءآن. والسلام.

...

فضل الكتابة على المشافهة: الكتابة مجرّدة عادة عن قيود المزاج، والتعب، والظرف غير المناسب، والحاجة إلى الاختصار، والعامّية، والجلوة بإشكالتها.

...

دراسة النحو أمتع الأشياء وألذّها، بشرط أن تكون ممن يهتم بالكلمة، قراءة وكتابة. ولن تكون من أهل الكلمة حتى تكون من أهل الفكرة وإرادة التعبير عنها باللسان. إذن أعقل الناس هم المؤهلون لدراسة النحو. أن تبدأ الدراسة بدراسة النحو سبب عظيم للنفرة منه. النحو آخر علوم الأدب، وإن احتجت إلى شئ منه في البدء. النحو ينفع قبل كل شئ وبعد كل شئ، فهو العلم الأوّل والآخر. والنحو ينفعك في فهم كلام أهل الظاهر وأهل الباطن. ومن عرف النحو انفتحت له أبواب العلم بكل شئ. فإذا كنّا سننزل آية من باب الإلهيات على علم النحو، سنقول "هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم".

...

رد على الخوف على الشريعة من الأسباب ودوران الحكم معها:

١- صلاة الخوف: الخوف والأمن، وهما من الظروف المتغيّرة الخارجة عن نفس صورة الصلاة، والراجعة إلى أسباب خارجية، هما من الأسباب المشكّلة لصورة الصلاة وكيفيتها. هذا والصلاة عماد الدين.
٢- زيارة القبور. نهى الرسول عن زيارة القبور ثم أمر بها. لماذا والزيارة صورتها واحدة في الجملة؟ لأن الفرق هو في حال الزائر. كانوا يزورون بعقلية جاهلية، فلما تغيّرت قلوبهم صاروا يزورون بعقلية إسلامية. أيضاً، تغيّر الأمر الشرعي بناء على تغيّر سبب خارجي، وهنا هو نفسية الإنسان وحال العبد.

الحق أن العمل الوحيد المطلق هو ذكر الله في النفس. وكل ما سوى ذلك يدور مع أسباب قد تتغيّر وقد تثبت.

فالحي الواعي تكليفه المطلق هو الذكر في النفس. فإذا مات سقط تكليفه، وإذا غشي عليه سقط تكليفه. وذكر الله هو العمل الوحيد الذي لا تجد له استثناءً وإسقاطاً في القرءان ولا الحديث. "اذكر الله على كل حال". "كان يذكر الله على كل أحواله". ولم يرد أنه كان يصلي أو يصوم على كل أحواله، ولا كان ينكح ويجاهد على كل أحواله، ولا أي شئ آخر. الذكر نال شيئاً من الإطلاق بسبب تعلّقه بالمطلق الحق سبحانه وتعالى. "اذكر ربّك في نفسك". هذه أقرب شريعة إلى الإطلاق.

وحتى هذه ليست مطلقة إلا بقدر ثبوت الحياة والوعي. إذن أقل ما يقال: الذكر هو العمل الوحيد الخارج عن الأسباب والظروف القابلة للتغيّر عادة. وما سوى ذلك متغيّر بعلله وأسبابه.

...

(لماذا لم يذكر القرءآن "العقل" كاسم ولكن ذكره كفعل؟)

أقول: استمعت إلى رجل يكتب عن القرءان والعقل طُرح عليه هذا السؤال فلم يعجبني جوابه. والاعتراض عليه كان على ما يبدو من السلفية. والجواب الأقرب هو التالي:

١-لأنه فعل. الأذن تسمع، والعين تبصر، والقلب يعقل. هكذا قال الله تعالى. وإن كان القياس وجوده لأنه ورد "إن السمع والبصر". فقياس العقل على السمع والبصر جائز، إذ ورد الكل في آية واحدة "لهم قلوب لا يعقلون بها (وفي آية: لا يفقهون بها)، ولهم آذان لا يسمعون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها". فكما أن "يسمعون" القرءآنية صارت "السمع" في القرءآن، و "يبصرون" صارت "البصر". كذلك "يعقلون" يجوز أن تصير "العقل". وهذا ما ورد في الحديث والأثر واستعمله العلماء. ولا يوجد في القرءان ولم يزعم أحد أن في القرءان كل ما في اللسان العربي، ولا أنه لا يجوز قياس بعض القرءان على بعض في ما له وجه معتبر.

٢-الفقه. الفقه في القرءآن فعل، وليس اسماً. أي لم يرد في القرءآن "الفقه" كاسم. لكنه ورد دائما بصيغة فعلية، "لهم قلوب لا يفقهون بها"، و "لا يفقهون"، و "ليتفقهوا في الدين". ومع ذلك، وافق السلف والذين يسمون أنفسهم بالسلفية أيضاً على جعل "الفقه" اسماً، بالرغم من أن "الفقه" كاسم ليس في صورة نص القرءآن. فكما جعلتم الفقه اسماً، اجعلوا العقل اسماً. وقد وردا أيضاً في نفس المعنى العام "لهم قلوب لا يعقلون بها" و "لهم قلوب لا يفقهون بها". فالاشتراك بينهما عظيم وظاهر. بل قد زاد السلف والفقهاء الأوائل بأن غيّروا المعنى القرءآن للفقه والتفقه في الدين حتى حصروه في علم الحلال والحرام وظاهر الشرع، وليس معنى التفقه في الدين في القرءان هو هذا المعنى الضيق حصراً. فلا يزعم أحد منهم أن له حجّة مقبولة على من يجعلون "العقل" اسماً.

...

قال: أين الصلاة في القرءان؟
قلت: في سورة العلق. هي القراءة، على النفس وعلى الغير. على النفس "على الهدى". على الغير "أمر بالتقوى".
وكذلك في آية "أقيموا الدين" و "أقيموا الصلاة". فالصلاة هي الدين والدعوة. أقيموا الصلاة، أقيموا الدين.
...
استفتحت القرءآن قبل الكتابة عن حرية الكلام، فخرجت لي هذه الآية {وءاتِ ذا القربى حقّه والمسكين وابن السبيل ولا تبذّر تبذيراً}. فإذا بها آية عظيمة في باب الكلام.

أمّا المال المتضمن في الآية، فهو الكلام. وقد جمع رسول الله بين المال والكلام في حديثه، وجعل صاحبهما "منهومان لا يشبعان". والكلام قوّة معنوية كما أن المال قوّة مادّية.

وأما {ذا القربى} فهو القريب من معنى الكلام، والمقصود هو الشخص الذي يستحقّ وصول هذا الكلام له لأنّه من أهله. فلابد من تحرير الكلام حتى تصل الكلمة إلى أهلها.

وأمّا {المسكين} فهو الذي ليس له شئ، فلابد من تحرير الكلام حتى يخرج شتّى أنواع المتكلّمين ويفيضون ما عندهم على شتّى أنواع الناس ومنهم المسكين، فيصير له شئ من الفكر والعلم.

وأمّا {ابن السبيل} فهم طلاب العلم، وسالك السبيل يتغيّر موقعه، وينتقل من مرحلة إلى مرحلة، وكذلك الأمر في العلم، ينتقل الإنسان من جهل إلى علم، ومن علم قليل إلى علم كثير، بالتالي لابد من توفّر شتّى أنواع الكلام، المؤدي إلى الجهل والمؤدي إلى العلم على السواء، حتى ينكشف كل شئ ويستطيع ابن السبيل السلوك فيها كلّها والانتقال من الظلمات إلى النور، ويرتفع في درجات النور.

{ولا تبذّر تبذيراً} المقصود بها من وجه، المتكلّم، أي على المتكلّم أن لا يبذّر في كلمته، بل يضعها موضعها ويخاطب بها أهلها ومن يريدها وينتفع بها. والمقصود بها من وجه آخر، الكلام، أي الكلام في حد ذاته لا يمكن تبذيره لأن مجرد نشره يؤدي عاجلاً أم آجلاً في العادة إلى وصول صاحبه ومن كُتب له رزقه فيه إليه، كما تأتي الطيور المجهولة وتأكل البذور الملقاة على الأرض، فلو ألقيت أنت البذور على الأرض بنيّة أكل الطيور لها، فحتى إذا كنت جاهلاً بأشخاص الطيور ومتى سيأكلون، فمن جهة تكسب أجر إطعامهم بنيّتك، ومن جهة أخرى يبعث الله من يشاء ويرسله ليأكل من هذا الرزق. كذلك الكلمة، ألقيها وانشرها، ولا تعلم مَن سيأكلها وينتفع بها.
...
أوّل ما يجب تعليمه لكل إنسان هو التالي:
١-أنت تريد الرضا الثابت
٢-الرضا له سبب.
٣-إذا كان سبب رضاك ثابتاً، سيكون رضاك ثابتاً. وإذا كان سبب رضاك متغيّراً، سيكون رضاك متغيّراً.
٤-الأسباب أصل وفروع. إذا كان أصلك ثابتاً، فلا بأس بتغيّر فروعك، لأن سقوط الأصل تسقط معه الفروع، لكن سقوط الفروع لا يُسقِط الأصل. فعليك بالتركيز على السبب الأصلي لرضاك.
٥-الناس والفلوس والحواس هي أسباب متغيّرة.
٦-الذكر والفكر هما السببان الثابتان.

النتيجة: إذا كان أصل رضاك يعتمد على سبب فيه الناس والفلوس والحواس فستعيش حياة متغيّرة وسيئة. إذا كان أصل رضاك يعتمد على الذكر والفكر، بهذا الترتيب، فستعيش حياة ثابتة وطيبة.

ثم مرحلة أخرى بعد قبول ما مضى هو الحديث عن درجات التلذذ والبسط ودركات التألم والقبض، ويمكن تلخيصها هكذا:
١-أنت تشهد من نفسك أن لتلذذك وبسطك درجات متصاعدة، وأنك تتألم وتنقبض بدركات متسافلة. فالشدّة والضعف مشهودة لك في اللذة والألم.
٢-الناس والفلوس والحواس أسباب وإن كانت قويّة في البداية للذة، لكنّها مع الزمن والاستعمال والاعتياد والتغيّر والإحباط المرافق لها بالضرورة الكونية سيضعف تأثيرها فيك. بالتالي هي أسباب تخسر قوّتها في إيصال اللذة إليك مع الزمن والتوفّر.
٣-الذكر والفكر، أو العلم للاختصار، سبب قوي وتزداد قوّته وشدّة إفاضته للذة والبسط مع كثرة الاستعمال والاعتياد والتوفّر. فكلّما حصل لك مزيد منه كلّما صرت أكثر استفادة للذة والبسط منه. فمع الزمن تزداد قيمته في نفسك.
النتيجة: جعل الذكر والفكر، التأمل والقراءة، هي الأعمال الأصلية والمركزية في حياتك سيؤدي إلى تصاعد درجة تلذذك وبسطك وسعادتك. وعلى العكس من ذلك تماماً جعل الناس والفلوس والحواس هي الأسباب الأصلية والمركزية في حياتك.

الخلاصة: أسعد الناس من كان أصل ومركز عمله هو الذكر والفكر. وأتعس الناس من كان أصل ومركز عمله هو شئ فيه الناس والفلوس والحواس بنحو جوهري.

...
وصف الله مُعلّم موسى بثلاثة أوصاف، وجعله يعمل ثلاثة أعمال لكل عمل منها تأويله.
الوصف الأوّل {فوجدا عبداً من عبادنا} . التأويل الأوّل {أراد ربّك}. إذن: العبد من لا إرادة له ويعمل بإرادة ربّه. فالعبد له الوحدة الغيرية من مقام التنزيه والفرق والفناء.
الوصف الثاني {آتيناه رحمة من عندنا}. التأويل الثاني {فأردنا}. إذن: الرحيم مَن يعمل بإرادة ربّه وإرادته معاً. فالرحيم له الثنوية المتوحّدة من مقام الجمع بين المتعالي والداني والبقاء الشخصي.
الوصف الثالث {وعلّمناه من لدنّا علماً}. التأويل الثالث {فأردتُ}. إذن: العالِم يعمل بإرادته هو. فله الوحدة الذاتية من مقام التجلّي والتعيّن والبقاء الذاتي.
الإنسان الكامل هو عبد رحيم عليم. فطوراً يكون عبداً لا إرادة له إلا إرادة ربّه، وطوراً يكون رحيماً يمزج بين إرادة ربّه وإرادته، وطوراً يكون عليماً فتكون إرادته هي المطلقة والفاعلة.
إرادة الله هي إرادة العبد، لكن إرادة العالِم هي إرادة الله.

...
أكثر الناس يغالطون أنفسهم. مركزهم هو الناس أو الفلوس أو الحواس أو مزيجاً من ذلك، لكن حتى لو وجدتهم أهل ذكر أو فكر بقدر ما، وحتى لو زعموا وصدّقوا أنفسهم بأن الذكر أو الفكر هو مركزهم، إلا أنك لو تأملت ستجد أنهم يأخذون بالذكر والفكر فقط لجبر نقائص وتغيّرات مركزهم الحقيقي الذي هو الناس والفلوس والحواس.
من المغالطات الشائعة، أن يزعم البعض بأن نظره إلى من تحته في الفلوس مثلاً يجعله يشكر الله بدلاً من نظره إلى من فوقه. أقول: مجرّد اعترافك بأنّه "فوقك" وأن هذه الفوقية لها قيمة، فحتى لاشعورياً

سيُحدث هذا الأمر سلبياته في نفسك، عاجلاً أم آجلاً، بصورة أو بأخرى، شعرت أم لم تشعر بمصدر ما سيحدث لك.

من المغالطات الشائعة: شخص مركزه هو الناس، فتجده يختلي ويقرأ ويفكّر ويتأمل، لكن لا يجد حقيقة قيمة ذلك في نفسه، فتجده يخرج على الناس بما عنده ويريد دائماً أن يظهر أمامهم وينال الشهرة، وحتى لو كان وحده في خلوته يفكّر في الظهور القادم له، وحين يفكر في أي شئ أو يخطر له أي شئ أوّل ما يتبادر لذهنه هو "كيف سأقول هذه للناس"، أو "يجب أن أقول هذه للمتابعين".

حين أدخلني الله هذا الطريق، قطعت بقدر الإمكان وبأعلى درجة ممكنة اتصالي بالناس وحاجتي للفلوس واستعمالي لشهوات الحواس حتى السمعية كالأغاني البسيطة والبصرية فضلاً عن الألعاب والجماع وما يتّصل به كالاستمناء مثلاً أو ما شاكل. وركّزت كل تركيزي على الذكر أوّلاً وبشكل محوري، ثم الفكر متجلّياً بالقراءة، لكن كنت أعتمد أصلاً على الكشف والإلهام، وحتى التفكير عندي هو نوع من الإلهام والإنزال من الحق تعالى ونادراً ما أُعمل تفكيري بصورة واعية جافّة تحليلية، لكن تنكشف لي كلّية الأشياء وصورتها الكاملة ثم أفكّر في تفاصيلها بعد رؤيتها أو الشعور بها، وحين أكتب عنها قد أكتبها بصورة منطقية مرتّبة وإن كان ظهورها لي غيبياً وكلّياً وجمعياً جملة واحدة. وواجهت الكثير من الصعوبات لكن كان الله يسهّل ذلك عليّ غالباً، وأعاني من الجهد أحياناً، وكان اشتغالي بالذكر والفكر الصلاة والصيام والصوم معيناً عظيماً على هذا الجهاد الأكبر. حين مُتّ وانبعثت خلقاً آخر، (حتى القريب شعر بهذا التغيّر والخلق الجديد)، وصرت كائناً مركزه حقّاً هو الذكر والفكر، حينها فقط بدأت أتنزّل وأدخل بالتدريج بتدبير الله تعالى في أمور الناس والفلوس والحواس، بقدر معلوم ومحدود، وبغاية واعية مقصودة محسوبة، وبشرط عدم التعارض مع المركز الأصلي بل بشرط خدمته وتنميته وتقويته بدرجة أو بأخرى. وكلّما وجدت شيئاً يتعارض مع مركزي، كان إسقاطه من اعتباري واهتمامي كإسقاط جمرة نار من يدي، معقولاً بدهياً وسهلاً مُيسّراً. والأمور التي كان يستغربها الناس ويتعجّبون من قدرتي على القيام بها، كنت أتعجّب أنا من تعجّبهم وأعتبره أمراً عاديّاً، والسبب هو أن هذه الأمور غير معقولة وعجيبة فعلاً في ضوء مركزية الناس والفلوس والحواس، لكنّها الأمر المتوقّع والواجب الطبيعي في ضوء مركزية الذكر والفكر، أقصد المركزية الحقيقية الفعّالة، لا مركزية المغالطين والمغالطات، وما أكثرهم.

...

نار العدل تنزيهية، ونار الظلم تشويهية.

فليست كل نار تشعر بها أثناء اقتصاصك من ظالم أو الانتقام من آثم هي نار ينبغي عليك الفرار منها. نعم، إن لم تشعر بها علماً بعدالة سلوكك، فهذا أفضل. لكن إن شعرت بها، فاعلم أنّها نار تطهر وتقدّس نفسك، وحرارة تقوّي قلبك وصدقك. وإن شعرت بشئ من الألم أثناء هيجانها، فعمّا قليل يزول الهيجان وتبقى الفائدة في الوجدان.

أقول ذلك لأنّي كنت لا أفرّق بين نار التنزيه ونار التشويه. فقد كنت أظنّهما شيئاً واحداً، فلمّا كنت أشعر بشئ من النار في نفسي، مهما كان قضيّتي عادلة وسلوكي هو عين الحق والصواب والفائدة لي بل ولغيري ممن أتوجّه عليه بهذه النار وتجلياتها، فإنّي كنت أبادر إلى إطفائها عن طريق إغلاق الموضوع إن كان جدلياً أو مصالحة خصمي والتنازل عن حقّي إن كان قضائياً أو عملياً أو اجتماعياً. وكنت أندم على ذلك لاحقاً، لأنّي أرى بقاء صورة الموضوع في نفسي وكأنّها تقول لي "لم أنتهي بعد من أخذ حقّي، فلماذا أنهيت الموضوع واستعجلت قبل تحصيل كمالي". فالله يجعل ما مضى نافعاً مغفوراً، ويسددني في ما يأتي ويجعلني عادلاً منصوراً.

...
لم أحبس شيئاً أردت قوله اليوم، إلا راودني سبعين مرّة غداً وبعد غد وبعد سنين. لابد أن نقيم مجتمعاً يستطيع الواحد أن يقول فيه ما يشاء، ويحصّل مصالحه بدون تدخّل قهري من غيره وهراء التراخيص وما إلى ذلك من وسائل الأشخاص الذين يسمّون أنفسهم "الدولة" في أكل أموال الناس وجهدهم بالباطل وهم مستريحون.

...
من كرامات الشيخ محيي الدين بن عربي في الفتوحات المكية: أنّك لا تفتح أي صفحة عشوائياً من كتب الفتوحات إلا وتجد فيها آيات قرءانية.

...
حجّتان لحرية الكلمة الإنسانية من الفلسفة المتعالية:

المجتمع الذي يكون الناس فيه أحراراً في قول ما يريدون، بغير تدخّل الدولة والمجتمع في ذلك لمعاقبتهم بدنياً أو مالياً على ما يقولون، هو مجتمع يعكس الوجود الأعلى والعالَم الأسمى. يشهد لهذا المعنى كلام لإخوان الصفا وكلام لصدر المتألهين.

أ-إخوان الصفا. الرسالة العاشرة. فصل (في حاجة الإنسان إلى النطق). قال {واعلم أيها الأخ أنه لو أمكن الناس أن يفهم بعضهم من بعض المعاني التي في أفكار نفوسهم من غير عبارة اللسان، لما احتاجوا إلى الأقاويل التي هي أصوات مسموعة}. ويشرح هذا المعنى فيبيّن الفرق بين الروحانيين الذين يتخاطبون بغير لغة، والجسمانيين الذين يحتاجون إلى اللغة، فيقول عن الروحانيين {فأمّا النفوس الصافية الغير المتجسدة فهي غير محتاجة إلى الكلام والأقاويل في إفهام بعضها بعضاً من العلوم والمعاني التي في الأفكار، وهي النفوس الفلكية، لأنها قد صفت من درن الشهوات الجسمانية ونجت من بحر الهيولى وأسر الطبيعة واستغنت عن الكون مع الأجساد المظلمة التي هي أسفل السافلين وعالم الكون والفساد، وارتفعت إلى أعلى أفق العالم العلوي، وسرت في الجواهر النيّرة والشفافة التي هي الكواكب والأفلاك، وذلك كما توجب الحكمة الإلهية والعناية الربانية، إذ لم تُقرَن بالأجسام الساترة ولم تحتج إلى كتمان أسرارها ولا إلى إخفاء ما في ضمائرها، إذ كانت صافية من الخبث والدغل وبريئة من الإضمار للشر، فقُرنت بالجواهر النيّرة والأكر الشفافة التي يتراءى الجزء منها في الكل، والكل يتراءى في الجزء، كما تتراءى وجوه المرايا المجلاّة بعضها في بعض، وكما تتراءى الجماعة المتقابلين في عين الواحد منهم، ووجه الواحد في عين لجميع، فهم غير محتاجين إلى الإخبار عن الإضمار، ولا السؤال عن كتمان الأسرار، لأنّهم في الإشراق والأنوار التي هي معدن الأخيار والأبرار.}

أقول: محلّ الشاهد من هذا الكلام هو أن الكائنات العلوية لا تكتم أسرارها ولا تخفي ما في ضمائرها، وكل واحد منها يظهر للكل. مثل هذه الحالة تكون في مجتمع فيه حرية الكلام. أمّا-كما هو معلوم للكل-في غير ذلك من المجتمعات، تستطيع أن تجزم بأنه ولا واحد من الناس يتكلّم أمام الكل إلا بأقلّ من واحد في المائة مما يعتقده ويضمره. فالأصل في هذه المجتمعات هو "اخفِ مذهبك" و "لسانك حصانك إن صنته صانك" و "كم من دم سفكه فم" و ما إلى ذلك من أمثال تدلّ على وجوب أو أفضلية الخرس والصمت والنفاق.

ب-صدر المتألهين. شرح الأصول من الكافي. كتاب العقل. الحديث الرابع عشر. فقرة "قوله عليه السلام: والرضا وضدّه السخط". أثناء كلام صدر المتألهين عن مسألة الرضا بالقضاء والقدر، وكيفية التوفيق بين الرضا بكل قضاء الله وبين كفرية الرضا بالكفر وهو من قضاء الله، وذكر الأقوال في المسألة وردّ عليها ثم بيّن قوله هو فيها فقال {أقول: إن القضاء كالعلم ليس مجرّد إضافة بل هو صورة عقلية ذات

إضافة، فإن القضاء الإلهي-كما حُقق-عبارة عن وجود جميع الموجودات الصادرة عنه تعالى وجوداً عقلياً إجمالياً على وجه أشرف وأعلى. فكل ما كان أو سيكون إلى يوم القيامة، له وجود في عالَم علمه تعالى علماً مقدّساً عن التغيّر والقصور والنقص والشر. وأمّا المقضي فهو الصورة الكائنة في المواد الخارجية على وفق ما جرى في القضاء. فللقضاء نحو آخر من الوجود قد يتطرق إليه النقص والآفة والشرّ والفساد. فالصورة العقلية للكفر والمعاصي والآفات ليست كفراً ولا معصية ولا آفة، وإنّما هي كذلك بحسب وقوعها في الخارج. فمن قال "إن القضاء لا يكون إلا خيراً يجب الإيمان به دون المقضي" لعله أراد بالقضاء صورة ما في علم الله لا مجرّد النسبة، وبالمقضي الأكوان الخارجية التي قد يلزمها الشرّ والآفة كالكفر ونحوه. فثبت أن الرضا بالقضاء هو الرضا بكل ما جرى في علم الله وهو من المقامات الحسنة والأخلاق المرضية. وضده السخط وهو من أسوء الصفات وأرذل الأخلاق ومنشؤه الجهل الراسخ، كما أن منشأ الرضا العقل الكامل.}

أقول: محلّ الشاهد هو أن الصورة العقلية لكل شئ هي شئ شريف ومقدّس ولابد من الرضا عنه وهذا شأن العاقل الكامل. ونحن نفهم هذا المعنى بصورته النازلة على أن المقصود بالصورة العقلية هو تصوّر العقل الإنساني، وأن كل شئ يستحقّ مكاناً في العقل من حيث الوعي به والإدراك والتعبير عنه بالكلمة الإنسانية المجلّية ل"كن" الإلهية، أقصد اللغة. فكما أنه في العالَم الإلهي كل شئ موجود، كذلك في المجتمع الإنساني كل شئ منطوق. وكما أنّه لابد من الرضا عن أصل موجودية الأشياء مع جواز السخط على صورتها الكونية، كذلك لابد من الرضا عن أصل التكلّم عن الأشياء مع جواز السخط على تفعيلها بأفعال مادّية. فالكلام عن الجريمة مقبول، لكن فعل الجريمة غير مقبول. الكلام عن الكفر مقبول، لكن فعل الكفر غير مقبول في ضمير المؤمن. ونحو ذلك. فكما حصل التمييز بين موجودية الشئ في علم الله وموجوديته في الكون، كذلك لابد من التمييز بين موجودية الشئ في كلام الإنسان وموجوديته في المجتمع وتأثيره على الآخرين مادّياً ومالياً بالمباشرة كالقتل والسرقة الفعليين. وبهذا المعنى، يكون المجتمع الإنساني أقرب إلى الكشف عن العالَم الإلهي العلمي المقدّس المتعالي.

النتيجة: أقرب المجتمعات إلى نورانية العالَم الروحاني، وقدسية العالَم الإلهي، هو المجتمع الذي يكون الناس فيه أحراراً للتكلّم بما يشاؤون، والتعبير عن ما يريدون، بغير قيد أو شرط، لا في اللفظ ولا في النَّمَط.

...

ما نظرت في أمر قمت به إلا وجد وجهاً يجعلني مخطئاً، ووجهاً يجعلني مصيباً. فإذا نظرت من وجه الخطأ تبت إلى الله. وإذا نظرت من وجه الصواب شكرت الله. فأنا في كل أعمالي تائب شاكر بحمد الله.

وإذا نظرت إلى الطرف الآخر من الخلق في أعمالي، فإن نظرت من وجه الخطأ اعتبرت الطرف الآخر ولياً لله يستحق الدعاء له. وإن نظرت من وجه الصواب اعتبرت الطرف الآخر جاهلاً يستحق التعليم أو ظالماً يستحق الدعاء عليه للتطهير. فأنا في كل معاملاتي أدعُ للآخرين وعليهم بحمد الله.

وفي نهاية التحليل، في عمق وجداني، أعلم بفضل الله وأرجو الله أن يُخلّصني من هذه الدنيا ومن فيها من الخلق المتنازع المتصارع إلى جنّة أكون فيها وحدي مع أوليائي بالله. فأنا في كل أمر راج ومتوسّل بالله بحمد الله. فإني قد أجبت على سؤال "وجعلنا بعضكم لبعض فتنة، أتصبرون، وكان ربّك بصيراً" وقلت: لا، لا أصبر على أحد وأريد الخلاص من كل أحد، فأنت كنت بنا بصيراً منذ القدَم يا رب

وقد أخطأنا حين خرجنا من الجنّة إلى الدنيا. فإنّا لله وإنا إليه راجعون، هذه الكلمة هي جوهري أورادي وقاعدة أذكاري.

قد تكلّمت كثيراً وكتبت أكثر بكثير بفضل الله، لكن هذه الفقرة تلخّص حقيقة أمري وشأني وعقلي ونيّتي ورؤيتي، هذه الفقرة تلخّصني من كل جهاتي المعتبرة عندي وهي خلاصة الخلاصة التي مهما ابتعدت عنها عدت إليها بحمد الله.

...

كلّما وجدت خيراً في حياتي وجدت إنساناً من أهل البيت كان وسيلة لحصول هذا الخير أو تيسيره أو تجميله أو تكميله. أنا كوب ملأه الله بنِعَم أهل البيت.

...

مجادلة الجهّال مثل مداعبة الكلاب : شئ قد يجوز القيام به مرّة أو بضع مرّات في العمر من باب الرحمة والشفقة أو اللعب واللهو، لكن لا ينبغي أخذه على محمل الجدّ أبداً ولا جعله محوراً ولا مطلباً.

...

لولا أنّني أحترق بالنار التي أريد حرق غيري بها، لأحرقت الدنيا ومن فيها.

...

حين تكون في النهار، أو في غرفة مضيئة، إذا فتحت عينك ترى الأشياء، وإذا أغلقت عينك ترى سواداً وظلاماً.

لكن حين تكون في الليل، أو في غرفة مظلمة تماماً، إذا فتحت عينك ترى الظلام، وإذا أغلقت عينك ترى نفس الظلام، حتى إنّك إذا بقيت على هذا الحال فترة ولم تشعر بأجفانك، قد تفقد التمييز بين حالة فتح العين وحالة إغلاقها، ولذلك بعد فترة قد تظنّ أن الصور في مخيّلتك هي صور خارج بدنك، والعكس بالعكس فقد تظن ما هو خارجك على أنّه مجرّد شئ في داخلك. لكن، في هذا الظلام الخارجي والداخلي، حين تفكّر في شئ أو تتخيّل شيئاً تبدأ ترى الأشياء، أي سترى أو تشعر بوجود شئ في وسط هذا الظلام، وإن كان شيئاً داخل نفسك. إذن نفسك في ظلام حتى تأتي فكرة أو شعور فترى الأشياء، كما كنت ترى الأشياء في حال تسلّط ضوء على شئ مادّي حين تكون في النهار أو في غرفة مضيئة. ومن هنا نعلم أن الفكرة أو الصورة الخيالية هي شئ موجود لكن يوجد ضوء ما يشبه الضوء الطبيعي بتسلّطه على هذه الفكرة أو الصورة تنكشف لك.

إذن، أنت في ظلام خارجي حتى يأتي ضوء خارجي. وأنت في ظلام داخلي حتى يأتي ضوء داخلي. وبهذا الضوء تظهر لك الأشياء. ومن وسائل إشراق هذا الضوء الداخلي، الكلمة. فحين تنطق بكلمة في نفسك تبدأ ترى فكرة وصورة وشعور، أي يظهر فيك شيئاً، فتنتقل من حالة الظلام الذي لا ترى فيه شيئاً (أي من الليل)، إلى حالة رؤية شئ (أي إلى النهار). فالكلمة تنقلك من الليل النفسي إلى النهار النفسي.

بناء على ذلك نفهم لماذا صلوات النهار سرّية وصلوات الليل جهرية. أي حين يكون خارجك نهاراً، تصلّي الظهر والعصر وتقرأ في سرّك. لكن حين يكون خارجك ليلاً، تصلّي المغرب والعشاء والفجر وتقرأ جهراً. والسبب هو أنّك في النهار الخارجي تكون في ليل داخلي، فلابد من إشراق ضوء في هذا الليل الداخلي ووسيلة إشراقه الكلمة النورانية القرءانية والإلهية، ولا حاجة لإضاءة الخارج لأنه مضئ بالشمس، و"إذا طلع الصباح أطفى المصباح". لكن حين تكون في ليل خارجي، فلابد من إضاءة هذا الليل مع إضاءة الليل الداخلي، لأن القراءة الجهرية تؤدي إلى انتقال الكلمة إلى الليل الخارجي

بالصوت وإلى الليل الداخلي أيضاً بسماع الصوت إن كنت مأموماً وحتى إن كنت إماماً فستسمع صوتك، بالتالي تنتقل الكلمة إلى الخارج والداخل على السواء.

فالغاية هي إشراق النور في كل مكان، ظاهراً وباطناً. فإن كان ثمّة نور ظاهري بدونك، فاشتغل على إشراق نور في باطنك. وإن لم يكن ثمّة نور في الظاهر، فاشتغل على إشراق نور في ظاهرك وباطنك.

ومن هنا تفهم لماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم "إذا ظهرت الفتن، فعلى العالِم أن يُظهر علمه، وإلا فعليه لعنة الله". لأنه قال في حديث آخر "أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم". وذكر أن المخرج منها هو "كتاب الله". لاحظ إذن، أن ظهور الفتن أي حلول الليل في الخارج وعالَم الظاهر، يؤدي إلى وجوب إظهار العلم وخصوصاً المتمثّل في كتاب الله تعالى وهو كلام، فالعلم فكرة والكتاب كلمة، وما يتّصل بذلك.

العلماء هم أضواء المجتمع. كما أن الكواكب أضواء الأرض. كما أن الكلمات أضواء النفس. يوجد اتصال بين العالِم الإنساني والكوكب الفلكي والكلام النفسي. ولذلك ستجد بعضهم تنضرب له الأمثال بالبعض الآخر. فيقال عن العالِم "الشمس" الكذائي. أو يقال عن الكلام "ضياء". وعادة الكوكب الطبيعي هو منطلق الأمثال، لأنه الأظهر للحواس التي الأرواح ساكنة في العالِم الذي هو موطنها أي الأرض والدنيا. فتُخاطَب الروح بالصور الماثلة أمامها تذكيراً لها بالحقائق الكامنة فيها.

ذوات العلماء أضواء لا فقط كلماتهم. فإننا نرى الكلمة الواحدة ينطق بها العالِم وغير العالِم فتُحدث أثراً وجودياً ونفسياً مختلفاً. ولو كانت اللفظة هي المعيار الوحيد لما اختلف قول أي شخص عن قول أي شخص غيره، والواقع الذي يتذوقه الكل هو وجود الاختلاف بين تأثير اللفظة الواحدة باختلاف الأشخاص الذين يتلفظّون بها. وإنني لأسمع القرآن -الذي هو أحبّ كلام إلى قلبي- من قارئ أزهري مثلاً فينشرح صدري، وأسمعه من وهابي فينقبض صدري، لا لبغضي لشخص القارئ الوهابي، بل إنني أستطيع تمييز القارئ الوهابي وما شابهه من الجهال بمجرّد سماع تلاوته، حتى لو لم أسمع به من قبل. ومن الأمثلة أيضاً على أهمّية ذات العالِم بل محوريتها في كلامه أني أستطيع تمييز كلام ابن عربي من كلام غيره حتى لو كانت من تلامذته كالصدر القونوي والأمير الجزائري مع تشابه المعاني والألفاظ، بمجرّد سماع الكلام حتى لو كنت لم أقرأ بعد الكلام الذي أسمعه، وقطعاً ليست لي ذاكرة لأحفظ كل جملة قالها ابن عربي. وقد ذكرت هذا الأمر لواحد من أصحابي في إحدى الليالي، وكان جالساً في غرفتي ومكتبتي ومسجدي (غرفتي هي مكتبتي وهي مسجدي-للمعلومية)، وفي الغرفة آلاف الكتب، فأخبرته عن الموقع الذي تتركز فيه كتب ابن عربي، ثم اختار عشوائياً مجموعة من الكتب ووقف في مكان معيّن ثابت، وأغلقت عيني وحوّلت جهة وجهة حتى صار هو وراء ظهري، ثم بدأ يقرأ، وما إن نطق بكلام ابن عربي، ولعله لم ينطق بأكثر من بضع كلمات، ولم يكن في هذه الكلمات أي علامة تميّز الشيخ مثلاً (على فرض وجود مثل هذا)، وفتح عشوائياً من مجلّد في الفتوحات المكّية كنت لم أصل إليه أصلاً بعد في مطالعتي للفتوحات، فلما نطلق بها شعرت بوجود الشيخ في قلبي فعرفت أنّ هذا كلامه. وفعل ذلك أكثر من مرّة حتى أصابته الدهشة من إمكان مثل هذا الأمر. في حالات صفاء القلب وفتح الله تعالى لأبواب الحقيقة له، يُميّز الإنسان ذات القائل في عين القول. ومن هنا تجد أن أكثر الناس انحجاباً وريناً وجهلاً بأمر الحق تعالى والأنوار العالية-أقصد الغرب الحداثي-هم قوم يميلون عادة إلى "الكلام الموضوعي البحت" وعندهم- لا أقل حسب النظرية- الكلام العلمي هو الألفاظ البحتة بدون أدنى التفات إلى قائليها ولا اعتبار للقائل من أي جهة. نعم، إنّا نعلم أن بعض الإسلاميين أو المتأسلمين أو الذين

يبحثون عن "الثغرات" في النصوص الإسلامية يبحثون عن مثل مقالات "انظر إلى ما قيل لا إلى مَن قال" و مثل "لا تعرف الحق بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله" وما أشبه ذلك على أنّها مقالات تؤسس ل"الموضوعية المطلقة" و تنسف من الوجود أي قيمة ل"الذاتية" و "الشخصنة". وبغض النظر عن الأسلوب الاستعباطي الاعتباطي في استدلال هؤلاء، إذ يأخذون بعض الكلام والمأثور ويتركون البعض الآخر وَحتى ما أخذوه لم يدركوه حق إدراكه (فإن صاحب المقالة قال "تعرف أهله" فلأهله إذن اعتبار- وليس هذا مقام سرد الحجج بهذا الخصوص)، فإنه يكفي أن القوم الذين نشروا الإلحاد في الأرض وابتهجوا بالاحتجاب عن الملأ الأعلى والحق تعالى، هم نفسهم الذين يعتبرون الركن الركين في نظريتهم العلمية هو "الموضوعية المطلقة". وبطبيعة الحال هذه الموضوعية لا يأخذون بها إلا بقدر ما وفي حدود معينة ولا تطال الامتيازات الذاتية التي ينالها بعض الأشخاص (مثل حاصدي الجوائز أو الذين يعملون في مؤسسات "فخمة" و "عريقة") وبالتأكيد لا تطال حياتهم الشخصية والعائلية وتصرفاتهم ووجدانهم وما يجدونه قطعاً في أنفسهم من اعتبار للقائل بوجه من الوجوه. الحاصل: القول له مقام من حيث قائله، وله مقام من حيث مقالته. في الأمور العالية، القائل مقدَّم على المقالة، والجمع ضروري. في الأمور السافلة، المقالة مقدّمة على القول، والجمع غير ضروري. أقصد الجمع بين أخذ القائل والمقالة بعين الاعتبار. التعلّق بأقوال أهل الله تعالى يوصل إلى الحق دائماً، حتى الحق الذي يعتبره أصحاب الموضوعية المطلقة حقّاً. التعلّق بأقوال غرقى بحر الظلمات، حتى حين تكون مقالته صحيحة من جهة، فإنك لو تأملتها ستجد فيها أوجه باطلة، وستجد أن وجهها الصحيح في كلام أهل الله ما يغني عنه وزيادة، ثم في ما صح عن أهل الله من البركة ما ليس في ألفاظ غيرهم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "خلق الله الخلق في ظلمة، ثم رشّ عليهم من نوره". الظلمة هي الأساس. فالخلق ليل. النور المرشوش هو النصوص. الكلمة هي النور. بالكلمة يستنير باطنك، بالكلمة يتبارك ظاهرك. بالكلمة تجمع بين العالَم الأعلى المجرّد والعالَم السفلي المجسّد. ما لا تجده في الكلمة لن تجده في غيرها. فكل ما في غير الكلمة موجود في الكلمة ويمكن أن يكون له نحو من الظهور بالكلمة. لكن ليس كل ما في الكلمة موجود في غيرها.

الحاصل: إن أردت أن تعرف نفسك والعالَم والله في آن واحد، فاجلس وحيداً في مكان مظلم. ثم تأمل ما تراه. ثم اقرأ القرءآن، حرفاً حرفاً، وكلمة كلمة، وجملة جملة، وانظر ماذا ترى.

...

الأرق: الله يدعوك إلى قيام الليل.

الأرق مع المرض: الله يدعوك إلى قيام الليل مع تيسير الدخول إلى حضرته بالذل والافتقار.

فالأرق نعمة، والأرق مع المرض نعمة مضاعفة.

...

الإيمان باب. العمل منزلة. الشفاعة درجة.

أي إيمانك يحدد الدار التي ستدخلها، جنّة أم نار. فالمؤمن بالله يدخل الجنّة، والمؤمن بالطاغوت يدخل النار.

ثم بعد الدخول إلى الدار، أول تحديد لمنزلتك يكون بعملك. فمثلاً، درجة سبعة في الجنّة، ودركة خمسة في النار.

ثم بعد الحكم بالمنزلة، تأتي الشفاعة، فقد تؤدي الشفاعة إلى رفع درجتك في الجنّة، أو رفع دركتك في النار أي زيادة النعيم وتخفيف الجحيم.

هذا قول في المسألة، لو اجتمع علماء الثقلين على نقض كلمة منه لما استطاعوا. فعضّ عليه بنواجذك، فهو من فضل الله العظيم.

...

كلّما أردت تعميم صفة سيئة على فئة من الناس، أرسل الله لي شخصاً من هذه الفئة يجبرني على محبّته وتعظيمه. الحمد لله على العصمة.

...

ملّة أكثر الناس هي ما أسمّيه "الحِسْبَسِيَّة".

المقصود الذين يأخذون بمعيار "الحس وبس". فالذي ينتصر حسّياً، ويملك أكبر قدر من الجيوش والأموال وما إلى ذلك هو الذي معه الحق. قد أخذر بهذا المعيار شتّى الأمم قديماً وحديثاً. جهلة بني أمّية مثلاً إنّما ءامنوا بالإسلام بعدما وجدوا الانتصارات العسكرية والدولة بأيديهم. الشيوعيون في الصين قالوا بأن انتاجهم ونجاحهم المادّي هو البرهان على صحة نظرياتهم الفلسفية. الأمريكان يعتبرون انتصارهم العسكري وسيادتهم الحالية هي دليل أنّهم "تحت الإله" أي محطّ عنايته واختياره. الصهاينة يعتبرون الجيش الصهيوني هو الذي سيحقق نبوءات توراتهم، وفي توراتهم هذه أصلاً صوص تبيّن أن الرب سيعطيهم خير الدنيا في حال اتبعوا أحكامه وسيصبّ عليهم العذاب في الدنيا في حال لم يتبعوه. وعلى هذا المؤال، الكل يسير على نفس العقيدة الجاهلية الوثنية التي تعتبر الفضيلة عند الآلهة هي بالخير الحسّي، أي حين تنعم عليك الآلهة تنال خيراً حسّياً مثل اللذة والقوة وطول العمر، والشرّ هو بما يناقض ذلك الخير الحسّي. اختلفت الأسماء والأشكال والبلدان والأزمان لكن الملّة واحدة.

...

يروون عن مالك بن أنس رحمه الله أنّه رفض مجادلة شخص في أصول الدين على اعتبار أن التنقّل من مذهب إلى مذهب سيكثر إذا سمحنا بالجدال.

أقول: إن صحّت هذه الرواية عن مالك أم لم تصح، لكن بطلها مردود عليه بهذا: إمّا بأنّه يرى استحالة وجود حجّة تنقله عن ما هو فيه لأنّه يعلم أنّه في الحق، وإمّا يرى بوجود هذه الحجّة لكنه لا يريد سماعها، وإمّا يرى إمكان وجود مثل هذه الحجّة فهو يفضّل عدم التعرّض للجدل الذي سيفتح له بابها، وإمّا لا يثق بعقله فيخشى على نفسه من اتباع الشبهة فيفضّل عدم السماع من الأساس.

إن كان الأوّل، فلماذا يخشى الجدل.

إن كان الثاني، فهو شاك مرتاب في دينه.

إن كان الثالث، فهو كافر بالقوّة وإن لم يكن كافراً بالفعل.

إن كان الرابع، فليس بإمام.

فانظروا جيّداً.

...

الذي لا يحسن التفكير ليس بإنسان.

الذي لا يحسن التعبير ليس بعربي.

الذي لا يحسن القراءة ليس بمسلم.

هكذا أُقيّم نفسي و الناس.

...

قال لي الحق في سرّي:

في أمر الدنيا (المعيشة): عليك بالإتقان، وعلينا الباقي.
في أمر الآخرة (المعرفة): عليك بالإرادة، وعلينا الباقي.
...
سألتني زوجي: لماذا لا تسعى لإقامة التغيير في هذه البلاد، ولماذا تترقّب الهجرة للقيام بذلك.
فقلت: لن تغيّر شيئاً ذو بال في الأرض إلا بعصبة. وهذه العصبة إمّا أن تكون مبنية على الدم (القبيلة)، أو مبنية على الفهم (الحزب). والقبيلة والحزب كلاهما يطلبان المنفعة، الدنيوية أو الآخروية أو كلاهما مع أولوية الدنيا، أو كلاهما مع أولوية الآخرة. أفضل عصبة في ديننا هي تلك المبنية على الفهم مع طلب المنفعة الدنيوية والأخروية مع أولوية الآخرة. هذا معنى "حزب الله".

حتى تُقيم العصبة القبلية لابد أن تملك دم هذه القبيلة. وحيث أنني لا أملك دم قبيلة ظاهرة وقوية في هذه البلد، بل لا توجد قبيلة تستطيع السعي لتغيير شئ إلا وعليها ألف عين، فهذا الاحتمال ساقط.

حتى تُقيم العصبة الحزبية لابد أن تملك حرية التعبير والتجمّع والتسلّح. وحيث أن أهمّ المهمات التي تقوم عليها حكومة هذه الدولة هي مراقبة التعبير والتجمع والتسلّح، تحديداً، فالنتيجة أنّه لا يمكن إقامة حزب في هذه البلاد.

فلا يبقى أمامنا إلا هذه الاحتمالات:

الأوّل، خدمة الدولة القائمة والسعي للترقّي فيها. وهذا ما لن أقوم به، إذ لا أركن إلى الذين ظلموا في ظلمهم، ولا أكون يداً في المظالم حتى أترقّى فيهم-هذا على فرض أنّهم سيسمحوا لغيرهم أن يترقّى فيهم، وهو افتراض باطل.

الثاني، التعبير عن فهمنا ودعوتنا. وهذا ما لا قيمة للقيام به، لأن عاقبته الفورية هي السجن أو القتل. ولا فائدة من دخولي السجن لا لشئ. والناس عندنا لن تقوم بشئ في حال دخل أحد الدعاة لشئ يعتقدونه ويحبّونه ويؤمنون أنّه الحق عين الحق، بل سينفعلون كما انفعلوا لكل المسجونين والمقتولين إلى الآن. ثم لن تظهر قيمة ما نقول به إلا بفترة زمنية نشرح فيها الأمور، وكذلك بانتشار كتبنا فيهم، ولن يحصل كلا الأمرين إذ بمجرّد النطق ببعض ما نقول به من المهمات وفي المسائل الحساسة والجوهرية سينتهي أمرنا إلى حيث انتهى أمر البقية. وحينها إمّا سيجعلونا نتعهد بعدم التحدث في ذلك في سبيل إطلاق سراحنا، ولن أتعهد بكذب إن شاء الله إذ لن أسكت ما دمت حيّاً بإذن الله. وإمّا سننقطع عن الانتاج والكتابة والعيش في حال تؤهل للتأمل الحر والسليم، أي بالتغييب في سجونهم الخبيثة، أو القتل، وكلاهما ليس هذا وقت التعرّض له بالنسبة لي والله أعلم وأحكم.

الثالث، إعداد العُدّة للهجرة إلى بلاد يمكن فيها إقامة حزب. أي بلد يضمن أهلها لمن فيها حق التعبير والتجمع والتسلّح (سواء مباشرة، أو بالسعي إلى تحصيل منصب عام يجعل الجيش تحتك)، وأقلّ حد نقبل به هو التعبير والتجمع إذ لا حزب بدونهما، أمّا السلاح فهو عارض لاحق، وحيث تضمن أمنك وإيصال كلامك لا قيمة ولا ضرورة ولا يجوز استعمال السلاح لا إرهاباً ولا تفعيلاً. والحمد لله، يوجد في الأرض اليوم بلاد تضمن ذلك للناس، وعلى رأسها أمريكا. بالتالي علينا إعداد العدّة للهجرة إليها، والله يعين بما يشاء حين يشاء.
قالت: وما العدّة؟
قلت: وسيلة نكسب بها عيشنا، ووسيلة نضمن بها استقرارنا. أما كسب عيشنا فبحسب ما أراه الآن فهو تحصيل رخصة لعمل ما أعمله أستطيع بها إن شاء الله العمل في أي مكان في الأرض. وهذه الرخصة تحتاج إلى فترة من الممارسة والدراسة، على الأقلّ سنة من اليوم، ولعل الرؤية تتضح أكثر بعد

سنة بإذن الله. أمّا ضمان استقرارنا فأفضل ما رأيته إلى الآن هو أن ننجب ولداً هناك. وهذا أيضاً سيحتاج إلى سنة. فلا ندري، لعل الله يفتح شيئاً لم يخطر ببالنا، لكن ما أُمرنا به من إعداد العدّة هو في هذين الأمرين. ثم بعد ذلك، يحكم الله ما يشاء وليس من شأننا التفكير في العواقب بعد العمل اللازم. قبل العمل اللازم نؤجر على عملنا، بعد العمل اللازم نؤجد على قصدنا. فالتكليف في الأوّل عملي، والتكليف في الثاني عقلي. ونحن الآن فيما يتعلّق بهذه القضية في مرحلة التكليف العملي.

الخلاصة: الهجرة ضرورة. والهجرة تحتاج إلى الرخصة (وهي بالممارسة والدراسة)، وتحتاج إلى الجنسية (وهي بالولادة والإقامة). وبعد الهجرة يأتي إظهار الدعوة. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

...

تتميّز الآخرة عن الدنيا بثلاث: الوسيلة ذاتية. لا زمن. خالصة.

الوسيلة ذاتية، أي حين تريد شيئاً لا تحتاج إلى التوسّل بسبب خارجي منفصل عنك لتحقيقه، بل إرادتك نفسها كافية، فأنت الوسيلة. بالتالي، لا ينشأ كل ما ينشأ من سلبيات بسبب غيرية الوسيلة وانفصالها عنك.

لا زمن، أي تحقق كمال الشئ المُراد يحصل دفعة وجملة واحدة، فلا تدرّج في خروج الشئ من القوة إلى الفعل، ومن الكمون إلى الظهور. فالشجرة تحصل فوراً، لا تبدأ بذرة فجذور وأصل فغصن وورق فثمر وما إلى ذلك. وهكذا في كل أمر له كمال، هذا الكمال في الدنيا يحتاج إلى زمن وتدرّج، لكن في الآخرة يظهر بكماله ويتجلّى بحقيقته العليا فوراً.

خالصة، أي لا تختلط فيها اللذة بالألم، والنعيم بالمشقة. سواء كان الاختلاط في سبيل تحصيل المُراد، أو أثناء حصوله، أو بعد الفراغ منه. فمثلاً، الإتيان بالولد فيه لذة ومشقة من حيث النكاح وصعوباته وتحصيل المعاش، ثم أثناء وجود الولد توجد مصاعب ومتاعب مثل حفظه والخوف عليه من نفسه ومن المرض ومن المجرمين وما إلى ذلك. أو مثل الأكل الذي فيه لذّة مصحوبة بشئ من الألم كالمضغ والهضم، ثم بعد الفراغ منه مثل آثاره السلبية أو المرض أو المغص وما إلى ذلك. لا لذّة في الدنيا إلا مخلوطة بشئ من الألم، حتى تلاوة كتاب الله، إذ طول الجلوس يؤدي إلى آلام في الأرجل والظهر والرقبة، وطول القيام كذلك، وهكذا في أية حالة يكون عليها بدنك.

فالآخرة ذاتية فورية خالصة، والدنيا غيرية زمنية مختلطة. "ولدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون".

...

78الكتابة والخطابة نوعان: كشفية، واكتشافية.

الكتابة الكشفية هي التي تكشف بها بالكلمات عن ما تعلمه مسبقاً. فأنت تعلم بالضبط ما ستكتبته، والمعنى حاضر جلي عندك قبل الكتابة، وكل ما تفعله هو وضع هذا المعنى في قوالب الألفاظ المناسبة له بحسب قدرتك اللغوية. مثلاً، أنا الآن جالس أكتب. أنا أعلم بالضبط ما أردت قوله قبل أن أكتب عبارة "أنا الآن جالس أكتب". ومشاهدتي لهذه الصورة الكلّية المعبّر عنها لغوياً بـ"أنا الآن جالس أكتب" هي مشاهدة حاضرة واحدة كلّية مباشرة، فحين أردت أن أصف هذه الحالة كل ما فعلته هو صياغة الألفاظ المناسبة لها بحسب وعيي ونظرتي، فعبّرت أوّلاً بـ"أنا" لأنّي أجلى الجليات بالنسبة لي، ثم "الآن" عبارة عن الزمان وهو أشدّ تجريداً من "جالس" وهو وضعي الجسماني، مما يدلّ على أنني في حالة مراقبة للزمان أكثر من كوني في حالة مراقبة للوضع البدني (ولعل ذلك يرجع إلى أني أنتظر قدوم الشيخ لمجلس الدراسة، وأريد أن أتعشّى في نفس الوقت. ولعلّي كنت سأقول "أنا جالس الآن

أكتب" لو كنت في غير هذه الظروف. لعل). ثم "جالس"، ثم "أكتب". في اللفظ يبدو وصفي كوصف متدرج، لكن الواقع واحد كامل. والمعنى حاضر تام عندي قبل الكتابة.

الكتابة الاكتشافية هي التي يكتشف فيها الكاتب ما يريد كتابته أو ما في قلبه وما ينكشف لعقله بشأن الموضوع أثناء الكتابة. ولو سألته قبل أن يكتب "ماذا ستكتب" قد يقول لك "لا أدري"، أو يشير بعبارة عامّة ضبابية. أي هو يكتشف نفسه ويكتشف رأيه أثناء الكتابة، أو يكتشف ما سيلقيه الله عليه أثناء الكتابة، فلا يعلم إلا بعد حصول الأمر ووقوع الحق. مثلاً، أوّل سؤال طرحه علي أحد الأشراف بعد رؤيتي للنبي وعلي وأهل البيت وحصول المعراج لي بوسيلة قلب النبي إلى عالَم النور الأعلى وتثبيت الله للنور في قلبي جملة، كان سؤالاً عن الآية التي يصف الله بها الموضع الذي كلّم فيه موسى "من البقعة الشجرة من الشجرة"، حين سألني لم يكن في بالي ولم أكن قد فكّرت من قبل في معنى الآية. لكن بعد أن سألني، وشعرت بحصول الجواب في قلبي، جلست أكتب وأنا لا أدري ماذا سأكتب، ولا ماذا سيخرج. فلما فرغت، إذا بها ثمان صفحات.

بشكل عام، نستطيع أن نقول، أهل الذكر كتابتهم وخطابتهم اكتشافية، وأهل الفكر كتابتهم وخطابتهم كشفية. لأن أهل الذكر تُلقى المعاني في قلوبهم، فيتكلّمون. لكن أهل الفكر يرون الفكرة ثم يتكلّمون. كلّا، هذا التعميم لا يصح ولا يفيد حقّاً. لأن التفكير أيضاً يكون اكتشافياً، من حيث أن المفكر في موضوع قد لا يعرف نتيجة بحثه إلا بعد النظر في الأدلة والمقدمات، فيسير من المعلوم إلى المجهول. وهذا من النوع الاكتشافي. وأهل الذكر في المقابل، قد يرون الحقيقة وينكشف لهم الشئ، ثم بعد ذلك يكتبون عنه. فالواقع أنه لا يمكن وضع تعميم نافع في المسألة. يكفي أن ندرك أبعادها.

...

الخلافة: أن تعمل مع الخلق كما عمل معك الحق.

...

الدين: فنّ تبرير العجز.

...

النصوص الدينية: سوق، يستطيع من يشاء أن يشتري منه ما يشاء، ولن يُحاسب إلا بما اشتراه لا بما في السوق. "كل امرئ بما كسب رهين".

...

قيل: تخلّقوا بأسماء الجمال لا بأسماء الجلال.

نقول: تخلّقوا بأسماء الجمال مع المؤمنين، وبأسماء الجلال مع الكافرين. "أشداء على الكفار رحماء بينهم". وكونوا من عباد الله الكاملين.

...

حين تتعامل مع الناس، لا تنظر في عقلك لكن انظر إلى الخارج.

حين تتعامل مع المعاني، لا تنظر إلى الخارج لكن انظر في عقلك.

فإن الناس في الخارج، والمعاني في عقلك.

...

أرسل لي أحد أحبابي هذه الرسالة:

بعد قرايتي لجملتك اللي كان في مضمونها انه (لازم نتعلم كيف نموت مثل ما نتعلم كيف نحيا)، واليوم كنت اتأمل في افكاري وقت الغروب، وهذا وقت صلاتي وتسبيحي، ، وانا قاعد افتكرت جملتك اللي ذكرت لك مضمونها، وعلى طول انكشفلي شي، وهو باختصار (لانه الموضوع له اكثر من زاوية وموضوع

لا نهائي) انه الموت بالمعنى السماوي هو النوم بالمعنى السفلي، يعني بعد قراءتي لمواضع كلمة جنة او وصفها في القران، الاقيها توصف احلامي الجميلة اللي اذا صحيت من النوم، احاول ارجع انام اكمل الحلم وكأني خرجت من جنة وناسها، واحساس اللذه والاتساع في النفس وقت الحلم الجميل وبعده يكاد يكون لانهائي لاني اذا استحضرت الحلم حتى بعد ما شفته بسنين، تفضل له لذة خاصة غير عن اي لذة (حقيقية) شفتها وانا واعي وصاحي (مع اني في الحلم بكرن واعي بس من غير تحكم مني)، وفي الاصل الاحلام الجميلة او حتى النومة المتواصلة الهادئة هي اصلا من مسلمات الانسان السوي الا في بعض حالات المرض او اي شي خارج عن ارادته تنتقض، يعني على قولك (رك) ، الانسان اللي يوزن بين الراحة والكبر ينام ويدخل البرزخ السفلي، والانسان الشقي تلاقي نومه كوابيس، وساعات متقطعة، لدرجة انه اذا صحي من نومه متقطعه تلاقيه يقرر ما ينام ثاني وتلاقيه يواصل او يقعد يتألم ويتعذب لغاية ما ياخذ (حبة مخدرة) وهذا موضوع لك انت فيه ابحاث في كتبتك، او يتطهر من اللي قاعد يفعله، ويبدأ بالتدريج يشم ريحة الجنة لغاية مايتطهر كليّا ويرجّع توازن رك، واحساس الكوابيس ورعبها في النفس اقوى من ١٠٠٠ فيلم مرعب هوليوودي، والضيق اللي تسببه هو احساس النار وعذابها، وحتى بقاءها في الذاكرة تخليك كل ما تسترجع احساسها او تشوف شي يذكرك بها، تحس بالعذاب والخوف بالذات لو كنت مستمر في هذا المسبب الخارجي، وهذي حتكون من اعظم تجليات اسم الله العدل. ايش رأيك انت؟ لاني لما كنت ١٤ سنه تقريبا عملت عملية في عيني (وقعدت ما اشوف فترة طويلة) افتكر كانت ٣ شهور اعمى كليا، و٣ شهور ريكوڤيري قعدت فيها اعمى على خفيف، ولان الحادث وراثي وخارج عن ارادتي مو فاكر ولا حسيت بشي لا وانا في العملية ولا في الاوقات اللي احاول افتكر الاحساس المصاحب لهذيك الفترة ولا الحلام ولا الكوابيس.
*بعت لك صورة للمنظر الي أشوف فيه الله في أعظم تجلياته. (وأرفق صورة رائعة لغروب الشمس)

فأجبته:

حبيبي فيصل،

"الله يتوفى الأنفس حين موتها، والتي لم تمت في منامها، فيمسك التي قضى عليها الموت ويمسك الأخرى إلى أجل مسمّى". هذه الآية تبيّن لك أن الموت والمنام هو وفاة. وتبين لك أن عملية التوفّي واحدة في الاثنين، والفرق بينهما هو في إمساك النفس (الموت) أو في إرسال النفس (اليقظة في الدنيا).

وفي سورة يس يقول الكافرون بعد البعث للقيامة "مَن بعثنا من مرقدنا". فعبّروا عن الموت في القبر ب"المرقد" كما نقول في لغتنا العامية "رايح أرقد" أو "أرقد" يعني أنام.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا استيقظ من النوم قال "الحمد لله الذي أحياني بعدما أماتني وإليه النشور". أو كما قال. وهذا تصريح واضح كما ترى بأن النوم موت.

ومن الأمور التي يكاد يوجد فيها إجماع أممي (حسب اطلاعي) أي اتفاق فكري عند جميع الأديان والحكماء الأوائل هو أن النوم حالة تشبه الموت. وأحسن معبّر عن هذه الحالة هو قول الإمام الغزالي في تائيته مبرهناً على كون النفس من عالَم أعلى من عالم البدن

يدل على ما قلت حالة الكرى . إذا ركد الإحساس منك برقدة

(الكرى) هو النوم. فالمقصود أن "الإحساس" البدني فيك حينما يركد، أو يخف، أو يفنى، تستطيع أن تبدأ بالشعور بعوالمك الأعلى بصورة أوضح. فتشعر بعالَم الخيال بقوة، وكذلك الحكيم والعارف والعالِم مثلاً حين يتأمل ويتعقّل ويفكّر فإنّه يسعى إلى إحداث حالة من الاسترخاء في البدن والإحساس ويفضّل تقليل المؤثرات الحسّية حوله والفراغ من الشواغل المادّية، كل ذلك بهدف أن يركد إحساسه حتّى تتفتّح مخيّلته وعقله وتنطلق روحه.

بناء على ذلك، أرى كما رأيت، أي أن الموت العلوي يتجلّى في النوم السفلي بنحو يتناسب مع العالَم السفلي، وهذا معناه أن النوم لن يكون مساوياً للموت من كل جهة، لكن سيشبهه إلى حد كبير، وتستطيع أن تتخذ حالته كمثال ورمز على الموت.

أمّا بالنسبة لكيفية تحصيل الراحة في النوم وعدم رؤية الكوابيس وما إلى ذلك:

قبل أن يدخلني الله هذا الطريق، كانت مناماتي فيها الراحة والتعب، فيها الأحلام الجميلة والكوابيس. ولا أزال أذكر كابوساً محدداً كان يجعلني أحياناً أستيقظ من النوم مرعوباً إلى حد الصراخ (وكان هذا يحدث نادراً، لكن أذكره جيّداً). والكابوس هو هذا: كنت أرى أني سأموت. أحياناً كنت أرى أن حفرة أو هاوية سوداء مظلمة تمتصّني إليها وأنا عاجز عن المقاومة، فكنت أستيقظ مرعوباً. أحياناً كنت أرى نفسي في شجار ومضاربة لكني عاجز عن تسديد أي ضربة للدفاع عن نفسي. بطبيعة الحال، في أيام الجاهلية تلك (وقانا الله وأولادنا شرّها) كنت أعتبر ذلك من قبيل الحوادث الطبيعية، يعني كما أنه يوجد شروق شمس وغروبها، ولا أستطيع أن أفهم لماذا توجد هذه الأشياء ولا كيفية تغييرها، كنت أعتبر أيضاً أن وجود الكوابيس ضرورة وجودية لا مناص منها.

بعد أن سلك الله بي هذا الطريق، قمت بأمور غيّرت من كيفية نومي ويقظتي في آن واحد. الأمر الأوّل هو أني لا أمنع نفسي من التفكير في أي شئ ولا تخيّل أي شئ أثناء اليقظة. يعني أترك عقلي حرّاً تماماً ليعبّر عن ما يشاء، بل بالعكس كنت أفضّل الأفكار والخيالات الغريبة والشائنة والصعبة والشاذّة عن المعتاد. بهذا، صرت لا أكبت شيئاً كائناً ما كان داخلي، لأن المكبوت في اليقظة يتسلل من سجنه وقت النوم، ويتجسّد في شعور أو حلم. وساعدني أيضاً على هذا التحرير العقلي هو أنّي صرت لا أبالي بكل ما قاله دين ولا مجتمع ولا أسرة ولا حتى تجاربي وآرائي الشخصية. لأني رأيت حقيقتي فوق هذه المتغيّرات كلّها، ورأيت حقيقتي كنور مجرّد متعالي عن هذه التغيّرات، فصرت لا أخاف ولا أتردد في مساءلة ونقد أي شئ وكل شئ. كثير من كوابيس النيام سببها اعتبار الأفكار والقيم السائدة والقديمة التي نشأت عليها كمقاييس مطلقة لماهية الوجود الحسن والمقبول، حتى لو كانت هراء في هراء. فتبدأ تحكم على نفسك وأنت نائم من حيث لا تشعر، فتخرج لك منامات قبيحة. فهذا هو الأمر الأول.

الأمر الثاني، هو الاعتراف بالموت والحدّ الوجودي. يعني صرت أرى بأني سأموت وتقبّلت ذلك، وصرت أرى بأني كائن محدود بالتالي بالضرورة عاجز عن بعض الأمور. بل اتخذت موتي وحدّي كمنطلق لتأسيس نظرتي للحياة والعمل. ومن هنا مثلاً صرت أقول بضرورة جعل الذكر والفكر مركزاً للحياة، لا الناس والفلوس والحواس، بناء على أنه بالذكر والفكر يستمرّ الوجود الأبدي للنفس في حالة مستنيرة وسعيدة، وكذلك بناء على أن الناس والفلوس والحواس موجودات محدودة بأضيق المعاني، لكن الذكر والفكر من الممكن القيام بهما ما دام الإنسان حيّاً واعياً بنفسه بإذن الله وفضله. إذن، ما كان

يخيفني في جاهليتي، صار ما يقوّيني في إسلامي. ومن وقتها، لم يرجع لي كابوس الموت والعجز أبداً، ولله الحمد.

الأمر الثالث، تحرير الرغبة ومحاربة الرهبة. وهذا من أخطر الأمور التي لا أزال أعمل على تكميلها إلى هذا اليوم. فإذا كانت لي رغبة، أيا كانت، نشأت داخلي رغبة في شئ، فإني (بناء على الأمر الأوّل) سأعترف بها وأنظر فيها عقلياً وتحليلاً. لكن إذا وجدت أنّها قوية وتريد التفعيل، فإني أنظر بقدر الإمكان في إمكانية تفعيلها وتنفيذ مضمونها بدون إحداث ضرر معتبر، فإذا وجدت إمكانية فعّلتها. حين تحقق رغباتك وأنت مستيقظ، لن تتشوش أحلامك برغباتك حين تنام. ونفس الشئ مع الرهبة، أي ما تخاف منه، لكن الموضوع في الرهبة أصعب من بعض النواحي. لأن الرهبة كثيراً ما تكون مبنية على سبب مخيف حقّاً أو سبب يستحق الابتعاد عنه. وهنا تحدّي عظيم لنمو النفس نموّاً قويّاً صحّياً: هل ستملك من الجرأة ما يكفي لمواجهة رهباتك؟ أقصد في هذه المرحلة المواجهة العقلية الذاتية. يعني حتى لو كنت في الظاهر والجانب العملي ستستمر في رهبة الشئ، المهم في هذه المرحلة أن تعترف في نفسك بأنك ترهب كذا ، "أنا أشعر بالرهبة من كذا وكذا". حتى لو لم تفهم السبب. المرحلة الثانية هي محاولة فهم سبب الرهبة. وفي هذه المرحلة أنواع كثيرة جدّاً من خداع النفس، فاحذر خداع وتمويه النفس. لأنك ستميل عادة (من باب الراحة) إلى وضع تفسير أو بالأحرى تبرير سريع لإظهار الرهبة كشئ منطقي وضروري وأنك إنسان حصيف وذكي لأنك ترهب الشئ. أسوأ شئ يعكّر نومك هو الرهبة في اليقظة. أعطيك مثالاً على شئ كنت أرهبه والحمد لله تخلّصت منه بعد جهد جهيد وآلام كثيرة، على بساطته الظاهرة، وهو أني كنت أرهب القطط. بعد حوادث حكيت عنها في كتبي التي أرسلتها لك، حررني الله من هذه الرهبة. والآن عندي قطتين هما من أحب الكائنات على قلبي، ومن أهم أسباب فرحتي أن أنظر إليهما وألعب معهما. هذا مع العلم بأني لم أزل أرهب القطط إلى شارفت على الثلاثين من عمري. بل إن أحد أكثر الكوابيس تكرراً معي حتى بعد إسلامي هو كابوس هجوم كثير من القطط عليّ دفعة واحدة، وكنت أستيقظ مرعوباً بسبب ذلك. مهما كبرت في السنّ، تستطيع أن تتخلّص من أي رهبة، صغيرة أم كبيرة، مفهومة أم غير مفهومة. أعطيك مثالاً أخيراً على رهبة لا أزال أتعامل معها من الجانب العملي لا النظري، وهي الرهبة من التعرّض للأذى على يد الظلمة في بلادنا بسبب هذه الكتب والمجالس التي أرسلها وأقيمها سرّاً. على المستوى العقلي والنفسي لا أرى أي قيمة تُذكَر للحكومة بمن فيها من الظلمة، بل هم عندي من أخسّ الكائنات بل أخسّها. لكن رهبتي عملية ومفهومة. نعم، في بدء المواجهة كنت أجد بقايا من المزابل التي زرعوها فينا منذ الصغر، (احترم الكبير، خف من الحكومة، الحيطان لها ودان، وبقية الهراء المعلوم)، وبطبيعة الحال ولأن النفس لا تعرف السنّ، وما في النفس منذ الصغر قد يكون له نفس التأثير وكأنّه زُرِع اليوم، فليس في النفس قديم وجديد، كل ما في النفس الآن هو "جديد" بالنسبة لها، بمعنى أنّه موجود ومؤثر، بل لعل القديم أشدّ تأثيراً من الجديد. وهكذا كنت في البدء أشعر بالرهبة الطفولية من "الحكومة". لكن بعد سلسلة طويلة من الأحداث والخلوات والمواجهات، بل لعل الله أدخلني في العمل لدى الحكومة ورؤيتها من الداخل ومعاشرة بعض أهلها كان من أسبابه هو هذا التحرير بالذات، لأنك إنّما ترهب الأشياء التي لم تلمسها-عادة. المس ما ترهب، وعادة ما سيختفي. ولذلك تجد أقرب الناس إلى الملك قد يكون من أكثر الناس جرأة عليه، مثل أولاده أو زوجته أو أحياناً حتى خادمه وعماله. كلّما ابتعدت عن ما ترهبه، كلّما ازدادت فعالية الرهبة فيك ونشرت سمومها في نفسك. اذهب، المسه، اضحك في وجهه، اعبث به، اشتمه، والشتم مهم جدّاً في أمور الرهبة، لأن الشتم لعله أهم عملية تحرير للنفس من أي رهبة. ومن الأمور التي قمت بها أيضاً في هذا المجال هو

المداومة على مشاهدة البرامج التلفزيونية واليوتيوبية المعارضة والساخرة من الحكومة، أي حكومة وخصوصاً هذه الحكومة الظالمة التي في بلادنا. وهذا أيضاً من أحسن الأدوية والمقويات الذهنية. القراءة عن سفالة وضعف وسخف ما ترهبه أيضاً مساعد. كل هذا على الصعيد النفسي. لكن على الصعيد العملي والأكثر واقعية صرت أنظر في حقيقة ما أرهبه، وبدأت بالتفكير في معالجته عملياً، ومن هنا جاءت أفكار العزلة والهجرة وما إلى ذلك.

ما تراه في مناماتك يمكن تقسيمه قسمة أولية لتسهيل العملية إلى ثلاثة أقسام. الأوّل هو حلم جميل. وهذا عادة ما يكون تجسيد لرغبة من رغباتك التي لم تستطيع تحقيقها في يقظتك. الثاني هو حلم قبيح. وهذا عادة ما يكون تجسيد لرهبة من رهباتك والتي عادة ما تكون لم تقع لك بعد وأنت تخشى وقوعها وتترقبه أو تحسب حسابه ولو في أعماق ذهنك. إلى هنا، أي القسم الأول والثاني، أنت في المجال النفساني، أنت محصور في الصور والقيود السفلية. فإذا فعّلت أو تحررت من رغباتك، وإذا واجهت وتحررت من رهباتك، انفتح لك باب القسم الثالث وهو الرؤيا.

حين تتحرر من الرغبة والرهبة، قد ترى الرؤية في اليقظة أو الرؤيا في النوم. أي قد ترى وتنكشف لك أمور من العالَم العلوي والنوراني وأنت مستيقظ، كما حدث مثلاً وأنعم الله علي بمشاهدة رسول الله وعلي وأهل البيت من حيث هم أنوار لا من حيث هم أجسام، في العالَم الملكوتي، وأنا مستيقظ في الصلاة، وحصل لي المعراج من باب قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عالَم النور الأعلى. هذا، وقد ترى وتنكشف لك أمور من العالَم العلوي وحضرة البقاء والروح وأنت نائم، وهو الأكثر شيوعاً، كما حدث مثلاً وأنعم الله عليّ بسماع القرءآن منه تعالى وأنا نائم في رمضان، ورأيت عموداً من نور نازل عليّ أثناء قراءته سبحانه عليّ. هنا يا صاحبي ثمرة التحرر من الرغبة والرهبة. الذي لا يريد التحرر من السفليات من أجل مشاهدة العلويات أو الانفتاح على حقائق الايات ورؤية المقدسات، فلن يجد الطاقة والقوة والنية الصالحة للسعر في التحرر. سيميل عادة إلى الاستسلام للرغبة ك"ضرورة حياة" والتسليم بالرهبة ك"يا عمّي، هي كذا الحياة". صوّب إلى الفوق، حتى تخلص من التحت.

أما بالنسبة لصورة الجميلة للغروب التي أرسلتها لي، وذكرت بأنها "أعظم تجليات الله" لك. فهي تجلي عظيم ولاشك، لكن اعلم أنك أنت الإنسان أعظم تجليات الله لك. ذرة من شعاع شمس روحك أجمل من الدنيا وما فيها من أقصاها إلى أقصاها. نعم، الطبيعة أفق من الآفاق التي فيها الآيات. لكن هي الأفق الأدنى. الأفق الأعلى هو العرش، وهو فوق الجنّة، وقد عرج بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّة إلى ذلك العالَم فرأينا من النور ما يبهر القلوب ويشرح الصدور ولا تقوم له كل أضواء النجوم وأنوار الأقمار من أوّلها إلى آخرها. الاتصال بالأعلى لا يعني الانفصال عن الأدنى، لكن الأدنى بوابة الأعلى. ومن هنا أفهم قصدك بأن هذا أعظم تجليات الله لك، فإن الإنسان الأصيل لا يفرّق بين الرمز والمرموز، ولا بين المثال والممثول، بل يرى الحقيقة العليا في الصورة الدنيا. فأسأل الله أن يفتح لك فتوح المقرّبين، ويمدّك بإمداد المخلصين، ويريك من آياته الكبرى، ويغرقك في بحر نوره الأعلى.

سلامي لك ولمن معك.

...

قال: كيف تزعم أن من سبّ رسول الله لا يُقتَل، والذي يؤذي رسول الله فكأنّه آذى الله؟

قلت: فقد قال رسول الله أن من آذى أحد أصحابه فقد آذاه، وأن من آذى الحسن بن علي فقد آذاه، وأن من آذى مسلماً فقد آذاه. فهل تجيزون قتل كل من سب صحابياً أو فاطمياً أو مسلماً؟

...

"من يعمل مثقال ذرّة خيراً يره. ومن يعمل مثقال ذرة شرّاً يره"

الخير هو القرءآن. لقوله "إذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً".

وذرّة من القرءآن هي الحرف الواحد.

وعمل مثقال ذرة يعني قراءة حرف واحد. ولذلك كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم مفسّرة حرفاً حرفاً.

إذن المعنى: من يقرأ حرفاً من القرءآن، يره. بالتالي، إن لم تره، فأنت لم تقرأه. ورؤيته بمشاهدة حقائقه والتأثر بمشاعره. هذا معيار، إن رأيت الحرف فقد قرأته، إن لم تره فلم تقرأه.

كذلك "من يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره" أي من يغفل عن حرف من حروف القرءآن، يره. فالقراءة خير، والغفلة شر. كيف ستراه؟ سترى أثراً ظلمانياً في قلبك، شعرت أم لم تشعر بأن هذه الظلمة بسبب غفلتك عن ذلك الحرف القرءآني. كل نور فيك نشأ عن قراءة، وكل ظلمة فيك نشأت عن غفلة. وسترى قراءتك وغفلتك في نفسك.

...

بعض الأمور التي تكلّم عنها علماؤنا السابقين، لا تستطيع أن تفهم سبب إيرادهم لها حتى تذوق شئ مما ذاقوه.

لأضرب مثلاً بسيطاً. أذكر أننا أيام الدراسة المتوسطة والثانوية (تلك الأيام الممتعة والمشؤومة معاً) كنّا ندرس في كتب الفقه كثيراً عن الطلاق المعلّق على شرط. ومن كثر ما درسنا عن الطلاق كنت أقول "تحمست أن أتزوج حتى أجربّه". وأبرز مثال على ما كنت أعتبره سخافة هو الطلاق المعلّق على شرط، والأمثلة التي كانوا يضربونها في الكتب هي من قبيل قول الرجل لزوجته "إذا نزلت من السلم، فأنت طالق" ، أو "إذا خرجت من باب الدار، فأنت طالق"، أو "إذا جاء فلان إلى كذا فهو طالق". وما أشبه ذلك. وكنت أستغرب من إيراد هذه الأمثلة السخيفة في باب الطلاق، وكنت أتصوّر أن أناساً يشتمل زواجهم على هذه الشروط والتعاليق هو زواج فاشل أو غير موجود أصلاً وإنما هو وهم تصوّره واضعو هذه الكتب والمسائل الشرعية. كل هذا قبل أن أتزوج. ثم تزوجت. ففهمت سبب وجود هذا الباب من الفقه. الأمثلة السخيفة التي كانت تُضرَب إنما هي حجاب ييسّر فهم المسألة، أمّا الواقع وراء الحجاب فهو رجال اجتمعت فيهم الرحمة والغضب، وغلبت الرحمة بالشرط. ما معنى ذلك؟ معناه أن ترى الرجل يغضب من عمل معيّن من أعمال زوجته مثلاً، لكنّه لا يريد أن يطلّقها رحمة بها أو بأولادهما أو اتقاء لكراهية الشارع للطلاق (هنا "الشارع" بالمعنيين، الشارع بمعنى واضع الشرع تعالى، أو بمعنى جمهور الناس والمجتمع والأسرة. وأكثر الناس الشارع عندهم هو الشارع لا الشارع). فكيف يوفّق هذا الرجل بين كرهه لهذا العمل من زوجته وبين إرادته للبقاء متزوجاً، أي كيف يوفّق بين إرادته التحرر وإرادته البقاء متزوجاً؟ هنا قد يلجأ إلى أسلوب الطلاق المعلّق على شرط، حتى يكون أكثر زجراً لزوجته وتهديداً لها، يعني كأنّه يرى أنه لا فائدة مع هذه المرأة إلا إذا شعرت بانتهاء الزواج، وأكثر النساء الزواج عندهم هو أعلى علاقة تتصوّرها في حياتها. فكأنّه يريد بالتعليق على شرط أن يجعل الأمر بيدها هي والمسؤولية على عاتقها، حتى لا يشعر بتأنيب الضمير لو حدث الطلاق، فيستطيع أن يقول "أنا اشترطت شرطاً معقولاً، وهي خالفته، فهي سبب الطلاق وآثاره السيئة لا أنا". إذن، الطلاق المعلق على شرط ليس

ناتجاً عن نفسية سخيفة متساخفة، بل عن نفسية رحيمة خائفة. ولو كان قاهراً من الجبابرة، لما علّق على شرط، بل لما استعمل الكلام أصلاً، وإنّما لاستعمل وسائل أكثر ماديّة ودموية كما يفعل الكثير جدّاً من الأزواج الذين لا يعطون أزواجهم امتياز التعامل معهم كأفراد من بني الإنسان، بل يعاملونهم كالبهائم التي لا تفهم إلا بالجوع والوجع.

لو تأملت في الفقه تأمل مجرّب لمواضيعه لا متخيّل لمعانيه (إذ الخيال فرع التجربة وثمرة قياس مظنون العلّة) لكان له تقدير أكبر له ولواضعيه. وهذه من أكبر مشكلات ميراثنا وتراثنا الإسلامي بكل فروعه: سوء فهم معانيه، وسوء فهم مقاصده، أو عدم الفهم بالكلّية، والخوف من تعقّله.

...

قلت: أيهما أعظم، دراسة مسألة العلم، أم دراسة مسألة التوحيد؟

قال: التوحيد.

قلت: بل العلم.

قال: كيف، والتوحيد أوّل الدين؟

قلت: والعلم أوّل هذا الأوّل.

قال: دليلك؟

قلت: "فاعلم أنّه لا إله إلا الله". فإن لم تكن من طلبة العلم من حيث الأصل، فلن تكون ممن يستمع لنداء "فاعلم". ثم إن كنت طلبة العلم، لكن كان تعريفك وتحديدك للعلم وقدرة الإنسان على التعلّم أو نظرية المعرفة عندك، تقول مثلاً بأن الإنسان لا يستطيع أن يعلم إلا الشئ المحدد بالحواس الخمس الظاهرة، فمثل هذا الشخص لن يقبل حتى سماع شئ عن قضية الألوهية التي هي قضية غير محصورة بالحواس الخمس الظاهرة. فلو كان تعريف وحدود "العلم" عند هذا الشخص هي هذه، النتيجة أنّه حين يسمع "فاعلم" سيقول: نعم، أنا من طلبة العلم. وحين يسمع "أنّه لا إله" سيقول: هذا هو الأصل أي الشك في أي قضية وجودية. إلا أنّه حين يسمع "إلا الله" سيقول: هل هذا كائن مشخص بالحواس الخمس؟ فإن قيل له: لا. سيقول: إذن لا نستطيع أن نحكم فيه بإثبات ولا بنفي. وقل مثل ذلك في بقية القضايا الدينية عموماً. إذن، بحق جاء التسلسل في القرءان "فاعلم أنّه لا إله إلا الله"، فالباب هو العلم. تعريفه وطلبه. ثم بعد ذلك تأتي الأمور تباعاً إلى ما لانهاية "وقل رب زدني علماً".

..

في أمور الدنيا والمعيشة : امشِ.

في أمور الآخرة والمعرفة: سارع.

إذا زحفت في أمر المعيشة، ضيّقت على نفسك وعائلتك.

إذا جريت في أمر المعيشة، أهلكت عقلك وأقلقت نفسك وعذّبت من حولك.

إذا مشيت في أمر آخرتك، فأحسن أحوالك انخفاض المنزلة في الجنّة.

إذا زحفت في أمر المعرفة، ضيّعت عمرك في هباء وهراء.

قال الله "فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه". فذكر المشي في أمر الرزق الأرضي.

وقال الله "وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنّة" فذكر المسارعة في أمر الرزق العلوي.

...

{إذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله، قال الذين كفروا للذين ءآمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه إن أنتم إلا في ضلال مبين. ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين.}
أقول: لاحظ أنه يوجد فصل بين موضوع الآية الأولى والثانية. فأين جواب الآية الأولى، إذ ليس من عادة القرءآن أن لا يرد على القول الباطل بعد حكايته. فأين الرد على الذين يقولون "أنطعم من لو يشاء الله أطعمه"؟

الجواب: هو نفس قولهم. لأن قولهم هذا دليل على أن الله جعل الإنسان وسيلة لإيصال المنافع لغيره من الناس. فالذين كفروا في هذه الآية قد جعلوا أنفسهم وسيلة لإيضاح الحقيقة والحكم على المهتدي والضال، ألا تراهم قالوا للذين دعوهم إلى الإنفاق "أنطعم من لو يشاء الله أطعمه إن أنتم إلا في ضلال مبين". فهذا القول منهم والجواب هو إنفاق من مال عقولهم الذي رزقهم الله إياه. فكما أنهم أقرّوا عملياً بأنهم وسائل لإنفاق المال المعنوي، فكذلك تلزمهم نفس الحجّة في أن الله جعلهم وسائل لإنفاق المال المادّي. من لسانك أدينك.

...

لا أحب في مجلس الذكر والفكر أن يكون هناك طعام أو شراب اللهم إلا الماء. وقد جعل الله بيته المحرّم في "وادٍ غير ذي زرع" وفيه ماء. فكذلك اجعلوا بيوتكم ومجالسكم.

بدأت مع أصحابي مجلساً ليس فيه إلا الماء، لا بخلاً ولا أي شئ من هذا القبيل، بل إنّما أردنا تخليص الوقت للدرس والتأمل. وقد سمعت بالأمس مقالة من أستاذ لي في النحو "إذا حضر الهرس فسد الدرس". وهذه خلاصة موقفي. وفعلاً، في إحدى الأيّام، أحضر أحد الأصحاب الجدد طعاماً بسيطاً، فانشغلوا بالأكل وذقت أنا شيئاً معهم، ففسد الأمر وانسدّت أبواب الإلهام وفيضان الأفكار، وبدلاً من اتحاد العقول والنوايا تفرّقنا في شخصيات دونية.

بالأمس كنت في مجلس عند الأستاذ الذي ذكرته قبل قليل، وأخبرته بذلك، لكنّه مع إخباري بتلك الحكمة، إلا أنه لم ينفذ مضمونها، ومن كثرة المقاطعات وتقديم الضيافات، كاد-لولا فضل الله-أن يفسد الدرس بالكلية، وقد فسد معظمه وضعف الفكر فيه.

...

الوقار في مجلس الأفكار، من الظلمة لا من الأنوار.

...

يقال: دائرة الثوابت هي ما كان قطعي الثبوت قطعي الدلالة.
أقول: وهل رأيتم يوماً أحداً يرفض شيئاً مما تسمونه قطعيات إلا وهو يحتج بعدم قطعية الثبوت أو عدم قطعية الدلالة، سواء كانت دلالة هذا النص أو دلالة مجمل النصوص مع الترجيح بينها.

هذه حدود القطعي من أمر الدين:
١-الثبوت. ٢-الدلالة. ٣-عدم المعارض الأولى سواء كان أ/نصّاً أو ب/مقصداً معتبراً.

...

شعاع الموعي المتعلق بالفكرة الصورية مثل مدّ يد عليها ثقل. عملية متعبة مرهقة. وإن لم تعِ أن سبب تعبك هو هذا المدّ المرهق فستضارب من حولك بجنون، لأنك ستعتقد بأن السبب هو أشياء كَثيرة غير السبب الواقعي.

...

النطق دليل وجود عالَم أعلى كوني وعالم أدنى خلقي.

الكلمة حاضرة دفعة في عقلك، وتتخلق أطواراً على لسانك. ولذلك قيل" فورد السماء والأرب إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون ". فعقلك سماؤك، ولسانك أرضك.

...

يظنّ أكثر الناس أنني أستفيد ما أقوله وأتكلّم به وأكتبه من قراءة الكتب. هيهات. ما قلت شيئاً إلا وهو شئ أشهدني إيّاه الله بنفسي وعين قلبي وذات تعقّلي، لا في أمر الدين ولا في أمر الدنيا. تفيدني القراءة في معرفة ما عند الآخرين (وهذا يفيدني من حيث أنّه يولّد أسئلة، والأسئلة أكواب، أمّا الشراب فهو من عند الله تعالى إليّ وما يفيض من عقلي.) وكذلك تفيدني القراءة من حيث استفادة اللغة وصيغ التعبير المختلفة والمنطقية. ما قرأت شيئاً واعتقدته إلّا لأنّه وافق ما كوشفت به وعقلته. ما قلت إلافق بما شهدت، والله على كل شئ شهيد.

...

لم أجد شخصاً ينكر على الشيخ محيي الدين ابن عربي قدس الله نفسه، إلا وأنكره قلبي ولو بشئ من الإنكار قليل في حال كان رجل ظاهر وباطن الصلاح والعلم في ما سوى إنكاره على الشيخ، وإلاّ ووجدت عليه طوام وزلّات ومغالطات بقدر إنكاره وهذه لا أستثني منها أحداً. لو كانت آية "إن نراك إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء" تنطبق على أحد، لانطبقت على مَن ينكر على ابن عربي.

...

الحمد لله الذي جعل القصاص منّي في الدنيا.

حين كنت في نحو الرابعة عشر من عمري، في المدرسة، أردت المزح الثقيل مع أحد الأصحاب في فصل المدرسة، ولم يكن فيه غيري وغيره، وهو شاب سمين جدّاً، فلما أراد أن يجلس على الكرسي سحبت الكرسي من خلفه فوقع على الأرض إلّا أن رأسه اصطدم من الخلف بالكرسي وفقد الوعي. حسبته مات، فخفت خوفاً يجلب الشلل وفقد الإحساس لدرجة أنّي لم أشعر حتّى بالخوف فتركته وخرجت من الغرفة، والحمد لله لم يحصل له شئ وقام سليماً.

بعد ذلك بفترة، على ما أذكر أنّها كانت قريبة منها، كانت فترة الامتحانات والشباب مجتمعون في الشارع أمام المدرسة، أحد الشباب كان يسوق سيارته، فلا أدري ما أصابني فقررت أن أجلس على الصدّام الخلفي للسيارة الكبيرة حين كان متوقّفاً، فلم يشعر بي جالساً على الصدام الخلفي الصغير، فانطلق بسيارته، ولا أدري لماذا لم أقفز فور تحركه بل جلست، فإذا به يسرع، فخشيت أن يفحط عند اللفّة القادمة كما كان الشباب يفعلون، فلا أدري من أين جاءتني الجرأة فقفزت للأمام، فإذا بي أتدحرج مثل الكرة على الشارع للخلف، وشعرت أنّي اقتربت من الموت، إلا أنّي قمت وإذا برأسي من الخلف انتفخ مثل ما يحدث في أفلام الكرتون تقريباً، وصار مثل الكرة المستطيلة بسبب تجمع الدم، فصار رأسي كأن عليه كرة مستطيلة مركبة عليه من شدّة كبرها، وبقي شئ قليل جدّاً من أثرها في رأسي إلى اليوم تستطيع أن تشعر به لو تحسسته.

اليوم تبيّن لي وأنا أتحدث في المجلس مع الأصحاب أن هذه الحادثة مرتبطة بتلك الواقعة. فتعلّمت أن لا أخفي شيئاً، ولا أخاف من أحد مهما كان السبب وإلّا فالله بالمرصاد. نسأل الله لطفه وعنايته وإمداده لنا بالجرأة على إعلان أخطائنا وجرائمنا كبرت أم صغرت وتحمّل مسؤولية ذلك. والجزاء "يوم ينفع الصادقين صدقهم".

...

تعريفك لله سيحدد نظرتك للوجود. نظرتك للوجود ستحدد إطار تفكيرك عن الوجود. إطار تفكيرك سيحدد تفكيرك. تفكيرك سيحدد قيمك وأخلاقك واختياراتك. اختياراتك ستحدد حاضرك. حاضرتك سيحدد مصيرك. إذن، تعريفك لله سيحدد مصيرك.

كل واحدة من هذه المقدمات ثابتة وصحيحة. فتنبّه.

أقول ذلك لأنّي كنت في مجلس استمعت فيه لشيخ يزعم أن الكلام في مسألة كون الله محدوداً أم غير محدود، وكونه فوقنا بالمكان المادّي أم لا، هي مسائل غير مفيدة وتكرّس تفرق الأمة ولابد من مراعاة الأولويات في المسائل.

أقول جواباً عن ذلك: أوّلاً، إن كان الكلام عن الله ومعرفة أهمّ قضايا التوحيد والعرفان غير مفيد، فلا أدري ما الذي بقي مفيداً بالنسبة للمؤمنين بالله ودين يقوم على العلم والإيمان بالله تعالى ووحدته.

ثانياً، "الأمّة" متفرقة بهذه المسألة وبدونها، وأنتم تتكلّمون في مسائل أخرى، مثل الفقه والحديث والتاريخ، وكل ذلك الأمّة فيه متفرقة لم تزل ولا تزال. فما بالكم نظرتم في الفرقة حين جاء الأمر إلى أهمّ مسألة في التوحيد والعلم بالله تعالى.

ثالثاً، أولى أولويات العلم، العلم بالله. ورأس مسائل العلم بالله مسألة محدودية أو عدم محدودية الله. أمّا كون رأس مسائل العلم هو العلم بالله فظاهر من السلسلة التي صدّرنا بها الفقرة، وكذلك ظاهر بالنسبة لكل مسلم يبني أمره على الإيمان بالله، وظاهر أيضاً في القرءان إذ يقول "فاعلم أنه لا إله إلا الله". ثم إنّه ظاهر من حيث كون بقية المسائل العملية راجعة على التحقيق إلى مسائل من باب العلم بالله. فعن أية أولويات تتحدثون إذن.

قد يقال: لكن هارون لم يفرّق بين بني إسرائيل مع كونهم افترقوا في مسألة متعلّقة بالتوحيد وهي اتخاذ العجل.

أقول: استدلال باطل من كل وجه. لأن موسى لام هارون على عدم التدخّل كما هو معلوم، وموسى هو رأس ذلك الأمر لا هارون. ثم حتى لو تركنا هذا الجواب، فجواب آخر أبسط وأقرب هو أن هارون كان ينتظر رجوع موسى ليحلّ الأمر، أمّا نحن فلا ننتظر رجوع أحد ليحلّ خلافات الأمّة في التوحيد، بل القرءآن بيننا والعلماء بالقرءآن مكلّفون بتبيانه للناس من بعد ما بيّنه الله للناس في الكتاب كما هو معلوم. ثم لو افترضنا أن السكوت على كل اختلاف جائز في سبيل "الوحدة" (الصورية طبعاً، التي تجعلنا من أهل "تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتهى") فالنتيجة أنه يجب علينا قبول كل اختلاف إلا أن يبقى بعضنا بجانب البعض الآخر صورياً فقط !

فإن قيل: لكننا نخشى من اقتتال الناس لو اختلفوا في التوحيد.

قلت: أمّا اختلافهم فواقع، سواء تكلّمنا أم لم نتكلّم، وإن سكتنا نحن فيوجد غيرنا سيتكلّم. ثم إننا نرفض الاقتتال بسبب الاختلاف في التوحيد أو غيره، فعلينا أن ندعو إلى عدم الاقتتال لا أن نسكت على أباطيل مسائل التوحيد. التكلّم في العلم شئ، العدوان شئ آخر. لا نترك البيان من أجل العدوان، كما أننا لا نرتكب العدوان من أجل البيان.

...

لا تعجبني قاعدة "درء المفاسد مقدَّمة على جلب المصالح". والنظر إلى عملية درء المفاسد كشئ مقدّم على جلب المصالح هو شئ أقامه على ما يبدو أناس يفضّلون قمع الشعب على إسقاط الطغاة. ألا تراهم يستعملون هذه القاعدة كلّما أراد الناس تغيير شئ، فيقولون "درء مفسدة افتراق الناس وحدوث الفتنة مقدّمة على جلب مصلحة العدل للشعب". لا يفصل درء المفسدة عن جلب المصلحة إلا إنسان يريد

تكريس مفسدة والإبقاء عليها. أمّا في الحالة السليمة، فعملية جلب المصلحة هي نفسها عملية درء المفسدة، هما شئ واحد لا شيئان. مثلاً، الوسخ على الطعام مفسدة، لكن أكل الطعام مصلحة، فالواقع أنّ درء المفسدة وهو هنا إزالة الأوساخ مصاحب ومقترن ولا يجد قيمة إلا بعملية جلب المصلحة التي هي حصول الأكل في بطنك. وبعض المفاسد لا تزول إلا بجلب المصالح، أي وجدان المصلحة هو سبب زوال المفسدة أو درء المفسدة المحتملة، مثلاً السرقة مفسدة، الشبع مصلحة، وحين يجوع الناس قد تنتشر السرقة، فإذا قلنا بأنّه علينا أن ندرأ السرقة بدون جلب الشبع فإننا نكون ظلمة وجهلة، أي أننا نريد منع السرقة بدون منع سبب السرقة وهو الجوع والملق المنتشر في الناس، اجلب مصلحة الشبع والقوت وستحصل على ما تريده من درء مفسدة السرقة.

لابد أن يكون المدار هو المصلحة. كلّما ازداد وجود المصالح كلّما قلّ وجود المفاسد، والواقع أن عملية درء المفسدة لو تأملته ستجده من عين جلب المصلحة لكن بنحو لا يعقله أكثر الناس. مثلاً، احتلال العدو مفسدة، العيش في الدنيا مصلحة، فعادة ما سيقول أصحاب القاعدة: درء مفسدة الاحتلال مقدَّم على جلب مصلحة العيش. لكن نحن لا نرى ذلك. نرى أن محاربة العدو هي بحد ذاتها مصلحة، أي نفس الحرب العادلة مصلحة، مصلحة للعالَم ومصلحة لنفوس الأمّة ومصلحة لمعرفة طبيعة الدنيا ومصلحة حصول الشهادة والنصر، ومصلحة تمييز المنافق من المؤمن، وهلمّ جرّاً.

مما استفدته من أحد المنكرين على الشيخ ابن عربي في تقديم جلب المصلحة على درء المفسدة هو أن الفاتحة أم الكتاب قد قدّمت جلب المصالح على درء المفاسد إذ ستّ آيات منها فيها جلب مصالح والآية السابعة منها فيها درء مفاسد في قوله "غير المغضوب عليهم ولا الضالين". أقول: هذا استنباط لطيف وجميل. إلا أن العبارة ناقصة: إذ ثلث الآية السابعة جلب مصالح "صراط الذين أنعمت عليهم"، وثلثيها فقط درء مفاسد. وهذا من عدم الدقة الذي يُبتلى به من ينكر على الشيخ. فتأمل.

...

من لا يتأسس في طريق العلم تمن الجذور، لا تنفتح عليه جميع خزائن النور. ولذلك ستراه يكرر كثيراً ما سبق أو أوتيه، ولا يغوص عميقاً فيما ينظر فيه، اللهم إلا نادراً، ولا يبعد أن تراه في الخصومة فاجراً.

...

الإخلاص لله مشروح في سورة الزمر، ومنها جاء حديث الإخلاص لله المؤدي إلى ظهور ينابيع الحكمة من أرض القلب إلى ظاهر اللسان. والإخلاص لله هو أن يكون كل علمك وعملك مأخوذ من كتاب الله حصراً.

من نعم الله عليّ، أنّي قرأت ليلة أمس حديث ينابيع الحكمة من كلام شمس الدين التبريزي رحمه الله، ولمّا سألت عن معنى الإخلاص كان وردي في الصباح التالي هو من سورة الزمر الشارحة للإخلاص والتي فيها مصدر حديث ينابيع الحكمة. فالحمد لله الذي لم يترك لي سؤالاً إلا أجابه، إنّ ربي سميع مجيب.

...

من أفحش المغالطات في بحث مشروعية حرية الكلام أن يعمد الغافل إلى آيات وأحاديث تتكلّم عن القيود العقلية والوجدانية والأخروية والربانية للكلام، ثم تجعلها بمثابة القيود القانونية الجبرية. كأن يستشهد بآية "لا تنابزوا بالألقاب" على التجريم القانوني للتنابز بالألقاب، وكأن الله بنى النهي عن التنابز بالألقاب كما بنى السرقة والقتل مثلاً، وكأنّه لم يبنه على أمور قلبية ذاتية بل بناه على أمور جبرية قهرية مثل العقوبة المادّية والمالية. مَن ظنّ أن تحريف كتب الله هو شئ فعله جهلة وكفرة بني إسرائيل فقط من الأولين، فليعد النظر في المسألة وليشاهد ما يحدث أمام ناظريه من معاصريه.

...

سمعت بواسطتين مختلفين عن شخص واحد من المعاصرين السلفيين يقول فيها "الفتوحات المدنية أغنتنا عن الفتوحات المكية". يشير بها إلى الكتاب والسنة، ويدعي أن فيهما الغنى عن الفتوحات المكية وكتب الشيخ ابن عربي جملة. الذي نقل لي هذه العبارة عن أحد المحدّثين المعاصرين نقلها لي نقل موافق ونقل واثق. فما الجواب عن هذه الحجّة؟

هو التالي باختصار: أوّلاً، الفتوحات المكية ليست في عَرَض الكتاب والسنة حتى يُجعَل أحدهما مغنياً عن الآخر. بل الفتوحات المكية وكتب ابن عربي كلّها بنصّ عبارته وبواقع كلامه إنّما هو شئ فهمه من الكتاب والسنّة. فالذي يدعي أن الغنى بالكتاب والسنة يغني عن كتب ابن عربي، فليدعي أيضاً وليقبل ممن يدعي أن الكتاب والسنة يغني عن الآثار المروية عن الصحابة والتابعين و كتب الفقه والمذاهب الأربعة وعلم الحديث وما إلى ذلك.

ثانياً، الكتاب في غنى عن ابن عربي، لكن أنت أيها الغافل لست في غنى عن ابن عربي إن أردت أن تعقل شيئاً ذو بال من الكتاب أو إن أردت أن تأخذ بالطريق الأقرب إلى فهم أعماق الكتاب، اللهم إلا إن كنت تثق بأن الله سيفتح لك حقائق الأمر بسعيك الشخصي، فأرنا عضلاتك وثمار زرعك، ولا أُراك إلا حطاماً هالكاً.

ثالثاً، حتى من باب التدقيق-لترى سلب التوفيق-فإن ما أوتيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُقال عنه "الفتوحات المدنية" بأي وجه ولا يستحق هذا الاسم، فإن رسول الله فُتح عليه في مكّة وفي المدينة وفي غيرهما، وفُتح عليه في مكّة ثلاثة عشر سنة. فالأدق كان أن تقول-إن كان ولابد من هذا القول السفيه: الفتوحات النبوية أغنتنا عن الفتوحات المكّية، فهذا أقرب للصواب مما قلته.

رابعاً، إن كانت الفتوحات المدنية قد أغنتك عن كلام ابن عربي، فلماذا تتكلّم أنت إذن، ولماذا تقول لنا "الفتوحات المدنية أغنتنا عن الفتوحات المكية" فإن هذه العبارة لم ترد لا في ما تسميه الفتوحات المدنية ولا في الفتوحات المكّية. فلماذا ابتدعت كلاماً ليس من الكتاب والسنة إن كنت صادقاً فيما تزعمه من الاستغناء بالكتاب والسنة؟ فإن قلت: لكن هذه العبارة وصف لما فهمته أنا من الكتاب والسنة. رددنا عليك: أي غافل، وهل الفتوحات المكية إلا ما فهمه ابن عربي من الكتاب والسنة ! فلا أرى إلا أنّك أبحت لنفسك ما حرّمته على غيرك، وأعطيت نفسك من السلطان ما سلبته غيرك.

وحسبنا هذا.

...

إن كانت سيئة العالَم التقليدي هي وجود الغايات بدون وجود الوسائل، فسيئة العالَم الحداثي هي وجود الوسائل بدون وجود الغايات. مثلاً: تجد في العالَم الحداثي وسائل تواصل، لكن مواضيع ذات أهمّية للتواصل فيها (مثل ما كان في العالَم التقليدي، كالعرفان والشعر العالي والأمور المهمة عن الوجود) قد فُقدَت أو صارت هامشية أو لا تهمّ إلا الأقلّية.

...

الدليل على أن الإنسانية مفهوم لا يتجزأ، وهو حقيقة في كل إنسان أيا كانت حالة بدنه، هو التالي:

١-كل ولد يرث. هذه مسلّمة قرءانية. أيا كانت الحالة الصحية والبدنية للولد.

٢-قال الله "فإن كنّ نساء فوق اثنتين". فاستعمل كلمة "فوق". هذه الكلمة ليست مثل كلمة "أكثر". فأن الأكثر يكون للمرتبة الأعلى من المرتبة والممكنة التجزؤ. مثلاً، العدد سبعة أكثر من العدد ستّة، وليس فوقه، لأنّ بين الستّة والسبعة توجد مراتب متفاوتة مثل الستة والنصف والستة والثلث. لكن كلمة "فوق"

تدلّ على المرتبة في شئ لا يتجزأ، ولذلك قال "فإن كنّ نساء فوق اثنتين" لأنه لا يمكن أن يتجزأ الإنسان، أي لا يوجد نصف إنسان وربع إنسان، ولو كان هذا موجوداً لقال: فإن كنّ نساء أكثر من اثنتين. فالإنسان إمّا شئ وإمّا لا شئ، ولا يتبعّض ولا يتجزأ.
النتيجة: كل ما يثبت للإنسان من حيث هو إنسان، يكون كلّياً لا يتجزأ، ولا يمكن نفيه إلا بنفي الإنسانية.

...

{كل شئ} مصطلح قرءآني مهم جدّا. ورد في القرءآن فوق ١٢٠ مرّة. ولحقيقته ثلاث درجات.

الدرجة المطلقة، وهي قوله تعالى عن علمه المقترن بهويتة المطلقة المتعالية على الخلق، "هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم. هو الذي خلق". فهنا "كل شئ" متعلقة بالعلم الإلهي.

الدرجة النسبية الكلّية، وهي قوله تعالى عن خلقه "الله خالق كل شئ". فهنا هي نسبية من حيث أنّها متعلقة بالخلق، أي كل شئ مخلوق بدليل ما سبقها "خالق كل شئ". ومن حيث أن كل شئ مخلوق داخل في هذا التعريف قلنا أنها "الكلية". أي هي نسبية من حيث أنّها تقتصر على الخلق دون العلم كما في الدرجة المطلقة، وهي كلّية من حيث أنّها محيطة بكل مخلوق.

الدرجة النسبية الجزئية، وهي قوله تعالى عن الريح التي دمّرت بعض الأقوام "تدمّر كل شئ". ومن الواضح أنّها لم تدمّر إلا كل شئ أُريد تدميره ويستحق التدمير في تلك البلدة أو قوم ذلك النبي المخصوص. فهنا كل شئ تعني كل شئ في تلك الظروف الزمانية والمكانية المحددة.

ثم لاحظ أن "كل شئ" تشمل معنى التعدد والتفرّد في آن واحد. فكلمة "كُل" تشير إلى التعدد، أو إمكانية التعدد، أو مفهوم عام له أشخاص كثرة، إذ لا يقال "كل" عن شئ لا يوجد منه إلا شئ واحد بكل معاني الوحدة، فإننا لا نقول "كل إله" حين نقصد الله تعالى، ولا حتى يقول هذه العبارة موحّد، لأن "كل إله" تدل على وجود أكثر من إله بالتحقق أو الإمكان العقلي أو الكوني أو الطبيعي. لكن من جهة أخرى، "شئ" تشير إلى شئ واحد فرد، "كل شئ"، أي هو شئ واحد. ولم يقل "كل الأشياء". فالأشياء في حقيقتها لا تتعدد. ومن هنا قال الله عن نفسه "قل أي شئ أكبر شهادة قل الله". فالله شئ، والله هو حقيقته الشيئية التي في "كل شئ". ولولاه لما كان ثمّة شئ.

...

سؤال: إني في حيرة من أمر الدين والأديان والمذاهب، وإني على وشك أن أتركها كلّها، ولكن شئ في نفسي يشعرني أنه عليّ أن أؤمن بدين، فذهبت لدراسة مقارنة الأديان، التي قد تأخذ سنوات، فماذا تنصحني؟

-الباحث في أسباب الإيمان في غنى عن دراسة مقارنة الأديان.

كل دين له رسول أي منشئ أو مُظهر، والرسول يأتي بشيئين لا ثالث لهما، معجزات وتعليمات، لأن أي أحد قد يتكلّم ويأتي بتعليمات. ولذلك أيّد الله تعالى الرسول الحق بالمعجزات، فالمعجزات سبب الإيمان، فإن ثبتت نتج الإيمان بداهة، وإن زالت فلا محلّ للإيمان أصلاً، لأنه بزوال السبب يزول الأثر.

والمعجزات أحد نوعين لا ثالث لها، إما حسّية عينية يفعلها الرسول أمام الناس وبمرأى منهم إظهاراً لصدقه، كمن يمشي على الماء أو يشق البحر أو يطير في السماء، وإمّا غير ذلك ولنسمه الباقية، وسأذكرها لك بعد النظر في النوع الأول إن شاء الله.

فالمعجزة الحسّية العينية هي سبب الإيمان بالرسول الذي أتى بها، فمثلاً يسوع الناصري قام بمعجزات حسّية عينية، كما يُذكَر عنه، أطعم الآلاف بشئ قليل، ومشى على الماء، وأحيى الموتى وما شابه، فالسبب في الإيمان بيسوع وما جاء به هو شئ واحد لا ثاني له، هو رؤية نفس ما رأى من كان حاضراً في ذلك الوقت، وإذا زال السبب زال الأثر، فالرسول الذي يأتي بمعجزة حسّية عينية يجب أن يوفر نفس المعجزة الحسّية العينية لكل أحد يدعي الرسول أنه مرسل له، وإلا فالرسول ليس لهذا الشخص الذي لم يستطع أن يوفر له المعجزة الحسية العينية. فلا تثبت دعوى المسيحيين ليسوع، لأن السبب في الإيمان به حسي فلا يكون خبرياً أبداً، لماذا لا يصدقون هم إلا عندما رأوا بأم عينهم ويريدوني أن أصدق بالخبر أنه فعل كذا وفعل كذا، وهل هذا عقل، وهل يعجز أحد عن اختلاق مثل هذا، فلنصبح مجوساً إذن أو هندوس فما أكثر ما تروى مثل هذا عن رسلهم، هؤلاء لا عقول لهم.

فبقانون "إذا زال السبب زال الأثر"، يذهب من أمامك كل الأديان إلا دين محمد لأنه لم يطر ولم يخرق الأرض وإنما السبب في الإيمان به هو القرءآن، فإن نظرت فيه وتعلمته وءامنت به كان بها، وإلا فدع حتى هذا الدين، لأنه ليس له معجزة غيره، ولا إيمان إلا بمعجزة. وهذه هي الباقية، أي تبقى من بعد الرسول، وهي عين ما آتاه الله للرسول. فإن ءامنت بالقرءآن ودخلت في دائرة أهل القرءآن من المسلمين المؤمنين، فسترى مذاهب شتى، وثمة قانون واحد ونور واحد يكشف لك المجرم والمظلم من المحق والعالِم، وهو أن كتاب الله واحد ودينه كلّه من كتاب الله، كما أنّه لا إله إلا الله، فانظر من الفرق مَن ليس لها إلا كتاب الله مرجع، واشطب كل من سواها، وأنت في غنى عن هذا البحث إنّما هو من باب الفضول، لأنه طالما أن معك كتاب الله أنت في غنى عن الفرق والمذاهب، لأنهم إنما افترقوا بغيره، أحاديث وروايات وأئمة وما شابه، لكن فائدة هذا البحث هو أن ترى من هم على شاكلتك وأقرب منك أي المتمسكين بكتاب الله لا غير، لأن كتاب الله كامل شامل مفصل وبحر عميق شديد العمق فلا نهاية له، فنحن في غنى عما سواه.

فاحفظ هذه الثالث قوانين ودعك من دراسة مقارنة الأديان وغيرها إلا على سبيل الاطلاع والثقافة:

الأول "النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان"

الثاني "إذا زال السبب زال الأثر"

الثالث "كتاب الله هو دين الله لا غير ولا شريك له".

والحمد لله رب العالمين.

...

{إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون}

القول منك هو صوت وصورة، أي لفظ ومعنى. قد يسمع الإنسان صوتك لكن لا يرى الصورة التي قصدتها، لأنه لا يفقه لسانك.

كما خلق الله الكون بقوله، كذلك أنت تخلق كونك بقولك. أي بالصوت والصورة. ولذلك، لاحظ أنّك حين تسمع نغمات مختلفة تشعر بأن الكون من حولك يتغيّر. وحين تتأمل في معاني مختلفة، تشعر بأن الكون يتغيّر حولك.

ما أخبرك الله عن كيفية خلقه للكون إلا لتعرف أنت كيف تخلق الكون.

غيّر قولك، يتغيّر كونك.

...

لو غيّرت كلامك كلّما انتقد شخص كلامك انتقاداً شخصياً مزاجياً، فلن يبقى لك كلام. أنت تكلّم، واجعل ردود الناس عليك بمثابة فروع لشجرة كلمتك الأصلية، لكن لا تُزيل أصل الشجرة.

...

أمر الفكر غريب: تستطيع أن تلخّص الوجود كلّه في كلمات معدودات، وتستطيع أن تفصّل أدقّ جزئيات الحياة تفصيلاً يملأ مجلّدات.

حين يقول لي شخص: لخّص لي فكرك وقيمك. أستطيع بإذن الله أن ألخّص له كل أمري في كلمات يعدّها على أصابعه. لكن-وهنا الجزء الخطير والذي لم أزل أعاني منه مع الناس-حين يبدأ بالنقد أو التشكيك أو التساؤل أو الاستفسار، فإنّي أضطرّ-إن أردت رحمته-أن أشرح له وأبسط القول، لكن في هذا الوقت يأتي معظم الناس ويقولون لي "كلامك طويل، كلامك معقّد، كلامك يحتاج إلى بذل جهد لمتابعته وقراءته ونحن لا نملك الوقت ولا الجهد الذهني للقيام بذلك". حسناً، ماذا أفعل في مثل هذه الحالة؟ الاختصار يعني ضغط وتكثيف أفكار كثيرة في كلمات قليلة، ويعني أيضاً الاقتصار على ذكر النتيجة دون المقدّمات أو ذكر بعض المقدّمات بصورة مختصرة وخالية عن تفاصيل البرهان والأمثلة التي تنزّل الفكرة لأذهان الجمهور خصوصاً غير المختصّ والمتبحر والمثقف والمعتاد على النظر في هذه الأمور. أمّا التفصيل فيعني كثرة الكلمات، والفصل بين المقدّمات والنتائج، وذكر أمثلة متعددة تناسب المتلقّين المتوقعين للكلام، مما يلزم عنه بالضرورة الحاجة إلى بذل زمن وجهد ذهني أكثر. فأن تطلب التفصيل بدون أن ترضى ببذل الزمن والجهد يشبه أن تطلب كثرة الطعام بدون الحاجة إلى المضغ والهضم. فنحن بين اختصار مخلّ بالنسبة للمتلقّين، أو تطويل ممل بالنسبة لهم أيضاً. الكلام مع العامّة معاناة. أقصد الكلام الذي له معنى نافع. أمّا الهراء فخفيف كالهواء.

...

قيل لي من قبل نحوي: إن لغة العرب مبنية على الإيجاز والاختصار. فالإطناب مخالف لطريقتهم.

أقول: أوّلاً، أنا من العرب، وطريقتي تجمع بين الاختصار والتوسّط والإطناب، مخاطبة أو كتابة.

ثانياً، العرب الذي تتحدث عنهم كان الموقف المعقول الوحيد منهم هو أن يبنوا لغتهم على الاختصار والدقة الشديدة في التعبير على حساب التوسّع واستعمال كلمات أكثر للتعبير عن ما يعبّرون عنه بألفاظ قليلة أو حروف معيّنة. لأن أولئك العرب كانوا بشكل عام فقراء، ويعانون من شظف العيش والاحتياج إلى الموارد المادّية لاستعمالها في أمور عيشهم الأولية. فحيث أن الكلام إنّما هو ألفاظ يحفظها السامع أو كلمات تحتاج إلى مواد كتابة كالقرطاس والحبر وما يتضمنه ذلك من استهلاك وصناعة ومحافظة على الصحف (وما أصعب ذلك في تلك البيئة الفقيرة عموماً)، فقطعاً المتوقع منهم بناء لغتهم على الاختصار. لأن المسموع إن كان طويلاً احتاج إلى جهد أكثر لحفظه، والاعتماد على ذاكرة الإنسان بشكل عام مخاطرة. وأصحاب الحافظة القويّة جدّاً هم من القلّة والعرضة للقتل والموت بحيث لا يمكن بناء أصل اللغة على وجودهم وجهدهم وقواهم الخارقة. فالمسموع إذن الأسلم فيه أن يكون قليلاً. أمّا المكتوب، فندرة مواد الكتابة وعدم تعاطي العرب بشكل عام لمهنة الورق والحبر وما إلى ذلك، وبقية لوازم المحافظة على المكتوب، كل ذلك يجعل الاعتماد على الكتابة أيضاً غير صالح بالنسبة لهم، والكتابة هي موضع الإطناب والتفصيل والتبسّط في الكلام المُراد حفظه والاهتمام به على مرّ الأجيال. ولذلك، لمّا تغيّر حال العرب والمسلمين عموماً بعد الإسلام، وتوفّرت أدوات الكتابة، وتيسّر العيش إلى حد كبير، ووجدت طبقات من الناس مختصّة بحفظ الكلام والشعر والأخبار ودراستها ونقلها وقراءتها وإقرائها في السرّ والعلن، انتقل الحال إلى التبسّط في الكلام والإطناب فيه، شعراً كان أو سجعاً أو نثراً. إذن، لا تُرجع بناء اللغة على

الاختصار لأسباب مبهمة أو ميتافيزقية ثابتة لا تتغيّر، بل أسباب ذلك معلومة مفهومة. وقد تغيّرت ولله الحمد، لا أرجع الله تلك الظروف القاسية أبداً.

ثالثاً، (وأقول هذا لأن صاحبي من محبّي الشيخ محيي الدين ابن عربي)، فقد قال الشيخ في الفتوحات كلاماً معقولاً وهو أن الكلام وجود والصمت عدم، والوجود أفضل من العدم. بالتالي الكلام أفضل من الصمت. ولذلك تجد الشيخ نفسه يبسط الكلام على دقّته في التعبير، فالبسط لا ينافي الدقّة.

رابعاً، الله تعالى يُسمّى متكلّماً، ومن صفاته السبعة الذاتية (أقول ذلك لأن صاحبي أشعري العقيدة) هي صفة الكلام. فالكلام حتى على المستوى الإلهي حق. وحين يرضا الله عن عبد يتكلّم معه، وحين يغضب عليه والعياذ بالله كما ورد في الآخرة لا يتكلّم معه قال الله "لا يكلّمهم الله" عن قوم غضب عليهم، وقال عن أهل النار "اخسئوا فيها ولا تُكلّمون". فجعل الأفضلية للكلام، سواء كلامه هو مع العبد، أو كلام العبد معه. "وكلّم الله موسى تكليما".

...

اللهم اجعل كلامي مُرضياً للخاصّة والعامّة. مُرضياً للخاصّة من حيث فصاحته، ومرضياً للعامّة من حيث سهولته.

قال أخي: لماذا تبحث عن رضا الناس. تكلّم كما تشاء ودعك من الناس.

قلت: إنّي أتكلّم كما أشاء، ولا أفكّر في تغيير أسلوبي من أجل أحد، هذا مقطوع به. لكن مُرادي من ذلك فصاحة القرءآن والقواعد المبنية عليه، لا فصاحة المتنطعين والذين يختلقون القواعد اختلاقاً ويلزمون الآخرين بها ويقيّمونهم على أساسها. حين نتكلّم مع الناس فنحن نريد الناس أن تفهمنا، وإلا فلا يبعثنا شئ للتكلّم معهم أصلاً، قال الله "بلسان قومه ليبين لهم" فمقصده في استعمال لسانه هو أن يبين لهم. فقصدي برضا الخاصّة والعامّة أن يقع التبيين لهم، وأن يبيّن الله لهم ذلك.

...

لا أرى قيمة لبحث "هل نعبد المال أم نزهد في المال". المال وسيلة لتحصيل معيشة وسط المجتمع الإنساني. والمال جزء منك، لأن المال تجسيد مادّي للجهد البشري، إذ لا مال بدون وجود البشر وجهدهم. فالمال عبارة عن تجسيد لشئ إنساني في صورة مادّية معيّنة (مثل النقود). وبهذه النقود نطلب جهد بشري آخر (كصناعة أو خدمة يقوم بها البشر). فالمال وسيلة لعدم بخس الناس أشياءهم، وعدم قهرهم على الصناعة أو الخدمة، فيضمن عدم خسارة إنسان لجزء من ذاته (بالجهد والزمن الذي ينفقه في العمل) بدون مقابل، فيعوّض ما أنتجه بما كسبه، ثم ما كسبه ينفقه لأخذ انتاج الآخرين، وهكذا. إذن لا أعبد المال لأنّ المال ليس غيري. ولا أزهد في المال لأني لا أزهد في نفسي.

قيمة المال عندك ستعتمد على مركزك. ومركزك سيحدد نمط معيشتك. وهذا النمط سيحتاج إلى عمل الناس لك. وعمل الناس سيحتاج إلى مال مباشرة أو غير مباشرة. بالتالي، مركزك سيحدد علاقتك بالناس من الناحية المعيشية. فمن كان مركزه يفرض عليه نمطاً واسعاً غير مقدَّر للمعيشة، سيحتاج إلى مال كثير أي إلى عمل كثير من الناس، وهذا سينتج له ميلاً أشدّ إلى المال، بالتالي إمّا إلى حرق جهده وحياته في سبيل كسب المال لتحصيل تلك الأغراض، أو سيؤدي به إلى الإجرام ليقهر الناس على العمل له حفاظاً على حياتهم وعدم تعذيبهم وبذلك يصير من الظالمين الملعونين في الدنيا والآخرة ويجلب على نفسه هموم أكبر بكثير من همّ تحصيل أغراضه الأولى إذ لا يقهر الناس إلا من يعيش مذعوراً من قهر الناس بل قتل الناس له سواء أظهر ذلك أم لم يظهره، أو سيعيش في حسرة الفوت والفقد. لكن الذي

مركزه ينتج له معيشة معقولة مقدَّرة، كريمة متوسّطة، مثل معيشة طلبة العلم وأهل الذكر والفكر، فهؤلاء إن شاء الله بعمل متوسّط معقول يضمن الله لهم العيش الهنئ ويوسّع عليهم بيوتهم.

لا تعبد المال ولا تزهد في المال، اعرف مركزك والقدر الذي تحتاجه من المال واعمل به بإحسان قدر الإمكان والسلام.

...

القرءآن ليس فقط كتاباً محفوظاً، بل هو كتاب يحفظ ما يتّصل به، كاللسان العربي المبين. فالعربية محفوظة بالقرءآن. حين نزل القرءآن، أسلمت العربية، ولم ترتدّ ولم تقبل ديناً آخراً غير الإسلام. ولذلك أي تعبير عربي فصيح هو تعبير إسلامي الروح، شعر المتكلّم به أم لم يشعر، بل ولو كان يكتب في الإلحاد. كل كتابة بالعربية هي كتابة قرءآنية. ولذلك لا تجد تعبيراً عن غير الإسلام بالعربية إلا وتتشوّه في اللغة وتضطرب وتصير إلى الركاكة وتنفر منها النفوس، وكأن العربية تركل المتكلّم بها من غير المسلمين للتعبير عن أغراضه غير القرءآنية. وبين يديك أمثلة من كتابة اليهود واليسوعيين بالعربية، حتى أولئك الذين كتبوا أيام "العصر الذهبي" للأدب العربي، مروراً إلى اليوم، وسترى أنها كلمات تخالف روح العربية وتنفر منها هذه الروح القرءآنية. حلّت روح القرءآن في العربية، فلم تتسّع لغير روح القرءآن. "نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين".

...

بعض المساجد تدخلها كافراً فتخرج مؤمناً، وبعض المساجد تدخلها مؤمناً وتخرج كافراً.
المساجد الأولى هي مثل مساجد الصوفية، المساجد الأخرى هي مثل مساجد السلفية.

...

قال: كيف تردّ على من ينكر نسبة فصوص الحكم للشيخ ابن عربي ؟
قلت: سلاماً.

قال: قرأت لبعض المشتغلين بنصوص الشيخ أنّه ينفي نسبة فصوص الحكم له، لكنّه يثبت صحة الفتوحات المكية ومواقع النجوم وغيرها.
قلت: أثبت الشجرة وأضاع الثمرة.

...

{طه} الطاء الصمت، الهاء الكلام. ألا ترى أنّك حين تنطق متن الطاء ينطبق لسانك على جدار فمك ويلتصق به فينسدّ مجرى الهواء وينقطع الصوت، فهذا معنى الطاء، أي الصمت. ثم ينفتح مجرى الهواء للكلام بالهاء، والهاء أوّل الحروف من باطن المخارج الصوتية عند القلب، وليس مثل الهمزة التي ليس فيها الهواء والانطلاق بل هي حرف باطني محض يكاد لا يخرج من محلّ صدوره، لكن الهاء فيها معنى انطلاق الصوت من القلب إلى الخارج ويمرّ هواء الهاء عبر مجرى الكلام كلّه من أوّله إلى آخره ولذلك يدلّ على الكلام. إذن {طه} تدلّ على الانتقال من حالة الصمت إلى حالة الكلام.

كلام مَن؟ الكلام من الله للعبد، ومن العبد لله، ومن العبد مع عباد الله. لذلك كانت أوّل آية بعد {طه} هي قوله تعالى {ما أنزلنا عليك القرءآن}. فهو كلام الله معه، والذي سيولّد فيه القدرة على التكلّم مع الله، والذي أيضاً سيُكلّم به عباد الله. ثم القصّة الأولى في سورة طه هي قصّة كليم الله موسى، والذي كلّمه الله وتكلّم مع الله وتكلّم أيضاً مع عباد الله كما وقع منه مع آل فرعون ومع بني إسرائيل. والقصّة الأخرى

في سورة طه هي قصّة آدم، وهو الذي علّمه الله الأسماء، وكلّمه الله {يا آدم أنبئهم} وتكلّم هو مع الله {ربّ إني ظلمت نفسي}، وتكلّم أيضاً مع عباد الله من الملائكة {فلما أنبأهم بأسمائهم}.

وبناء على ذلك نفهم سبب ورود قوله {ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً}. فالمعيشة الضنك هي معيشة ليس فيها الكلام، بأنواعه الثلاثة (من الله، مع الله، مع عباد الله).

ولاحظ أنك لا تجد في كل قصص بني إسرائيل أنّهم كانوا يتكلْمون مع فرعون، بل كانوا يتكلّمون فقط مع موسى. لأن الاستعباد يظهر بانعدام الكلام أو قلّته أو تبعيته للمتكلّم الأصلي، إذ السلطة هي الكلمة. لكن لمّا كان موسى يعلّمهم على الحرية والإنسانية (كما نبّهني أحد أصحابي على هذه الإشارة) كانوا يجترأون عليه. فقلت لصاحبي: كذلك حصل مع علي ومعاوية، كان عليّ يتعامل مع أصحابه بناء على الحرية، ومعاوية على العبودية، فكانوا يجترئون على علي، ويهابون معاوية. ثم قلت: يستغل بعض الناس هذا المعنى، أي سوء أدب وجهل العوام حين يتكلْمون ليبرر طغيانه. والحق أن هذا الكدر ناتج من اعتيادهم السابق على العبودية والذلّ عادة، كما هو الحال في بني إسرائيل مثلاً، فلا يخرج كلامهم إلا مناسباً لحال نفوسهم، ونفوسهم غارقة في كدر الذل ونجس العبودية، فيخرج كلامهم مشاكلاً لذلك. والذي ينبغي هو تحرير الناس، وقبل الحرية يكون الكلام الحسن والعاقل من قبيل الكرامة والمعجزة.

...

أنت مخلوق بيدي الله، يد الملكوت ويد الملك. الملكوت نفسك، الملك جسمك. قال الله "فسبحان الذي بيده ملكوت كل شئ وإليه ترجعون" وقال "تبارك الذي بيده الملك". فتبارك مرتبطة بخلق الجسم، كما قال في آية أطوار خلق الجسم "نطفة..علقة..فتبارك الله أحسن الخالقين". والسبحان فيه معنى التنزيه والترفع، فهو للنفس لأنها أرفع من الجسم.

ديارك الجنّة، والجنّة إذا خرجت منها تشقى، والقرءآن نزل لكي لا تشقى، إذن القرءان هو صورة الجنّة. ولذلك جاء طالوت، لكي يرجع الناس إلى ديارهم، وهي الجنّة.

طالوت كل ما يوصلك إلى الملكوت. جالوت كل ما يخرجك من الملكوت.

{قتل داود جالوت، وآتاه الله الملك} أي الحرية الجسمانية، {والحكمة} أي النفس، {وعلّمه مما يشاء} هذه للروح. فالملك أن تكون حرّاً، كما قال الله عن بني إسرائيل بعد الحرية "وجعلكم ملوكاً". والحكمة تجمع بين شيئين، من الإحكام، وهي مؤنثة، فهي النفس المؤنثة "ونفس وما سوّاها" الجامعة والبرزخ بين الروح والجسم. و"علّمه مما يشاء" أي روحه، فسعادة الروح أن تتعلّم ما تشاء تعلمه.

...

الرد على محمود الغراب في نفيه نسبة فصوص الحكم للشيخ ابن عربي.

قال الغراب في تقديمه لرسائل ابن عربي، طبعة دار صادر ١٩٩٧، ص١١ {ويمكن أن يتجاوز عن نسبة بعض الكتب إلى الشيخ ابن العربي، التي لم يريد ذكرها في مؤلفاته الثابتة}. وقال أيضاً تحت كتاب نقش الفصوص {لم يرد ذكره لا في كتب الشيخ الثابتة ولا في الفهرس ولا في الإجازة وينسب تأليف الكتاب إلى إسماعيل بن سودكين، تلميذ الشيخ ابن العربي، وكتاب الفصوص لا يصح نسبته إلى الشيخ أصلاً، فإنّه لم يذكره في كتبه الثابتة، كما أن فيه أكثر من مائة نص يخالف ما جاء في الفتوحات المكية وفي كتب الشيخ الأخرى} . وقال أخيراً في نفس الصفحة واضعاً ميزاناً عامّاً للحكم على صحة نسبة الكتاب إلى الشيخ من عدمه، {من هذا التحقيق يتبين لنا أنه لا يصح اعتماد نسبة كتاب إلى الشيخ ابن العربي، سواء من الكتب الثابت نسبتها إليه، أو غير الثابت نسبتها إليه، حتى يحقق نص

الكتاب مع ما هو ثابت عن الشيخ من أصل يعتبر ميزاناً، مثل كتاب الفتوحات المكية، ولا يلتفت إلى تاريخ النسخة ولا إلى وجود سماع عليها أو نسبة الخط إلى الشيخ ابن العربي، فإن كل ذلك قابل للدس والتزوير.}

أقول: أوّلاً قد علمنا من طريقة تأليف الغراب ومن سماعنا لكلامه-بالصوت والصورة-في مجالس عقدها، أنه يعتمد طريقة تفسير كلام ابن عربي بكلام ابن عربي. ولذلك يميل إلى جمع النصوص المتعلقة بالموضوع الواحد قدر وسعه في موضع واحد وترك القارئ يفهم ما يفهمه منها. بناء على هذه الطريقة المعتمدة عنده أسأل الغراب: هل في كلام الشيخ الثابت عندك أنّه جعل الفتوحات المكية هو الميزان أو غيره من كتبه، في تحقيق نسبة الكتب إليه؟ هل قال: ما ذكرته من كتب في الفتوحات أو مواقع النجوم مثلاً فهو من كتبي وإلّا فاضربوا به عرض الجدار؟ كلّا، لن تجد مثل هذا النصّ. إذن، طريقتك في تحقيق نسبة الكتاب إلى الشيخ، هي من ابتداعك أنت، ونحن نعلم جيّداً لماذا ابتدعتها (هوس الردّ على السلفية يعمي البصيرة، نسأل الله السلامة).

ثانياً، قد عرفنا أنك تعتمد على كتاب الفتوحات المكّية أشدّ الاعتماد، وتجعله العمدة والأساس في كلام الشيخ. حسناً، من أين عرفت أن كتاب الفتوحات المكية هو للشيخ ابن عربي؟ إن قلت لي "تاريخ النسخة" أو "وجود سماع عليها" أو "توجد نسخ بخط الشيخ نفسه من الفتوحات" قلت لك: بناء على المعيار الذي وضعته-وهو النص الثالث الذي نقلناه عنك أعلاه-فكل هذه الأمور عندك قابلة "للدس والتزوير". فلا يبقى إلا أن تقول: التواتر، أو الشهرة. فاشتهر الكتاب من زمن الشيخ إلى يومنا بين تلاميذه وغيرهم. فإن قلت هذا، رددنا عليك بنفس الردّ بخصوص فصوص الحكم. بداية من صدر الدين القونوي تلميذ الشيخ المقرّب، وربيبه ابن زوجته، وخليفته وأعظم ورثة علمه وأشهرهم في الدنيا، مروراً بتلميذ ابن عربي الآخر المقرّب منه وهو إسماعيل بن سودكين الذي تقول أنت-ص١٤- أن كتاب نقش الفصوص، الذي هو تلخيص لزبدة فصوص الحكم، {وينسب تأليف الكتاب إلى إسماعيل بن سودكين، تلميذ الشيخ ابن العربي}، نزولاً إلى بعض أهمّ تلامذة صدر الدين القونوي، مثل مؤيد الدين الجندي، وعفيف الدين التلمساني، كل هؤلاء كتبوا شروحاً على كتاب فصوص الحكم وأثبتوا نسبته إلى الشيخ ابن عربي، وهم تلامذته وأقاربه وأحبابه وأصحاب مجلسه ونقلة علمه وشرّاحها ومن المشهورين بانتسابهم إليه شهرة بلغت المحب والشانئ، القريب والبعيد، المسلم والكافر، القديم والحديث.

أ/صدر الدين القونوي، كتب "الفكوك". وقال فيه بالنصّ "فإن كتاب فصوص الحكم من أنفس مختصرات تصانيف شيخنا الإمام الأكمل، قدوة الكمّل، هادي الأمّة، إمام الأئمة، محيي الحق والدين، أبي عبد الله محمد بن علي بن العربي الطائي رضي الله عنه وأرضاه به منه، وهو من خواتيم منشئاته وأواخر تنزلاته، ورد من منبع المقام المحمدي والمشرب الذاتي والجمع الأحدي، فجاء مشتملاً على زبدة ذوق نبينا صلوات الله عليه في العلم بالله، ومشيراً إلى محتد أذواق أكابر الأولياء والأنبياء المذكورين فيه" إلى أن ذكر أصحابه الذين طلبوا منه "حل مشكلات هذا الكتاب واستجلاء غوامض أسراره الكلية وعلومه العلية". ثم قال بالحرف الواحد "فأجبتهم إلى ذلك علماً مني باستحقاقهم وتقرباً بإرشادهم إلى خلاقهم، هذا مع إنّي لم أستشرح من هذا الكتاب على منشئه رضي الله عنه سوى الخطبة لا غير".
أقول: هذا تقرير واضح وصريح بأن صدر الدين القونوي قد أخذ فصوص الحكم من الشيخ ابن عربي أي كان يعلم بوجود الكتاب من الشيخ نفسه مباشرة لا واسطة بينهما، بل زيادة على ذلك قد شرح

الشيخ ابن عربي له الخطبة بنفسه. فهل يوجد أقوى من هذا السند ؟ سند ذهبي مباشر فيه المتن وشئ من الشرح !

ب/ إسماعيل بن سودكين، حسب ما تقول أنت قد ألَّف كتاب نقش الفصوص. حسناً، لنُسلِّم بهذه النسبة. فممن أخذ ابن سودكين هذه المعلومات والكلمات التي تلخص كتاب فصوص الحكم ؟! لأننا إذا قرأنا نقش الفصوص سنجد أن فيه ما في فصوص الحكم بنحو مركّز وبنفس أسلوب الفصوص ونفس الأنفاس (والتي نقطع نحن بأنها أنفاس ابن عربي، لكن دعنا من هذا ولنخاطب القوم بما يعقلون). إذن أنت بين اثنين: إمّا أن واضع فصوص الحكم هو أيضاً واضع نقش الفصوص، أو هو غيره. إن قلت أنّه غيره، فهذا الغير هو حسب ما نقلته إسماعيل بن سودكين. فإسماعيل الذي نعرف أسلوبه وكلامه من كتابات أخرى له والتي لا تشبه طريقة ابن عربي المعروفة وأنفاسه الخاصّة، هو إذن واضع نقش الفصوص. فالسؤال الآن: هل وضعه تلخيصاً لكتاب فصوص الحكم المزوّر؟ يعني إسماعيل تلميذ ابن عربي لم يعرف أن لابن عربي كتاباً هو فصوص الحكم، فأخذ هذا الكتاب المدسوس والمزوّر وبدأ يلخصه ثم بعد ذلك نسب نقش الفصوص إلى ابن عربي ؟ فمن هذا المزوّر المحترف الخفي الغيبي الذي استطاع أن يخدع صدر الدين القونوي وإسماعيل بن سودكين حتى جعلهما يكتبون كتباً تشرح فصوص الحكم مع نسبته لابن عربي زوراً وبهتاناً. وكل هؤلاء لم يعرفوا أن الفصوص ليس لابن عربي، حتى جئت أنت فعرفت ذلك !؟ لو كنت تدعي حصول مكاشفة لكان لنا شأن آخر، لكنّك تدعي ما تسميه التحقيق "العلمي". فهل هذا هو العلم؟ لا تأخذ بتاريخ النسخة، ولا بالسماع، ولا بنسبة الخط (الذي تأخذ به الأدلة الجنائية في جميع أمم الأرض ! فضلاً عن محققي المخطوطات)، ثم بعد ذلك ترسم مؤامرة انطلت على القونوي وهو شخص كان يأكل ويشرب وينام بالقرب من ابن عربي لا فقط يتعلّم منه، وكذلك إسماعيل بن سودكين، فألّفوا كتباً باطلة عن كتاب باطل، حتى ظهر الحق بك أنت في هذا العصر المظلم بدعوى التحقيق العلمي الذي لم نر له مثيلاً في الشرق ولا في الغرب. "وإن تعجب فعجباً قولهم".

ج/ مؤيد الدين الجندي. هذا تلميذ صدر الدين القونوي ومن المقربين. قد يُقال أن صدر الدين -لم يقل هذا أحد لكننا ندخل في عالَم الخرافات بما أننا صرنا بفضل هذا "التحقيق العلمي" ننكر المشهورات المتواترات والمشاهدات الماديّات والمنقولات المسندات الثابتات-أقول، قد يقال أن صدر الدين القونوي كان سكراناً حين كتب شرحه على فصوص الحكم، أو لنقل أنه انطلت عليه خدعة عبد الله بن سبأ زمانه، فصدّق أن فصوص الحكم لابن عربي بل من أجلّ كتبه على الإطلاق وآخرها، فسحره فكتب ذلك الكتاب في لحظة غفلة. حسناً. فكيف نفعل بما ذكره مؤيد الدين الجندي ؟ وهاك نصّ عبارته "فإن كتاب فصوص الحكم في خصوص الكلم من مُنشآت هذا الكامل الخاتم مفخر بني طئ آل حاتم جليل القدر عظيم الشأن والأمر، يُروي غليل الصدر ويشفى عليل الطلب والشوق لاستجلاء هذا النور واستحلاء ما فيه من الذوق والسرور، يحتوى على كلمات أذواق الحضرات الأسمائية، وينطوي على أمّهات أسرار الحرم النبوية الاصطفائية..." وبعد مدح عظيم طويل عميق عريض لكتاب فصوص الحكم (المزوّر المدسوس ! والذي لم يستطيع هؤلاء الأكابر تمييز دسّه ولا ذاقوا مرارة الكذب فيه، حتى جعلوه بداية من القونوني إلى الجندي فمن بعده من أعظم الكتب العرفانية على الإطلاق بل جعله بعضهم أعظمها على الإطلاق، وكأنّه يمكن لأي شخص أن يزوّر مثل هذا الأمر على هؤلاء السادة الأكابر من أهل الله والعرفان والفلسفة العالية)، قال الجندي {ولهذا السرّ} أي أهمّية الكتاب وكونه زبدة أعلى المقامات العرفانية {ولهذا السرّ نهى الشيخ رضي الله عنه أن يُجمَع بين هذا الكتاب وبين غيره من الكتب

في جلد واحد، سواء كان من مصنّفاته أو مؤلفات غيره من أفاضل أصحاب التحقيق وأماجد أرباب الطريق، لأن مشرب مقام النبوة وحماها يجلّ ويعلو ويعظم وينبو عمّا سواه}. أقول: إذن مرّة أخرى، الشيخ ابن عربي نفسه علّم تلامذته كيف يتعاملون حتى مع نصّ وطريقة تجليد كتاب فصوص الحكم. فالجندي قد عرف وجود الكتاب من ابن عربي مباشرة أو من خليفته القونوي مباشرة، وإن كان هنا لم ينص على أنه أخذ هذه المعلومة عن تجليد الفصوص من القونوي، فقد يكون أخذها من ابن عربي، وعلى الوجهين فهو إسناد متّصل ذهبي لا نجد مثله في بعض أعظم المرويات الصحيحة في البخاري ومسلم، فتأمل. ثم بعد ذلك يقول الجندي {ولقد ندبني إلى شرح معضلاتها وحلّ معقلاتها أكابر علماء الأعلام، ورغب إليّ في كشف مشكلاتها وتفصيل مجملاتها وتحصيل محتملات إشارتها أقوام بعد أقوام، وطلب إيضاحها واستشراحها من الأصحاب والأقران الكرام والأحباب والإخوان الأماجد العظام كل إمام علّام}. أقول: إذن كان الكتاب مشهوراً بين الأكابر من أهل الطريق والمعرفة في زمان الجندي الذي هو زمان ابن عربي وقريب منه، وكل هؤلاء الأكابر لم يعرفوا أيضاً أن الكتاب مدسوس على ابن عربي، وكل هؤلاء الأعاظم يريدون شرحاً لكتاب مزوّر غارق في وحل الكذب ونجاسة الإفك على أهل الله، لا عقولهم ميّزت، ولا أذواقهم أدركت حقيقة الأمر. لا بأس. لنكمل. ذكر الجندي بعد ذلك أن شيخه القونوي شرح له خطبة الكتاب، فقال {ولقد كان سيدي وسندي...محمد بن إسحاق بن محمد بن يوسف القونوي..شرح لي خطبة الكتاب} أقول: إذن أخذه عن القونوي بالسند المتّصل جملة، وأخذ شرح الكتاب عنه مفصّلاً مباشرة، كما أن القونوي أخذ الكتاب جملة من ابن عربي وسمع شرح الخطبة منه مباشرة. فهذا سند متّصل للكتاب حتى من هذا الوجه. والأدهى من ذلك أن الجندي يذكر حدوث أحوال ربانية حين شرع القونوي في شرح خطبة الكتاب له فقال {وقد أظهر وارد الغيب عليه آياته، ونفح النفس الرحماني بنفحاته، واستغرق ظاهري وباطني روح نسماته، وفوَّح نفائس أنفاسه ونفثاته، وتصرّف بباطنه الكريم تصرّفاً عجيباً حالياً في باطني، وأثّر تأثيراً كمالياً في راحلي وقاطني، فأفهمني الله من ذلك مضمون الكتاب كلّه في شرح الخطبة، وألهمني مصون مضمون أسراره عند هذه القربة. فلمّا تحقق الشيخ رضي الله عنه منّي ذلك، وأن الأمر الإلهي وقع بموقعه من هنالك، ذكر لي أنه استشرح شيخنا المصنّف رضي الله عنه هذا الكتاب، فشرح له في خطبته لباب ما في الباب لأولي الألباب، وأنه رضي الله عنه تصرّف فيه تصرّفات غريباً علم بذلك مضمون الكتاب، فسُررت بهذه الإشارة، وعلمت أن لي أوفر حظّ من تلك البشارة. ثم أشار إليّ بشرحه وأمرني برعاية الطالب في ذلك ونصحه، فكتبت عن أمره بمحضر منه شرح الخطبة في الحال على ما شرح بالمقال.} أقول: إذن، الله يتدخّل ويفهم الجندي كتاباً مزوّراً على ابن عربي، القونوي يروي لتلميذه الجندي رواية كاذبة عن أخذ فصوص الحكم عن ابن عربي وعن وجود هذا الكتاب، ثم القونوي يأمر تلميذه بشرح كتاب مدسوس على ابن عربي فيكون آمراً بالمنكر ومُروّجاً للزور الذي اخترعه إنسان مجهول لا أحد يعلمه حتى الآن إلا اللهم الغراب وبعض من أخذ هذه المقالة الشنيعة المبالغة في العناد عنه ! عفا الله عن المخلصين وكفى شرّ النوايا الحسنة عن المسلمين والمحققين.

ج/ عفيف التلمساني له شرح على فصوص الحكم.

وهكذا وهكذا، أكثر من مائة شرح على فصوص الحكم، وأذكر أن بعضهم لعله أوصلها إلى مائة وخمسين، هذا فقط المكتوب منها والمشهور، ودع عنك مجالس العرفان التي تدور حول هذا الكتاب من ذلك الزمان إلى يومنا هذا. بل أذكر أني قرأت في موضع أن بعض العارفين-ولعله الجامي (وهو من

شراح الفصوص أيضاً) كان يحفظ نص الفصوص عن ظهر قلبه من شدة عنايته به. كل هؤلاء الأكابر والأعاظم والمحققين والمتذوقين لشراب المعرفة العالية، لم يستطيعوا تمييز حقيقة هذا الكتاب المدسوس، واشتغلوا كلّهم بالشرح والغوص في كتاب وضعه كاذب مجهول. وكأنّه لو وجد شخص يستطيع كتابة مثل الفصوص من حرّ عقله كان سيترك ابن عربي ينال شرف النسبة بدلاً من نسبة الكتاب إلى نفسه.

ثالثاً، وأمّا احتجاجك بأن أكثر من ١٠٠ موضع في فصوص الحكم يخالف ما فيه الفتوحات المكية، فقد كفانا الإشارة إلى هذه المائة موضع الأستاذ المعاصر عبد الباقي مفتاح في كتابه الذي خصصه للرد على الغراب، وبيّن أن لا حجّة في ذلك. إلّا أنّي أجيب من جهة أخرى: هب أنّه توجد اختلافات، فمنذ متى كان الكتاب السابق يحكم على الكتاب اللاحق؟ فالكل يُسلّم بأن الفصوص بعد الفتوحات، بعده بفترة فيها أكثر من عشر سنوات على الأقلّ، عشر سنوات أو أكثر قضاها الشيخ في الذكر والفكر والمكاشفة والتأمل، وهو يزداد علماً كل يوم بفضل الله تعالى، فلعله ظهر له بعد ذلك في تلك المواضع ما يخالف ما كان يراه سابقاً. فمهما علا كلام الشيخ، فلا يمكن أن يكون مثل كلام الله الذي قيل فيه "لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً"، ولا الشيخ ادعى ذلك لنفسه، فهل تجد أن الشيخ قال يستحيل أن يأتيني في الغد غير ما كتبته اليوم. ثم إن المعروف عن الشيخ-وهذا جواب ثالث من حيث الأصول-أنّه فنان الجمع بين الأضداد، ويكفيك ما في الفتوحات من قدرته على تأويل كل اختلافات الفقهاء في أبواب الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج تأويلاً يجعل كل قول له وجه للصواب، فاجعل المائة موضع إذن بمثابة هذه، أو كِل علمها إلى الله وأهلها إن شئت، أمّا نفي جوهرة كتب الشيخ وثمرة شجرة حياته وطريقه بسبب ما تراه أنت اختلافاً لا جامع له، وتناقضاً لا حلّ له، فهذا أمر عجيب، خصوصاً أنك تكثر من اللجوء إلى طريقة ترك الشيخ يتكلّم بدون إدخال نفسك في البين، فاجعل هذه الأمور مما لم تفهمه، بالأخصّ أنك تنفي عن نفسك القدرة على الفهم في هذه الأمور وعدم وجود ذوق لديك بروحانية الشيخ، فاترك هذا الشأن لغيرك يكن خير لك.

رابعاً، لا أدري أي عقل هذا في اعتماد ما يورده الشيخ في كتبه من أسماء كتبه الأخرى حتى يصدّق أنّها له. فصوص الحكم جاء بعد الفتوحات، فكيف تريد من ابن عربي أن يذكر الفتوحات !؟ ثم ليس من عادة الشيخ في كتبه، ولا قال ذلك عن نفسه، أن يورد اسم كل كتاب ألّفه قبل تأليف الكتاب الأخير، يعني ابن عربي لا يكتب في كتابة سنة ٦٠٠ مثلاً "وقد ألّفت حتى الآن، كذا وكذا من الكتب". ثم في كتاب ٦١٠ يقول "وقد ألّفت كذا وكذا حتى الآن"، أو شئ من هذا القبيل. فكيف إذن يحتج شخص بأن ابن عربي لم يورد اسم فصوص الحكم في كتبه "الثابتة" والفصوص هو كما قال خليفته القونوي، أنّه من آخر ما ألّفه وصنّفه.

خامساً، في رسالة ردّ فيها الباحث الغراب على كتاباً ألّفه ضدّه شخص ندبته هيئة علماء الوهابية السعودية لذلك، وأرسلها الغراب إلى ابن باز بالمسجل رقم ٣١٩ بتاريخ ١٢ محرم ١٤١٩هـ، وردت هذه الحجّة التي احتج بها الغراب على الهيئة الوهابية. سياق الحجّة هو أن السندي مندوب الوهابية ذكر كتاب الإمام جلال الدين السيوطي "تنبيه الغبي إلى تبرئة ابن عربي" فقال السندي الغبي "وأنا في شك من أمر هذا الكتاب وثبوته عن السيوطي رحمه الله تعالى". فردّ عليه الغراب هكذا {فمن أين للسندي الشك في كتاب ثبت لمؤلفه، أجمع أهل العلم على نسبته، ولم يسبق لأحد من أهل العلم أن شكك في نسبة هذا الكتاب إلى الإمام السيوطي، فإن كان هذا هو المنهج العلمي للسندي، فما هو إلا حكم الهوى}. أقول: يا ليت لو أن الغراب يحذف اسم السيوطي وكتابه ويضع ابن عربي والفصوص ثم يوجّه

هذا الكلام لنفسه ! فهل أجمع أهل العلم على نسبة الكتاب لابن عربي؟ نعم، أجمع أهل العلم وأهل الجهل. هل سبق لأحد قبل الغراب ومن أخذ عنه من الأوائل من زمن ابن عربي حتى هذا العصر أن شكك في نسبة فصوص الحكم لابن عربي؟ لا. هل يوجد سند للكتاب من المقرّبين للشيخ والآخذين مباشرة عنه ؟ نعم. إذن بالسند ثبت، بالإجماع ثبت، بعدم وجود معارض من القدم ثبت. فهل هذا هو المنهج العلمي للغراب يا أولي الألباب ؟

والسلام على من اتبع الهدى ومال عن الهوى.

والحمد لله..